القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الثانية والثلاثون العدد 10245 الأحد 25 نيسان (أبريل) 2021 – 13 رمضان 1442 هـ
Volume 32 - Issue 10245 Sunday 25 April 2021

حوار: نوال السعداوي
قبل 30 سنة

قلعة دير كيفا اللبنانية:
سليلة التاريخ الحافل

هل خسر بيريز الحرب العالمية
الثانية لكرة القدم؟

تشاد: ظلال كثيفة
على المسارات الليبية
03

سعيد يقطين: مدخل
إلى «القرآنية» ومميزاتها
23

«اليشماغ» العراقي:
إلى فلسطين ثمّ العالمية
42

اليمن:
كوارث الحرب وأشباح المجاعة

يزداد المشهد اليمني تعقيداً وتشابكاً على أصعدة عديدة، أبرزها وضع إنساني كارثي يشير إلى أكثر من 20 مليوناً يواجهون الجوع، و16 مليوناً يعانون انعدام الأمن الغذائي، في غمرة انسداد الطرق أمام منظمات الإغاثة الدولية لإيصال مساعدات الحدّ الأدنى. على صعيد عسكري يتواصل احتدام المعارك على جبهة مأرب آخر معاقل الشرعية اليمنية في الشمال، كما يتابع التحالف قصف مواقع مختلفة في اليمن، ويصعّد الحوثيون إطلاق الصواريخ على أهداف حيوية في الداخل السعودي. وحتى الساعة ليس من الواضح أي تقدّم في ما تسرّب من تقارير حول محادثات سرية سعودية – إيرانية، كما أن واشنطن لم تكشف الإجراءات العملية المقترنة بتصريحات الرئيس الأمريكي جو بايدن حول تعليق أو وقف صفقات الأسلحة إلى السعودية.

(حدث الأسبوع 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

إيران تشكل «قوات المهام» وتهدد الوحدات الأمريكية في القامشلي

الأسايش في تشييع خالد حاجي

سيشكل الدور الإيراني عنوان المرحلة المقبلة مع وصولها إلى القامشلي وتغلغلها في العشائر العربية، وستضاف القواعد الأمريكية في سوريا إلى قائمة القواعد المستهدفة من قبل إيران مثل العراق.

منهل باريش

سيطرت القوات الخاصة الكردية التابعة لقوى الأمن الداخلي «أسايش» ظهر الجمعة، على معظم حي طي ومساكن حي حليكو المجاور للمطار في مدينة القامشلي شمال شرق سوريا، بعد ثلاثة أيام من الاشتباكات بين «أسايش» وقوات «الدفاع الوطني» التابع لجيش النظام السوري.

بدأت المعارك، ليل الثلاثاء، بعد اعتقال حاجز «أسايش» في منطقة دوار الوحدة أحد أبرز قادة «الدفاع الوطني» عبد الفتاح الليلو، ما دفع مقاتلي الدفاع إلى مهاجمة الحاجز وتحرير الليلو، وأدى الهجوم إلى مقتل خالد حاجي، المسؤول في قوى الأمن الداخلي «أسايش» في القامشلي وسقوط عدد من القتلى من الجانبين.

سعت روسيا إلى محاولة فرض وقف لإطلاق نار في الحي المجاور لمطار القامشلي والذي تسيطر عليه القوات الروسية وتنتشر في محيطه. ولكن فشل وقف إطلاق النار، الأربعاء، بسبب تدخل «قوات المهام» وهي القوات التي دعمتها إيران وأعادت تشكيلها من «الدفاع الوطني» المتآكل والذي أوقف النظام دعمه وظل مقاتلوه بدون رواتب أو دعم عسكري، فاستغل الحجاج الإيرانيون ذلك، وقدموا عروضهم لقادة «الدفاع الوطني» ما أدى إلى ترك أكثر من نصف قادته إلى «قوات المهام» المشكلة إيرانيا، ودعمت الأخيرة فصائلهم بالرواتب والسيارات الجديدة والذخائر والأسلحة والقناصات.

وتداعى وجهاء وفاعلون اجتماعيون إلى عقد اجتماع كبير في مضافة الشيخ موفق السالم لتشكيل لجنة «صلح وتهدئة» وعلمت «القدس العربي» من مصدر محلي أنه حضر الاجتماع الدكتور فريد سعدون والمهندس بشير السعدي، الشيخ حسن الفرحان وبسمان العساف والإعلامي هشام شمعون والشيخ عمر الخمري والشيخ هايس الجربان وحسن قطريني والوجيه غازي إبراهيم ومحمد سعيد وندير اغا الاومري وممثلون عن المجلس الملي السرياني والأرمني. وحاول الوجهاء فرض هدنة على الطرفين المتنازعين والطلب من القيادة الروسية في مطار القامشلي نشر قواتها وحواجزها بين الطرفين واجبارهما على سحب حواجزهما من المنطقة، محاولين فرض ضغط شعبي لوقف القتال.

واغتيل الشيخ هايس الجربان بعد انتهاء الاجتماع، أمام منزله جنوب القامشلي، وتبادل الجانبان (أسايش والدفاع الوطني) الاتهامات حول الفاعل، فالجربان هو أحد وجهاء عشيرة بني سبعة وأولاده يقاتلون في قسد. وشيع ظهر الجمعة إلى مسقط رأسه قرب تل حميس من قبل قسد.

إلى ذلك، رجحت مصادر محلية متقاطعة لـ«القدس العربي» أن طريقة اغتيال الهايس كانت عبر قناصة، حيث لم يشاهد أحد في المنطقة القريبة لحظة مقتله، كما نفوا رؤية أو مرور أي سيارة. فيما تتواجد مواقع قريبة لـ«قوات المهام» المدعومة إيرانيا، وكذلك تتواجد قوات النظام في فوج القوات الخاصة جنوب المدينة، والمعروف محليا باسم فوج طرطب، وهو الفوج 54 قوات خاصة الذي يتبع للفرقة 18 مدرعات في جيش النظام والتي تنتشر في محافظات الحسكة والرقة ودير الزور.

وأشارت وسائط التواصل الاجتماعي المقربة من قسد إلى وجود قناصة في صفوف «الدفاع الوطني» أخرت تقدم القوات الخاصة وعناصر الوحدات الكردية في حي طي ومنعتها من الوصول إلى عمق سوق الحي وصولا إلى حي زنود، كما أعاقت تقدمها على المحور الواصل إلى مطار القامشلي. فيما تناقل بعض النشطاء وجود قناصة إيرانيين إلى جانب الدفاع الوطني دون التمكن من إثبات تلك الفرضية. كما أعلنت هيئة الدفاع في «الإدارة الذاتية» مشاركة قناصة إيرانيين في العمليات العسكرية في جنوب المدينة إلى جانب «الدفاع الوطني» ولكن من غير المستبعد وجود قناصة يتبعون إلى بعض الميليشيات الإيرانية المتواجدة في سوريا، أو ان تكون إيران دربت خلال الشهور القليلة الماضية «فرقة قناصة» في القوات التي الحقتها بها «قوات المهام» بدون الدفع بقناصة إيرانيين في منطقة مطوقة بالمقاتلين الأكراد.

وسيطرت القوات الخاصة الكردية على عدة مقرات للدفاع الوطني صباح الجمعة، في حي طي، هي مدارس ابن سينا وفاضل الحسن وسليمان عزو، وتوقفت الاشتباكات المباشرة مع توغل القوات الكردية وانسحاب مقاتلي الدفاع الوطني.

من جهة أخرى، دفعت هزيمة «الدفاع الوطني» النظام إلى محاولة تحشيد القبائل العربية ضد الأكراد، وتجلى ذلك من خلال بيان مصور بث بعد ظهر الجمعة، لعدد من وجهاء قبيلة طي في مضافة القبيلة في قرية جرمز، وقرأ البيان الشيخ فيصل العازل وهو بعثي وأحد وجهاء عشيرة المعامرة في قبيلة طي، وإلى جانبه عدد من شيوخ عشائر بني سبعة والراشد والحسو والغنام والأسعد وحرب، وإلى جانب الشيخ فيصل، وقف أحد المتعاقدين المدنيين في أمن الدولة بالقامشلي، وهو ما يوضح دور النظام في التحشيد العربي ضد الأكراد. وبث التلفزيون السوري الرسمي، الكلمة في البيان المصور للعشائر، ونشرت وكالة الأنباء «سانا» الرسمية البيان، أيضاً وناشد وجهاء قبيلة طي العشائر والقبائل في الجزيرة السورية من أجل «التكاتف والوقوف في وجه ميليشيا قسد المدعومة من الاحتلال الأمريكي التي تواصل اعتداءها على حي طي مستخدمة الأسلحة الثقيلة والمدرعات».

ووصف البيان استخدام السلاح والمدرعات من قبل قسد «بهذه الهمجية ضد المدنيين وارتقاء شهداء من الشيوخ والنساء والأطفال يشكل خيانة للشعب والأرض والتاريخ» ولم يفت الوجهاء الإشارة أن قسد مرتهنة لأمريكا وأنها «لم تراع القيم والأخلاق وتنفذ توجيهات سيدها الأمريكي الذي نهب خيرات وثروات البلاد من خلال ما يسمى قانون قيصر».

وطالب البيان بعض أبناء العشائر المنضوين في صفوف قسد إلى الانسحاب منها و«إعلان المقاومة الشعبية ضد المحتل الأمريكي وأدواته والمواجهة بكل عزة وشرف» ونوه بيان الوجهاء إلى أن ما يحصل هدفه «التشويش على الاستحقاق الرئاسي». وأكد شيوخ ووجهاء قبيلة طي على وقوفهم إلى «جانب الجيش العربي السوري في مواصلة الحرب على الإرهاب وتأمين الأمن والاستقرار على كامل الأراضي السورية».

في سياق متصل، أعلن قائد القيادة المركزية الأمريكية، الجنرال كينيث ماكنزي، أن بلاده «ستبذل جهدها لوقف الاشتباكات الدائرة في مدينة القامشلي، عن طريق الحوار» مؤكدا أن قسد «شريك مهم لنا وهي تقوم بحماية جنودنا».

وعلمت «القدس العربي» أن اجتماعا ضم ممثلين عن جيش النظام وقيادة القوات الروسية والوحدات الكردية، جرى في مطار القامشلي لبحث وقف إطلاق النار والهدنة، ليل الجمعة (لحظة كتابة هذا التقرير) واشترط المفاوضون الأكراد حل «الدفاع الوطني» في القامشلي، فيما رفض النظام ذلك. وتصر قوى الأمن الداخلي على فرض سيطرتها الأمنية على حي طي، وتشكيل مجلس مدني مشترك لإدارة شؤون الحياة في الحي وحي حليكو. فيما يبقى حي زنود تحت سيطرة جيش النظام دون وجود للدفاع الوطني. وطالب الضباط الروس وقف إطلاق نار مدة 24 ساعة حتى التوصل إلى اتفاق. وتعتبر أحياء طي وحليكو وزنود معقل الدفاع الوطني وهي الأحياء العربية الخالصة في المدينة، وتتاخم الأحياء مطار القامشلي وفوج القوات الخاصة. وهو ما يصعب عملية القضاء على «الدفاع الوطني» بشكل نهائي فيها. كما أن النظام بحاجة إلى قوة عربية رديفة له في القامشلي. وفي حال موافقته على إخراج «الدفاع الوطني» من القامشلي فهذا يعني أنه حصل على مقابل سياسي لقاء ذلك، قد يتعلق بمسألة السماح بفتح صناديق انتخابات الرئاسة أو باستمرار عمليات توريد النفط أو زيادتها. وسيشكل الدور الإيراني عنوان المرحلة المقبلة مع وصولها إلى القامشلي وتغلغلها في العشائر العربية هناك، وهذا يعني تزايد نفوذ اللاعبين الإقليميين والدوليين، وسيجعل إيران واحدا من معترضي الدوريات الأمريكية في شرق الفرات إلى جانب قوات النظام والقوات الروسية بين حين وآخر، وستضاف القواعد الأمريكية في سوريا إلى قائمة القواعد المستهدفة بالشرق الأوسط من قبل إيران كما يجري في العراق.

أوضاع تشاد غير المستقرة تلقي بظلال كثيفة على المسارات الليبية

تشييع الرئيس التشادي ديبي

عملية السلام في ليبيا ستتأثر سلبا بما يجري في تشاد، وستؤخر استكمال إخراج القوات الأجنبية ومن بينها الميليشيات التشادية التي حاربت إلى جانب حفتر.

رشيد خشانة

أكد مقتل الرئيس التشادي ادريس ديبي إتنو (68 عاما) على أيدي مسلحين أتوا من ليبيا، أن استمرار غياب الدولة من الجنوب الليبي السائب، ينطوي على مخاطر استراتيجية كبيرة على دول الجوار. ويُعتبر مصرع الماريشال ديبي ضربة قوية للنفوذ الفرنسي في منطقة الساحل والصحراء، بالنظر لموقع تشاد الخاص في شبكة الوجود العسكري الفرنسي في المنطقة. وتشكل تشاد الحلقة العسكرية الأقوى في «مجموعة الـ5» التي تضم كلا من تشاد والنيجر ومالي وموريتانيا وبوركينا فاسو، والتي تتولى فرنسا قيادتها عمليا. وعلى الرغم من تشكيل هذا الحلف للتصدي لحركات التمرد، تدخلت فرنسا في المنطقة بواسطة عملية «برخان» التي أطلقها وزير الخارجية الحالي جان إيف لودريان، عندما كان وزيرا للجيوش، في عهد الرئيس السابق فرنسوا أولاند. لذا توجد في قلب السياسة الفرنسية في ليبيا ومنطقة الساحل عموما، شخصية محورية هي الوزير لودريان، الذي كان مهندس التدخل العسكري في مالي سنة 2012 على عهد أولاند.

وعلى الرغم من أن خريطة الطريق التي وضعها لودريان لحماية المصالح الاقتصادية والاستراتيجية الفرنسية في ليبيا، قادت إلى الطريق الخطأ، لا تُبدي الحكومة الفرنسية حماسة كبيرة لمراجعتها وإحداث توازن في علاقاتها مع الطرفين المتصارعين في ليبيا. ويعتقد الخبير الفرنسي المتخصص في العلاقات الدولية رومان غيبار أن باريس توقفت عن إرسال السلاح إلى حفتر (كانت تدفع ثمنه الإمارات) لكنها ما زالت تحافظ على علاقات متينة مع الجنرال المتقاعد حتى وإن انزعج منها شركاؤها الأوروبيون، الذين لم تعد صدورهم تتسع لمجاملة «أمير حرب» (حفتر) بحسب غيبار.

وتحافظ فرنسا أيضا على علاقات قوية مع أنظمة استبدادية في منطقة الساحل وغرب أفريقيا، أسوة بحليفها ادريس ديبي، الذي سمى نفسه «مارشال تشاد». ويرى خبراء أن بلدا غنيا بالنفط والثروات الطبيعية الأخرى والامكانات الزراعية مثل تشاد، يخضع منذ ثلاثة عقود إلى حكم ديبي وأسرته، بحماية عسكرية فرنسية.

وعلى الرغم من اكتشاف ثروة نفطية في البلد منذ عشرين عاما، ما زال الفرنسيون يتكتمون على حجمها الحقيقي، فيما تستحوذ أسرة ديبي على إيراداتها لتضعها في الملاذات الضريبية، على ما يقول خبراء فرنسيون. وأسفرت هذه السياسة عن انخرام الأمن في البلد وتعميق الانقسامات العرقية والمناطقية، وضرب الحريات، فيما وضعت مؤشرات التنمية تشاد في أسفل سلم التنمية الاقتصادية والبشرية في العالم. وعندما تطالب قوى التغيير بإصلاح الأوضاع في البلد، يأتي جواب باريس وعواصم غربية أخرى بأن ديبي يشكل «سورا على الصعيد الإقليمي أمام انتشار الجماعات الإرهابية» وأن «لا أحد سواه قادر على احتواء الهجمات الجهادية واستيعاب الصراعات الحدودية» على الرغم من المجازر الكثيرة التي أمر بها، واحترافه إرسال ميليشيات مسلحة إلى بلدان الجوار.

وتحارب القوة الفرنسية المؤلفة من 5100 عسكري، مقاتلي الحركات المسلحة، الموضوعة على قائمات الإرهاب. وقد أعلن بعضها ولاءه لتنظيم «القاعدة» أو «داعش» وتتزايد المخاطر الأمنية في المنطقة، بسبب سرعة تحرك الجماعات المسلحة في مجموعات صغيرة على امتداد الحدود الليبية مع تشاد، وهي ثاني أطول حدود لها، بعد حدودها المشتركة مع مصر. لكن نادرا ما تغادر تلك القوات الفرنسية قواعدها، بالنظر لحجم الخسائر البشرية التي تتكبدها في مواجهة عناصر الجماعات المدربة، والتي تعرف التضاريس الطبيعية للمنطقة أفضل منها.

واختارت فرنسا تشاد مقرا لقوات عملية «برخان» لكونها حليفا مضمونا، فمنذ حصول هذا البلد الفقيرعلى استقلال صوري من فرنسا العام 1960 قاده رؤساء عينتهم باريس، بدءا من فرنسوا تومبولباي (1960–1975) الذي مات مقتولا، إلى غوكوني عويدي (1979–1982) إلى حسين حبري (1982–1990) الذي تم القَبض عليه، وحوكم في السنيغال، بتهمة ارتكاب جرائم ضد الغنسانية، في حين استلم الرئاسة بعده ادريس ديبي، الذي تمرد عليه واستطاع أن يُطيح به، ليبقى هو في سدة الرئاسة على مدى أكثر من ثلاثين عاما.

ميزان وريغان وديبي

وأتاح الموقع الاستراتيجي لتشاد، الواقعة إلى الجنوب من ليبيا، الفرصة لرؤسائها للظهور أمام الغرب، بمظهر الحليف الذي يمكن الاعتماد عليه في مواجهة مغامرات الزعيم الليبي معمر القذافي، وخاصة بعد غزو القوات الليبية لشمال تشاد في العام 1983. وانطلاقا من هذا الدور دعمت كل من فرنسا ميتران وأمريكا ريغان، حبري بكميات مهمة من المساعدات العسكرية. ثم أرسلت فرنسا 3000 مظليا لحماية نظام حبري من السقوط، فيما قدمت إدارة ريغان اثنتين من طائرات «أواكس» للمراقبة الإلكترونية وتأمين غطاء جوي، ما حمل القوات الليبية الغازية على الانسحاب، بحلول عام 1987. وساعدت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، التي كانت في حرب مع القذافي، في إنقاذ حبري. أكثر من ذلك، استخدمت قاعدة سرية في تشاد لتدريب الجنود الليبيين الذين أُسروا في المعارك، كي ينضموا إلى قوات معارضة للقذافي بقيادة ضابط أسير يدعى خليفة حفتر، والذي كان قائدا للقوات الليبية في تشاد.

تداعيات على ليبيا

من هنا فإن تداعيات اضطراب حبل الأمن في تشاد، معطوفا على مقتل الرئيس ديبي، ستكون لهما تأثيرات كبيرة في الوضع الليبي، فإذا ما ثبت أن الجماعات التي قتلت ديبي آتية من الشمال، أي من ليبيا، وهذا مؤكد، فهو يعني مرة أخرى أن الجنوب الليبي ما زال خارجا عن السيطرة، وأنه بات مفرخة ومحضنة للمتطرفين المسلحين، ومسرحا لجميع أصناف التهريب، بما فيه تهريب السلاح. كما يدل أيضا على أن معاودة السلطات المركزية إحكام قبضتها على الجنوب عملية معقدة وصعبة المنال، في ظل التقدم الوئيد للعمليتين السياسية والعسكرية.

وتبدو السلطات الليبية مرتبكة في تعاطيها مع المستجدات الخطرة في تشاد، بالرغم من أن وزارة الخارجية أنشأت غرفة طوارئ لمتابعة الوضع هناك، كما تخاطب رئيس المجلس الرئاسي محمد المنفي هاتفيا مع الرئيسين السوداني والنيجري، لكن الجماعات التشادية المعارضة ما زالت تتمتع داخل ليبيا بحماية الجنرال حفتر. وإذا ما بقي الوضع محتقنا في تشاد، فإن ذلك لا يساعد على التقدم في المسارين الليبيين وهما الاستفتاء على الدستور وإجراء الانتخابات في الميقات المحدد لها.

انقلاب قصر؟

وهناك من يعتقد أن الضبابية التي أحاطت بالعملية العسكرية التي قضى فيها ديبي نحبه، عززت الآراء القائلة بأن ما حدث هو انقلاب قصر، للتخلص من ديبي المتشبث بالحكم، بعد العقود الثلاثة التي أمضاها في سدة الرئاسة، وإقدامه على تنظيم انتخابات صورية للتجديد له للولاية السادسة على التوالي. وقد يكون البعض داخل الفئة الحاكمة يعتقد أن ديبي بات عبئا على حليفتيه الغربيتين فرنسا وأمريكا، ومُعطلا للتفاهم مع المعارضة المسلحة التشادية، بما لا يُسهل إعادة الاستقرار إلى البلد، وبما يحد أيضا من التداعيات السلبية للصراع في تشاد على المسار السياسي الليبي.

وكيفما كان المآل في تشاد، فإن عملية السلام في ليبيا ستتأثر سلبا بما يجري على أراضي الجار الجنوبي، لأن الحرب التي ما زالت دائرة مع المتمردين، ستؤخر استكمال إخراج القوات الأجنبية من ليبيا، ومن بينها الميليشيات التشادية التي حاربت إلى جانب الجنرال حفتر.

تركيا وفرنسا

ورجح محللون آخرون أن تركيا الداعمة للمعارضة التشادية، وفرنسا حليفة ديبي، هما اللتان تقفان خلف الصراع الدائر حاليا في ليبيا. وتعليقا على الأحداث الأخيرة، قال عضو مجلس النواب الليبي سعيد امغيب إنه كان يستبعد تخلي باريس عن حليف استراتيجي قوي، مثل إدريس ديبي، ومحاولة إزاحته عن الحكم بالقوة. وتابع أمغيب قائلا «بطل العجب عندما تبين لي أن الفرنسيين كانوا على علم بما سيحدث في تشاد، التي حكمها ديبي لأكثر من ثلاثين سنة، فأصبحت هشة مثل كل الأنظمة التي تصل إلى مثل هذه الفترة، علاوة على ان ديبي كان مريضا بالسرطان، كما أشارت إلى ذلك بعض التقارير، وبالتالي فالفرنسيون بحاجة إلى بديل قوي يحل محله». ولم يستبعد أمغيب أنهم اشترطوا توريث الحكم إلى نجله محمد (37 عاما) قائد الحرس الرئاسي «الذي توافق عليه جنرالات الجيش في وقت قياسي يثير الاستغراب في بلد مثل تشاد» على ما قال امغيب.

أمريكا غائبة حاضرة

في المقابل، بقيت أمريكا خارج هذا المشهد، فهي مكتفية، في ظل الإدارة الجديدة، بدعم الموقف الفرنسي، بناء على أن هذه المنطقة لم تعد ضمن أولوياتها، مع العلم أنها تتابع ما يجري في ليبيا بالاعتماد على وسائل المراقبة المتطورة، التي تمتلكها القيادة الأمريكية لأفريقيا المعروفة بـ«أفريكوم».

أما باريس فبعدما احترقت أوراقها مع احتراق ورقة حفتر، الذي راهن عليه قصر الإليزيه إلى اللحظة الأخيرة، أتى انقلاب العسكر في مالي، يوم 18 آب/أغسطس الماضي، والذي أطاح بصديقها الرئيس ابراهيم أبو بكر كايتا (75 عاما) ليُزعزع الأوضاع الأمنية الهشة في منطقة الساحل والصحراء، ويُظهر عجز قوات «عملية برخان» على ضبط الأمور، وهي التي تنتشر في منطقة تزيد مساحتها على ضعف مساحة فرنسا، ما جعلها في مواجهة دائمة مع الجماعات الإرهابية، التي تتحصن في الفضاء الصحراوي الشاسع. وكانت مالي عرفت انقلابا عسكريا مماثلا لتشاد في آذار/مارس 2012 قاده ضباط ضد نظام اعتبروه عاجزا عن احتواء انتفاضات عرقية هنا وهناك، وفاشلا في وقف الصدامات مع جماعات مسلحة سيطرت على شمال البلد.

ومع أن ماكرون تعهد في 2018 بالقضاء النهائي على الجماعات المسلحة وشبكات التهريب، إلا أن الحرب في كل من مالي وتشاد صارت أطول من حرب التحرير الجزائرية (1954–1962).

ويقول الخبير الفرنسي نيكولا باروت إن باريس تتابع الأوضاع في مالي بقلق شديد باعتباره إخفاقا استراتيجيا. وأقرّ باروت بوجود خلاف داخل القيادة الفرنسية، بين من يدعون إلى الانحاط من الإخفاقات السابقة وفتح قنوات الحوار مع العناصر المعتدلة في حركات التمرد، من جهة، والداعين إلى التمادي في اللجوء للغة السلاح من جهة ثانية. واعتبر أن الخلاف يعكس مقدار التردد والشك المُحيطين بمركز القرار الفرنسي، سواء في الإليزيه أو في «الديرية العامة للاستخبارات الخارجية».

في الخلاصة ما زالت الأوضاع غير المستقرة في تشاد تلقي بظلال كثيفة على المسارات الليبية، لارتباطها بملفات شائكة، ليس أقلها صعوبة إخراج الميليشيات من الجنوب في الوقت الراهن، ما يستدعي تضافر الجهود المحلية والدولية، لإزالة الحواجز من طريق التسوية السلمية للصراع الليبي الليبي.

السنة الثانية والثلاثون العدد 10245 الأحد 25 نيسان (أبريل) 2021 – 13 رمضان 1442 هـ

حضور دولي في تشييع جنرال تشاد يقايض الديمقراطية بالاستقرار ومؤشرات الفوضى ما تزال قائمة

ماكرون ومحمد ديبي

لقاء البرهان وماكرون على هامش تشييع الرئيس التشادي تناول الوضع في تشاد والمساعدة التي من الممكن أن يقدمها السودان في استقرار الوضع الجديد بعد رحيل الرئيس ديبي.

الخرطوم ـ «القدس العربي»: عمار عوض

شيعت تشاد أمس الأول الجمعة رئيسها الراحل إدريس ديبي اتنو الذي قيل انه قتل في إحدى المعارك مع المعارضة التشادية التي كانت في طريقها إلى العاصمة انجمينا بعد ساعات من إعلان فوز الرئيس الراحل في الانتخابات العامة بنسبة 71 في المئة من الأصوات في انتخابات شهدت عزوفا عن المشاركة لنتيجتها المعروفة سلفا. لكن قائد المعارضة محمد مهدي كان له رأي آخر حيث تقدم بمقاتليه من الجنوب الليبي قاصدا تغيير الحكم في تشاد عبر قوة غالبها ليس لها أفق سياسي ولكنها كانت مضطرة لمغادرة ليبيا برغبة القيادات الليبية التي آثرت إنهاء القتال الذي كانت تستخدم فيه مقاتلين «مرتزقة» من عدد من دول الجوار في تشاد ومالي والنيجر والسودان.

وتجمع الروايات على أن هذه القوة غير المنسجمة تعرضت لهزيمة قاسية في منطقة كانم شمال تشاد 300 كلم من العاصمة وان الرئيس المقتول غادر إلى ميدان المعركة بعد إعلان فوزه في الانتخابات لرفع روح جنده المعنوية الذين يقودهم نجله الجنرال محمد إدريس الذي وقت حضور والده لأرض المعركة كان يطارد فلول قوات المعارضة التي وجدت سرية مقاتلة نفسها في مواجهة قوة من الجيش التشادي لتشتبك معها، ومع اشتداد القتال أصابت قذيفة الرئيس الذي كان في معية القوة التي كانت تقاتل بضراوة ليتم نقله للعاصمة إذ وافته المنية فيها متأثرا بجراحه، ليقوم قادة الجيش بترتيب حالهم بسرعة وإعلان نجله قائد الحرس الجمهوري رئيسا للمجلس العسكري الانتقالي الذي ضم وزير الدفاع وقادة الوحدات العسكرية الذين قاتلوا وتحالفوا مع والده من إثنيات تشاد المختلفة.

ووجد هذا المجلس ورئيسه الجديد مباركة سريعة من فرنسا التي تعتبر مستعمرتها السابقة تشاد منطقة حيوية لا يمكن التهاون في استقرارها لما لها من أهمية استراتيجية تكمن في انها خط الدفاع الأول في مواجهة الإرهابيين على شاكلة «داعش» المتفهقرة من ليبيا والقاعدة في شمال أفريقيا التي تنتشر في صحاري مالي والنيجر وبوكو حرام القادمة من نيجيريا، وكان لرئيس تشاد القدح المعلى في دحر هذه المجموعات الإرهابية عبر قوة مشتركة مع فرنسا كان يقودها نجله الجنرال محمد إدريس الذي جرى تنصيبه عقب مقتل والده.

وسارعت جميع دول الجوار إلى تثبيت حكمه بإقراره رئيسا للبلاد عبر الحضور الدولي الكثيف لمراسم التشييع يتقدمهم الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون ورئيس مجلس السيادة السوداني عبد الفتاح البرهان ورؤساء النيجر ومالي وممثلين من دول الجزائر وأفريقيا الوسطى وغيرهم من بلدان غرب أفريقيا وجنوب الصحراء.

وظهر هذا التأييد الفرنسي بشكل أولي وواضح خلال اللقاء الذي جمع النائب الأول لرئيس مجلس السيادة الانتقالي الفريق أول محمد حمدان دقلو بمكتبه، بالقصر الجمهوري يوم الأربعاء، مع المبعوث الفرنسي للسودان السيد جان ميشيل دايموند، وهو اللقاء الذي خصص لتطورات الأوضاع في جمهورية تشاد، عقب رحيل الرئيس إدريس ديبي.

وبحسب بيان إعلام الرئاسة السودانية «اتفق الجانبان السوداني والفرنسي على ضرورة التنسيق والعمل معا من أجل استقرار الأوضاع في تشاد.»

وأوضح المبعوث الفرنسي للسودان جان ميشيل بحسب البيان ذاته، أن لقائه مع نائب رئيس مجلس السيادة تم بطلب من وزير الخارجية الفرنسية، لمناقشة الأوضاع في جمهورية تشاد مع الجانب السوداني، مشيرا إلى ان السودان وفرنسا يتشاركان الأهداف نفسها، المتعلقة بضرورة المحافظة على الأمن والاستقرار في جمهورية تشاد.

وكانت المفاجأة عندما أعلن المبعوث الفرنسي أن «بلاده تدعم المجلس الانتقالي الذي تم تشكيله في تشاد» والذي لم يكن مضى على إعلانه ساعات فقط ما يشير إلى أن فرنسا باركته في الساعات التي تلت وفاة ديبي يوم الاثنين الماضي ومع إعلان خبر الوفاة وتشكيل المجلس يوم الثلاثاء.

وقال المبعوث الفرنسي الذي استقل وجوده في الخرطوم ولقائه مع محمد حمدان دقلو في القصر الرئاسي وهو الشخصية المؤثرة في نواحي تشاد نتيجة للتداخل القبلي بين البلدين وباعتباره القائد المرجح لتثبيت نجل ديبي في الحكم قال الفرنسي «أن ما يحدث في تشاد يؤثر على السودان والعكس صحيح. وأن النموذج الناجح في السودان والمتمثل في تجربة حكومة انتقالية مشتركة بين المدنيين والعسكريين يمكن ان يقدم نموذجا ملهما للنجاح للتشاديين، رغم عدم تطابق الأوضاع في البلدين».

وبرر أحد الجنرالات العسكريين المؤثرين في حكم السودان وعلاقاته الخارجية لـ«القدس العربي» قائلا «جميع قادة العالم يتحدثون عن أهمية استقرار تشاد حتى لو تحت حكم عسكري في الوقت الراهن وأهمية تثبيت الأمن وعدم تكرار ما حدث في ليبيا. لأن الأمن أصبح أهم من تطبيق الديمقراطية في وضع تشاد الجيوبولتكس بالنسبة لأفريقيا وتحركات الجماعات الإرهابية في ليبيا وبوكو حرام وحتى أفريقيا الوسطى».

وتابع زميله الآخر المهتم بالشؤون العسكرية بالقول لـ«القدس العربي» صحيح نحن «أتينا في أعقاب نظام شمولي ونعمل لتحول سلمي وديمقراطي، لكن الوضع في تشاد لا يتحمل الفراغ ولا نذر حرب أهلية كانت تلوح في الأفق بعد مقتل الرئيس ديبي لطبيعة مجتمع تشاد الذي تظهر القبيلة فيه أكثر من السياسة أو الحزبية» وزاد «لدينا أوضاع صعبة في إقليم دارفور نحاول أن لا ينفرط الأمن فيها وتعود سنوات الحرب والدم من جديد وأي انفلات في تشاد سيؤثر على أمننا واستقرارنا نتيجة لتداخل القبائل وتبعثرها بين المعارضين والحاكمين في تشاد والأهم من ذلك للعالم كله أن تشاد في قلب المعركة على الإرهاب الذي يتجول في الصحاري بعد هزيمته من قبل إدريس وتدهور الأمن سيعني عودته بقوة في نيجريا وليبيا ومالي والنيجر ولا أحد يمكن أن يقايض الديمقراطية بهذه الفوضى الواضحة معالمها وإشاراتها ومؤشرات حدوثها بغياب ديبي أو عدم استقرار تشاد وغرقها في حرب أهلية تنحول بها لحاضنة للإرهاب ومصدرة له في ظل فشل الدولة التشادية وتبعثرها».

وكان إعلام الرئاسة السودانية كشف نهار الجمعة عن لقاء جمع رئيس مجلس السيادة الانتقالي الفريق أول ركن عبدالفتاح البرهان مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون على هامش تشييع الرئيس التشادي الراحل إدريس ديبي في انجمينا، وتناول اللقاء بحسب بيان الرئاسة السودانية «الوضع في تشاد والمساعدة التي من الممكن أن يقدمها السودان في استقرار الوضع الجديد في دولة تشاد بعد رحيل الرئيس إدريس ديبي».

وتابع البيان «أكد الجانبان السوداني والفرنسي على ضرورة التنسيق بين بلديهما لترسيخ الأمن والاستقرار في المنطقة».

وفي غضون ذلك أصدر السودان وليبيا والنيجر، يوم الخميس الماضي، بياناً مشتركاً حول الوضع في تشاد.

وأكدت البلدان الثلاثة في بيانها المشترك على متابعتهم باهتمام بالغ للتطورات الأمنية على الساحة التشادية، وثمن البيان المشترك، الدور الذي ظل يؤديه الرئيس الراحل إدريس ديبي في المنطقة ومساهمته الفعالة في مكافحة الجماعات الإرهابية.

ودعا إلى تغليب مصلحة البلاد وانتهاج الحوار والتحلي بروح المسؤولية حفاظاً على الأمن والسلم في المنطقة مجددين التزامهم بالحفاظ على وحدة تشاد وسلامة أراضيها.

وحث البيان الجهات المعنية في تشاد على إقامة حوار وطني بين مختلف الأطراف السياسية في البلاد والتوقف عن اللجوء إلى القوة أو التهديد باستخدامها.

وأكد قادة السودان وليبيا والنيجر في بيانهم المشترك على تكثيف الجهود المشتركة لدعم التعاون الأمني ومراقبة الحدود المشتركة وتوطيد السلام والاستقرار وحسن الجوار وتفعيل اتفاق تعزيز التعاون بين دول القارة الأفريقية.

وناشد القادة مجلس السلم والأمن الأفريقي من أجل عقد جلسة طارئة لاتخاذ خطوات وتدابير تؤدي إلى التخفيف من التوتر في المنطقة.

لكن مع سرعة «لملمة» الموضوع في تشاد تظل هناك الكثير من الأسئلة بلا أجوبة ومثال عليها: لماذا تقاعست فرنسا عن نصرة حليفها الاستراتيجي إدريس ديبي الذي قاتل من أجل مصالحها لمدة ثلاثين عاما وسبق لها أن تدخلت طائراتها لحماية حكمه وقصف معارضيه الذين توجهوا للإطاحة به ثلاث مرات ولكن هذه المرة وقفت طائراتها ساكتة في مدرجاتها وحليفها يقاتل وحده إلى أن صرعه خصومه لتسارع كمن يكفر عن ذنبه بتأييد ابنه وطاقمه الجديد من عسكريين؟

لكن الثابت أن الأمر لن يستقر في تشاد بهذه السهولة فالمجموعات القبلية العربية التي دانت لها السيطرة على النيجر بانتخاب أول رئيس عربي منذ 40 عاما والتي صارت رقما لا يستهان به في السياسة الداخلية والخارجية في السودان من غير المعروف في هذا الوقت المبكر ماهية سياستها وهل ستجنح لتثبيت حكم الشاب الثلاثيني محمد إدريس أم ستتجه لتغيير ناعم في السلطة يجعل لها اليد العليا في قصر الرئاسة في انجمينا؟

وفي غضون ذلك كله يبقى الوضع في دولة أفريقيا الوسطى مفتوحا على كل الاتجاهات خاصة وأن الرئيس الراحل إدريس ديبي كان يرعى الوساطة بين الحاكمين وجماعات المعارضة التي رفضت الاعتراف بنتيجة الانتخابات الأخيرة، وفي إطار هذا الوضع نجد التنافس بين الكرملين الذي أوجد لنفسه موطئ قدم في دهاليز السلطة بأفريقيا الوسطى بقوات عسكرية كبيرة الحجم وبين قصر الإليزيه في باريس الذي يكابد اللقاء نفوذه في مستعمرته السابقة أفريقيا الوسطى عبر حليفهم الغائب إدريس ديبي.

لكن بالعموم فإن الأوضاع في جنوب الصحراء من تشاد إلى دارفور إلى أفريقيا الوسطى مفتوح على احتمالات الحرب الراجحة والاستقرار الذي في مهب الريح أن تقاصرت القوى العظمى عن دعم مقوماته في الخرطوم وانجمينا وبانغي.

Volume 32 - Issue 10245 Sunday 25 April 2021

عودة عقدة «فرقة الإنشاد» بين هواري والمحافظة والخرابشة: تصدع في جبهة خبراء الوباء الأردنية

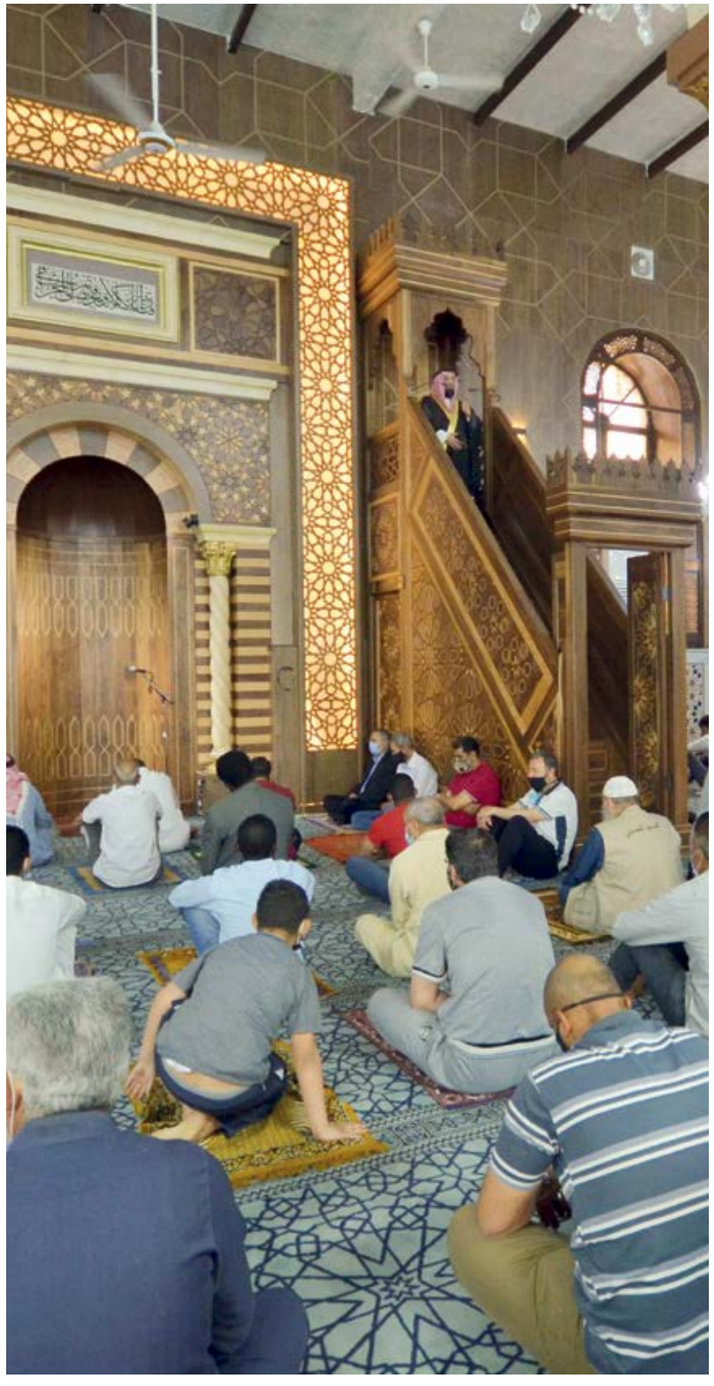

التصدع الحاصل بين الوزارة ولجنة الوباء الوطني يعيد إنتاج الجدل حول جدوى الاستمرار بقرارات الحظر الشامل ليوم بالأسبوع والحظر الجزئي.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

وضع وزير الصحة الأردني الأسبق الدكتور سعد الخرابشة زميله وزير الصحة الحالي والجديد عمليا الدكتور فراس الهواري تحت الأضواء الساطعة قسرا عندما قرر الاستقالة من منصبه في رئاسة اللجنة الحكومية لتقييم الوضع الوبائي على إثر خلافات واضحة بين الرجلين ما أدى إلى دفع الوزير الهواري الصامت عمليا حتى الآن منذ عدة أسابيع إلى مسرح الأضواء السياسية في واحدة من المحطات التي لا ترغب فيها الحكومة الآن على الأقل.

الخرابشة قرر الاستقالة من منصبه في رئاسة لجنة التقييم الوبائي وبنفس طريقة استقالة زميله السابق الوزير أيضا الدكتور عزمي المحافظة، حيث برزت عقدة «فرقة الإنشاد» وتربيط وتفكيك العلاقة بين اللجنة الوبائية وخبراء الوباء وبين الحكومة ووزير الصحة أو وزارة الصحة.

اللافت في المسألة ان الخرابشة تقدم باستقالة أشبه بمرافعة سياسية وصحية في الواقع وتم توزيعها ونشرها على نطاق واسع واستقطبت وسائل الإعلام قبل أن يسلط الأضواء على تجاذبات الوبائيين أيضا الدكتور محافظة بتغريدة «غاضبة» بسبب تجاهل توجيه الشكر له من قبل الهواري «تلميذه سابقا».

نص استقالة الخرابشة يظهر وجود خلاف مع الحكومة على تقييم كفاءة ودور الحظر الشامل ليوم الجمعة من كل أسبوع في المنحنى الوبائي وفي زيادة أو نقصان عدد الإصابات بالفيروس.

حسب نص استقالة الخرابشة اجتمع الوزير الهواري باللجنة الوبائية ولجان الخبراء وطلب منهم وقف التصريحات وترك عمليا الميكروفون الإعلامي للحكومة ولوزارة الصحة تجنبا لظهور الصلاحيات المتعددة في أكثر من اتجاه.

ويبدو ان نقطة الخلاف الرئيسية كانت تلك المتعلقة بتقييم مسألة يوم الجمعة .

لاحقا رد الهواري على الخرابشة المستقيل من اللجنة الوطنية للوباء مشيرا إلى ان الإصابات المتعلقة بالمنحنى الوبائي كان يمكن ان لا تنخفض لولا حظر يوم الجمعة . ويصنف الهواري بالعادة من خبراء الوباء الذين يتحفظون على دور الحظر الشامل ليوم الجمعة فيما يعتبر الخرابشة حسب دراسات دقيقة أجراها بأن هذا الحظر تحديدا بصفة شاملة لا يؤدي الغرض المطلوب منه ولا يحدث فارقا في مسألة الإصابات وتعددها.

في الوقت نفسه يبدو ان التصدع بين وزارة الصحة ولجنة خبراء الوباء بدأ يزيد، حيث أعلنت عضو اللجنة الأوبئة الدكتورة نجوى الخوري بان الدراسات الخاصة بالخرابشة عن الوضع الوبائي في الأردن دقيقة، واعتبرت في مداخلة إذاعية ان أضرار الحظر الشامل حاليا أكثر من نفعه، مبينة فيما يتعلق بإجراءات الحكومة ان دور لجنة الأوبئة استشاري فقط محذرة من أن انخفاض الإصابات يتطلب الانتباه والحرص على المزيد من الالتزام.

في الأثناء وعلى كاميرا البث المباشر عبر منصات التواصل ظهر مجددا الوزير الهواري يتفقد أكبر مستشفى في الأردن مخصص لحالات الإصابة بمرض كورونا.

في اللقاء دموع من أحد المواطنين الذي تعثر بالوزير وهو يقوم بجولته وشكوى من غياب المعلومات ومن الإهمال حسب المواطن الذي أدى إلى تعطل جهاز الاكسجين لوالده ووالدته في المستشفى.

كل تلك الأضواء لاحقت الوزير الهواري بدون إرادة أو تخطيط مسبق منه، بمعنى ان ما تفعله وزاره الصحة بعد نحو ستة أسابيع من العمل الجدي والعميق خلف الستارة وبدون ظهور الوزير في استعراضات إعلامية أصبح الآن تحت الأضواء الساطعة والكاشفة خصوصا مع التصدع الحاصل بين الوزارة ولجنة الوباء الوطني. وهو بطبيعة الحال تصدع من الطراز الذي لا يمكن اخفاؤه بعد الآن ويعيد إنتاج الجدل حول كفاءة وجدوى وإنتاجية الاستمرار بقرارات الحظر الشامل ليوم بالأسبوع وكذلك قرارات الحظر الجزئي حيث السماح للمواطنين بالحركة والتنقل والتسوق في شهر رمضان المبارك إلى الساعة السابعة بعد العصر فقط.

الجهات الحكومية تتحدث عن مراجعة لإجراءات الحظر في ظل تحسن واضح وملموس للمنحنى الوبائي في العاصمة الأردنية عمان على الأقل.

المراجعات قد تشمل تمديد الحظر الجزئي وإعادة تقييم حظر للجمعة تحديدا والذي يشتكي منه القطاع التجاري والنشاط الاقتصادي والذي نتج عنه أيضا تذمر كبير في المجتمع وخصوصا وان ازدحامات في الأسواق تسبقه بيوم وتعقبه بيوم آخر.

الوزير الهواري أعلن بان هناك مراجعة لإعادة تقييم الحظر الشامل ليوم الجمعة لكن القرار لم يتخذ بعد وهو الرأي الذي أدلى به أصلا الدكتور الخرابشة قبل إعلان وصياغة ونشر استقالته العريضة.

بمعنى تقر الحكومة عن بعد بأن الحظر الشامل يوم الجمعة يحتاج لمراجعة وتقييم. وقد لا يكون مفيدا في تقليص المنحنى الوبائي وهو نفس الرأي الذي سمعته «القدس العربي» في ندوة خاصة شارك بها من خبير الوبائيات البارز الدكتور عزمي محافظة والذي اعتبر بانه مجددا لا توجد أدلة علمية على ان الحظر الشامل يؤدي إلى تقليص عدد الإصابات في الأردن.

السنة الثانية والثلاثون العدد 10245 الأحد 25 نيسان (أبريل) 2021 – 13 رمضان 1442 هـ

لبنان: انقلاب الفرزلي على العهد تعبير عن خوف مسيحي من مغامرة عونية تُسقِط الهيكل

إذا كان الفرزلي دعا الجيش إلى أن يرسل عون إلى بيته، فإن مثل هذه الدعوة لم تصدر بعد لا عن البطريرك الماروني ولا عن رئيس حزب القوات اللبنانية.

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

أحدث خروج نائب رئيس مجلس النواب ايلي الفرزلي من «تكتّل لبنان القوي» ومن الدائرة اللصيقة برئيس الجمهورية ميشال عون صدمة في صفوف العهد والتيار الوطني الحر خصوصاً أنه كان من كبار المنظّرين إلى جانب رئيس الجمهورية وأبرز من سوّقوا لانتخابه وأحد أركان «خلية السبت» التي كانت تلتقي عون كل يوم سبت في الرابية ولم يبقَ منها إلى جانب عون إلا مستشار القصر سليم جريصاتي فيما انفرط عقد الباقين وهم الوزير السابق كريم بقرادوني والإعلامي جان عزيز والسفير عبد الله بو حبيب وصهر الجنرال النائب العميد شامل روكز.

ولعب الفرزلي دوراً كبيراً في إقناع «تكتل التغيير والإصلاح» بتبنّي مشروع «اللقاء الأورثوذكسي» الذي كان يقوم على انتخاب كل طائفة لنوابها على أساس لبنان دائرة انتخابية واحدة مع النسبية. هذا المشروع الذي أيّده ظاهراً الثنائي الشيعي وعارضه الحزب التقدمي الاشتراكي وتيار المستقبل قبل أن تعلن القوات اللبنانية عدم تأييدها لهذا المشروع مسايرة لحلفائها وحفاظاً على الوحدة الوطنية.

ولم يكن الفرزلي الأول الذي يخرج من تكتل نيابي يرأسه عون أو النائب جبران باسيل، فقد فعل ذلك في زمن «تكتل الإصلاح والتغيير» النائب ميشال المر ثم النائب عاصم عراجي والنائب ايلي سكاف، وانسحب من «تكتل لبنان القوي» كل من رئيس حركة الاستقلال النائب ميشال معوّض، ونائب كسروان نعمت افرام ونائب زحلة ميشال ضاهر وقبلهم النائب شامل روكز.

وتعبّر هذه الانسحابات والاستقالات من التكتل عن حالة من عدم الرضى المسيحي على أداء العهد وتياره وعن خيبة أمل مما آلت إليه الأمور في ظل أخذ رئيس الجمهورية برأي باسيل حصراً وتجاهل آراء الباقين حتى بات يصحّ ما يقوله الرئيس المكلف سعد الحريري عن الرئيس الظل بدل الرئيس الأصلي، بعدما أطلق رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع مقولته الشهيرة «قوم بوس تيريز» في إشارة إلى طلب الرئيس عون منه التفاهم مع باسيل في كل مرة يزوره لمناقشة قضايا عالقة بين العهد والقوات.

وطبعاً لم يكن خروج الفرزلي اليوم من التكتل سوى تعبير عن اعتقاده أن الأزمة الراهنة ستولّد الانفجار إذا بقي الأداء على حاله وأكبر دليل ما شهدته حالة القاضية غادة عون التي يُخشى من أن يكون تمرّدها مقدمة لحالة تمرّد مماثلة قد يشهدها اللبنانيون عند انتهاء ولاية ميشال عون الذي لن يغادر على الأرجح القصر الجمهوري ما لم يتأمّن انتخاب صهره جبران باسيل بديلاً عنه أو ما لم يتم انتخاب رئيس ودخلت البلاد في فراغ رئاسي.

وعليه وجد الفرزلي أن إعادة تموضعه السياسي هو أولاً لمصلحة الوطن التي تفترض التعاطي من قبل الرؤساء وكبار المسؤولين بعقلانية وعدم انفعال من أجل تسريع تأليف الحكومة وعدم وضع العراقيل أمام كل ما من شأنه إنقاذ البلد من الانهيار، وثانياً لمصلحته السياسية

ايلي الفرزلي

في منطقة البقاع الغربي حيث تراجع حضور التيار العوني في بيئة يغلب عليها حضور تيار المستقبل بزعامة الرئيس سعد الحريري وحضور «حركة أمل» بزعامة الرئيس نبيه بري. ولا يقتصر تراجع شعبية عون على البقاع الغربي بل هذا التراجع يمتدّ إلى المناطق التي شكّلت المناطق الانتخابية الرئيسية للتيار البرتقالي ومنها كسروان وبعبدا والمتن وجبيل، وهذا ما يفسّر خوف العهد من تحديد موعد لإجراء انتخابات نيابية فرعية في المقاعد النيابية التي شغرت باستقالة 8 نواب ووفاة إثنين، لأن هذه الانتخابات ستكشف أن التيار الذي يدّعي أنه الأوسع تمثيلاً مسيحياً لم يعد كذلك، بل أن المرجعية المسيحية والمارونية استرجعتها بكركي فيما حافظت القوات اللبنانية على حضورها الشعبي والسياسي في الشارع المسيحي وباتت هي الأقوى.

ويسود خوف لدى بكركي والقوات اللبنانية من أن يعيد الجنرال عون عقارب الزمن إلى الوراء عندما خاض حروباً مدمّرة وعبثية أنهكت المسيحيين تارة تحت عنوان «حرب التحرير» وطوراً تحت عنوان «توحيد البندقية» أو ما عُرف بـ«حرب الإلغاء» واللتين أوصلتا إلى اتفاق الطائف الذي يشكو منه عون ويعتبر أنه قلّص صلاحيات رئيس الجمهورية. وتدرك بكركي والقوات أن عون السريع الغضب والانفعال والذي يسكر برؤية الجماهير تماماً كما فعلت القاضية غادة عون، من غير المستبعد أن يقوم بمغامرة شعبوية جديدة تؤدي إلى الإطاحة بإتفاق الطائف لصالح اتفاق جديد في ظل موازين القوى الحالية التي هي لمصلحة حزب الله، ما يهدّد المناصفة بين المسيحيين والمسلمين لصالح المثالثة ويضعف المكوّن المسيحي.

وإذا كان الفرزلي دعا الجيش إلى أن يرسل عون إلى بيته، فإن مثل هذه الدعوة لم تصدر بعد لا عن البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي ولا عن رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع على الرغم من مناداة الأخير برحيل كل المنظومة الحاكمة. فالبطريرك الذي يسود الجفاء والتباعد في النظرة السياسية والوطنية بينه وبين الممثل المسيحي الأول في السلطة يتجنّب تسجيل سابقة في هذه الظروف بالمطالبة باستقالة رئيس الجمهورية خشية إضعاف الموقع المسيحي في التركيبة الوطنية، فيما جعجع يعتبر أن المطالبة باستقالة عون في ظل الأكثرية النيابية الحاكمة في مجلس النواب ستعني وصول رئيس آخر على شاكلة عون أو أسوأ منه. من هنا تشدّد القوات على إجراء انتخابات نيابية مبكّرة لتغيير الأكثرية النيابية الأمر الذي يضمن انتخاب رئيس مختلف من أكثرية نيابية مختلفة، وتستمر في تسجيل الملاحظات السلبية بحق العهد داعية إلى التخلّص من الطبقة الحاكمة قبل سقوط الهيكل.

Volume 32 - Issue 10245 Sunday 25 April 2021

ملاحقة الفاسدين في العراق ردع قانوني أم صراع سياسي؟

عجز الحكومة عن ملاحقة مسؤولين مرتبطين بأحزاب سياسية لديها فصائل مسلحة، يجعل تطبيق قرارات ملاحقة الفاسدين انتقائية ومحدودة ولا تشمل كبار المتورطين.

بغداد – «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

يتواصل صراع شرس في العراق، بين مافيات الفساد المدعومة ببعض أحزاب السلطة والميليشيات، وبين القضاء المسنود شعبيا، في مسعاه للحد من نهب المال العام الذي وصل إلى مستويات قياسية عالمية غير مسبوقة في وقت يعيش ثلث الشعب في فقر وأزمات طاحنة مزمنة جراء تفشي الفساد وسوء الإدارة التي أوصلت البلد إلى حافية الانهيار الشامل رغم الامكانيات الهائلة فيه.

وفي مؤشر لحجم الفساد في العراق، أعلنت هيئة النزاهة الاتحادية (الحكومية) في العراق، عن إجراءاتها الأخيرة لمكافحة الفساد، عبر إصدار مذكرات القاء القبض وتحقيق مع مسؤولين حاليين وسابقين متورطين بقضايا الفساد ونهب المال العام. وكشفت الهيئة عن أوامر القبض والاستقدام الصادرة بحقّ المسؤولين خلال شهر آذار/مارس الماضي، مبينة أنها جاءت على خلفية قضايا وملفات حققت فيها وأحالتها إلى القضاء، وبضمنها صدور 58 أمر قبض واستقدام بحق مسؤولين، بينهم نواب ووزراء ومسؤولون حكوميون حاليون وسابقون. وكانت الهيئة أعلنت في تقريرها السنوي لعام 2020، إصدار 82 أمر استقدام وقبض بحق وزراء ومن بدرجتهم، فيما كان عدد أوامر القبض والاستقدام الصادرة بحق المديرين العامين والدرجات الخاصة 133 أمرا. وإذا كانت أرقام القضايا كبيرة، إلا ان المؤسف ان أغلبها لم ينفذ، لتمتع الفاسدين بغطاء سياسي، وسط مخاوف من ان يكون المستهدفون على حساب مكون معين دون التقرب من حيتان الفساد القوية في الجانب الآخر.

وبالتزامن مع إعلان فعاليات هيئة النزاهة، قامت اللجنة العليا للفساد التي شكلها رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي، بالقاء القبض على بعض السياسيين والمسؤولين، بسبب قضايا فساد، وآخرهم السياسي جمال الكربولي رئيس حركة «الحل» التي تمتلك 12 نائبا في البرلمان، وهو سياسي سني لديه مشاريع اقتصادية وإعلامية واسعة وتلاحقه اتهامات بالفساد واستغلال الوزارات التي يديرها مسؤولون تابعون للحركة. وسط تسريبات عن وساطات من قبل شخصيات سياسية متنفذة، بما فيها أطراف شيعية، ودفع رشى بملايين الدولارات، لمحاولة إلغاء القبض عليه وغلق القضية، كما حصل مع عشرات القضايا المشابهة.

وقضية الكربولي تستحق الوقوف عندها، إذ انه نموذج لمعظم ساسة عراق ما بعد 2003 فهو معروف بقدرته على اللعب على كل الحبال للوصول إلى أهدافه المالية. وهو يعقد التحالفات مع جميع القوى الشيعية والسنية والكردية من أجل مصلحته، كما يجيد استخدام المال السياسي للحفاظ على دور مؤثر في السلطة من خلال التحدث عن مظلومية السنة، فيما يوجه النواب والوزراء عبر حركته لخدمة مصالحه. وقد أكد النائب صالح المطلك في لقاء تلفزيوني «ان جمال الكربولي وعائلته هربوا نحو 800 مليون دولار إلى الخارج» علما بانه كان قبل 2003 مجرد موظف في جمعية الهلال الأحمر العراقية.

ولأن العراق يصنف سنويا في مقدمة دول العالم في تفشي الفساد حسب منظمة الشفافية الدولية، حيث قدرت المصادر الحكومية حجم المبالغ المهدورة منذ 2003 بنحو 360 مليار دولار، فإن ملف مكافحة الفساد في مقدمة مطالب انتفاضة تشرين الأول /اكتوبر، ولذا تعهد الكاظمي في برنامج حكومته، بفتح هذا الملف بجدية، حيث شكل لجنة عليا لمكافحة الفساد برئاسة الفريق أحمد أبو رغيف، لمتابعة ملفات الفساد وملاحقة المتورطين فيها، وتنفيذ أوامر القبض القانونية الصادرة من القضاء، حيث قامت اللجنة بالقاء السلطة على بعض المسؤولين المتورطين في قضايا نهب المال العام، ومنهم مدير هيئة التقاعد ومدير شركة كي كارد للرواتب، ومسؤولين آخرين. وفي هذا السياق، تحدث بعض النواب، بأن القضاء أرسل إلى البرلمان قائمة باسماء نواب لرفع الحصانة عنهم بعد صدور مذكرات اعتقال ضدهم، إلا ان البرلمان عجز عن عقد جلسة لأن العديد من الكتل النيابية وجهت نوابها بعدم حضور الجلسات لافشال رفع الحصانة عن بعض نوابها المتورطين. علما إن مجلس النواب منح رئاسة البرلمان في وقت سابق، صلاحية البت في طلب القضاء استقدام أي نائب لغرض التحقيق بشأن قضايا الفساد، ولكن في فترة العطلة التشريعية فقط. لذا قد ينتظر رئيس البرلمان محمد الحلبوسي العطلة المقبلة لرفع الحصانة عن بعض النواب، للتخلص من منافسيه من القيادات السنية قبل الانتخابات المقبلة، إضافة إلى تعزيز طموحاته بمنصب رئيس الجمهورية وميليشيات مسلحة منفلتة، تتحدى سلطة الدولة، كما رأيناه مؤخرا في خروج مسيرة مسلحة لميليشيا «ربع الله» في بغداد وتهديدهم للكاظمي وابو رغيف، بعد إلقاء القبض على أحد عناصرها، وكذلك الحكم الذي صدر قبل أيام على قيادي في التيار الصدري بالسجن سنة مع وقف التنفيذ رغم ادانته بقضايا فساد والاستيلاء على عقارات واستغلال المنصب، إضافة إلى ضغوط الأحزاب على أعضاء لجنة الفساد ومطالبة بعض النواب بحلها، بحجة سوء تعاملها مع الفاسدين المعتقلين.

ومع ان القرارات الحكومية الأخيرة بملاحقة بعض الفاسدين تبعث أملا ضئيلا بامكانية إصلاح الأوضاع وردع الفاسدين، إلا ان عجز الحكومة عن ملاحقة مسؤولين مرتبطين بأحزاب سياسية لديها فصائل مسلحة، يجعل تطبيق قرارات ملاحقة الفاسدين انتقائية ومحدودة ولا تشمل كبار المتورطين. ومن جانب آخر، لا يمكن عزل حملة مكافحة الفساد، عن معركة الانتخابات القريبة والصراع بين القوى السياسية على كسب الشارع، خاصة وان استخدام القضاء من بعض القوى لاستهداف الخصوم والتسقيط السياسي هو سياق متواصل في عراق ما بعد 2003 وبالتالي فإن الأيام المقبلة ستحكم على مدى جدية وقدرة الحكومة على فتح ملفات فساد الحيتان الكبيرة بغض النظر عن انتماءاتهم.

الحرب «الدبلوماسية» بين واشنطن وموسكو تصل إلى نقطة ساخنة

قوات اوكرانيا الحكومية

أكدت الخارجية الأمريكية التزام بلادها بالدفاع عن أوكرانيا وانها ستواصل إرسال أنظمة أسلحة دفاعية فتاكة إلى الجيش الأوكراني.

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

تراقب الولايات المتحدة عن كثب الخطط الروسية لسحب القوات بالقرب من حدودها مع أوكرانيا، بعد تصاعد التوتر لعدة أسابيع بدا خلالها أن موسكو وكييف على استعداد للصراع.

وأعربت الولايات المتحدة مراراً عن انزعاجها من الوجود العسكري الروسي بالقرب من أوكرانيا، ووصفته بأنه أكبر حشد عسكري منذ عام 2014 عندما اندلع القتال في منطقة دونباس بشرق أوكرانيا مع الانفصاليين المدعومين من روسيا وغزو موسكو لشبه جزيرة القرم.

وقدر الاتحاد الأوروبي أن ما لا يقل عن 100 ألف جندي روسي كانوا يحتشدون بالقرب من الحدود، وأشار إلى أن عدد الطائرات الحربية والقوات والمعدات هو أكثر مما تم الكشف عنه سابقا.

والتقى دبلوماسيون أمريكيون مع مسؤولين روس يوم الأربعاء الماضي لمناقشة الموجة الأخيرة من العقوبات بين الولايات المتحدة وروسيا، حيث تتطلع إدارة الرئيس جو بايدن إلى اتخاذ موقف متشدد من موسكو.

وقال المتحدث باسم وزيرة الخارجية الأمريكية، نيد برايس، في إفادة صحافية إن النقاش تناول مختلف الموضوعات الثنائية، بما في ذلك الرد الروسي على الإعلان الأمريكي للعقوبات، الأسبوع الماضي.

وأضاف برايس أن واشنطن تتوقع استمرار هذه المناقشات لعدة أيام مشيراً إلى أن إدارة بايدن تراجع بعض تفاصيل الإجراءات الروسية، وفي الوقت نفسه، «مازلنا نعتقد أن أفضل طريقة للمضي قدماً هي من خلال الحوار المدروس والمشاركة الدبلوماسية».

وقال برايس، أيضاً، إن الولايات المتحدة تلقت قائمة رسمية بالدبلوماسيين الذين تطردهم روسيا رداً على عقوبات واشنطن، رغم أنه رفض تحديد الأشخاص الذين سيتم طردهم من موسكو.

وفرضت الولايات المتحدة، الأسبوع الماضي، مجموعة من العقوبات على روسيا بسبب ما وصفته بالسلوك الخبيث، بما في ذلك عمليات التجسس الإلكتروني والتدخل في الانتخابات والأعمال العدائية تجاه أوكرانيا.

وستمنع العقوبات المؤسسات المالية الأمريكية من شراء سندات من البنك المركزي الروسي أو صندوق الثروة السيادي الوطني، أو وزارة المالية بعد 14 حزيران/يونيو ومن إقراض الأموال لهذه المؤسسات، كما قامت الولايات المتحدة بطرد 10 من أفراد البعثة الدبلوماسية الروسية في واشنطن.

وأوضح مسؤول أمريكي كبير أن الأمر التنفيذي الجديد يمنح سلطات إضافية بخصوص العقوبات، مشيراً إلى أن واشنطن تفضل عدم نشر هذه السلطات، ولكن هناك إدراكا بأن، توسيع النطاق وإمكانية إحداث تأثير ذي مغزى يجب أن يرسل إشارة واضحة بأن الأنشطة الضارة المستمرة، بما في ذلك المزيد من التدخل في الانتخابات والمزيد من الأنشطة الإلكترونية الخبيثة غير مقبولة، كما أكد المسؤول على أن واشنطن مستعدة للمضي قدماً لفرض تكاليف كبيرة ودائمة إذا استمر هذا السلوك.

وتأتي هذه المناقشات في الوقت، الذي تتطلع به إدارة بايدن إلى اتخاذ موقف متشدد من روسيا، وكان آخر دق لناقوس الخطر بشأن التعزيزات العسكرية الروسية على الحدود الأوكرانية منذ عام 2014 وهو العام الذي غزت فيه روسيا شبه جزيرة القرم وضمتها.

وأكدت الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة لا تزال ملتزمة بالدفاع عن أوكرانيا كما أشارت إلى أن الولايات المتحدة ستواصل إرسال أنظمة أسلحة دفاعية فتاكة إلى الجيش الأوكراني.

وبدوره، حذر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الدول الغربية من الضغط على موسكو، وقال أي شخص يتجاوز «الخط الأحمر» سيواجه برد قاس.

وأضاف بوتين أنه «إذا فسر شخص ما نوايانا الحسنة على أنها لا مبالاة أو ضعف، وكان على استعداد لتجاوز الخط الأحمر، فعليهم أن يعلموا أن رد روسيا سيكون غير متماثل وسريع وصارم، وآمل أن لا يفكر أحد في تجاوز الخط الأحمر مع روسيا».

وتأتي هذه المناقشات والاتهامات في الوقت الذي أبلغت فيه وزارة الدفاع الأمريكية كبار المشرعين في الكونغرس أن روسيا هي التي نفذت على الأرجح سلسلة من الهجمات المريبة الموجهة ضد القوات الأمريكية.

وذكرت «بوليتيكو» أن أربعة من مسؤولي الأمن القومي قالوا إن وزارة الدفاع تحقق في حوادث خريف العام الماضي، حيث ظهرت أعراض الأنفلونزا على العديد من أفراد القوات الأمريكية بطريقة غريبة، ولكن لم يتضح بالضبط عدد الجنود الذين أصيبوا في الهجمات المشتبه بها ولا مدى خطورتها.

وبدأ مكتب البنتاغون للعمليات الخاصة في التحقيق بالحوادث، التي تم وصفها بهجمات الطاقة الموجهة، وقال متحدث باسم وزارة الدفاع إنه لا علم لديه عن هجمات وقعت في سوريا ضد القوات الأمريكية.

إلى ذلك، هدد أعضاء من مجلس الشيوخ الأمريكي بفرض المزيد من العقوبات على روسيا إذا لم يتم إطلاق سراح زعيم المعارضة المسجون اليكسي نافالني على الفور، وتلقي العلاج المناسب.

وقال رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، السيناتور بوب مينينديز إنه يمكن للولايات المتحدة اتخاذ إجراءات ملموسة إذا ساء وضع نافالني.

وأوضح أن العقوبات لن تكون على الأفراد بل على القطاع المصرفي والمالي الروسي، وقال: «هذه همجية، لن نصمت».

وفي اذار/مارس، انضمت الولايات المتحدة إلى الاتحاد الأوروبي لفرض عقوبات على روسيا بسبب استنتاج أن الكرملين كان وراء هجوم تسمم على نافالني بسلاح كيميائي محظور، وهو غاز الأعصاب نوفيتشوك من الحقبة السوفييتية.

حدث الأسبوع

اليمن يتجه نحو المجهول في ظل تعثّر الحسم العسكري وتضارب المصالح بين أطراف الحل السياسي

تعز ـ «القدس العربي»: خالد الحمادي

بزرت قضيتا «الحسم العسكري» و«الحل السياسي» بقوة مع تصاعد المواجهات المسلحة حول مدينة مأرب اليمنية، بين الحكومة الشرعية المعترف بها دوليا وبين الانقلابيين الحوثيين في الشمال، حيث لم يتحقق الحسم العسكري من قبل أي طرف، خلال السنوات الست الماضية من الاقتتال بينهما، كما لم تنجح الأطراف الإقليمية والدولية في إجبار الأطراف المتصارعة على الجلوس إلى طاولة المفاوضات لوضع حد للحرب الراهنة في البلاد بين الحكومة والحوثيين.

وبين هاتين القضيتين تتداخل العديد من القضايا الشائكة، التي حالت خلال السنوات الماضية دون الحسم العسكري، كما لعبت دورا بارزا في إطالة أمد الحرب وتشعّب المشاكل الداخلية وتعقيدها، بالإضافة إلى تطور الأزمة اليمنية ونشوء قوى جديدة على الساحة مع طول فترة الحرب وبفعل التدخلات المتزايدة للقوى الخارجية.

وفقا للعديد من المتابعين تبرز التصعيدات العسكرية في أطراف محافظة مأرب، هذه الأيام، بين القوات الحكومية والميليشيا الحوثية، كأحد القضايا الساخنة التي تثير اهتمام الجميع، مع الحرب الإعلامية المصاحبة لها من كلا الطرفين، التي يبشر فيها الإعلام الحوثي والمناصر له بقرب سقوط مدينة مأرب، بينما الوضع العسكري لم يبارح مكانه منذ بدء التصعيد العسكري بينهما مطلع شباط (فبراير) مع وجود اختراقات هنا وهناك، حيث تشهد المعركة عمليات كرّ وفر، من قبل الجانبين، رغم المواجهات الساخنة المتواصلة على مدار الساعة، على حد توصيف مصدر عسكري لـ«القدس العربي».

معركة مأرب، لا شك أنها الأكثر دموية خلال الحرب اليمنية منذ نهاية العام 2014 نظرا لأهميتها الاستراتيجية للجانبين، أولا لقربها من العاصمة صنعاء التي يسيطر عليها الانقلابيون الحوثيون، وثانيا لاحتضانها أهم حقول النفط والغاز ومصافي النفط الوحيدة في البلاد وثالثا لرمزيتها السياسية الهامة للحكومة الشرعية، التي تعد أهم المعاقل الحاضنة لمقر قيادتها العسكرية.

وقال مصدر عسكري لـ«القدس العربي» إن التصعيد العسكري الحوثي الحالي على مأرب، لم يكن وليد اللحظة، بل تم التجهيز له منذ وقت مبكر، ربما يمتد لأكثر من سنتين، بدءا من التحشيد والتدريب للمقاتلين من المحافظات الموالية للحوثيين مثل محافظات ذمار وصنعاء وعمران، مرورا بالتخطيط العسكري للمعركة، الذي يقف وراءه السفير الإيراني لدى الحوثيين بصنعاء حسن إيرلو والذي يوصف بأنه (الحاكم العسكري) للحوثيين، وانتهاء بالدفع بكافة الأسلحة الثقيلة التي استحوذ عليها الحوثيون من بقايا جيش نظام الرئيس الراحل علي صالح والدفع بكل ثقلهم نحو معركة مأرب.

«لا أحدا يستطيع التنبؤ بمدى صمود أو سقوط مدينة مأرب أمام جحافل الميليشيا الحوثية، فأنباء سقوطها تتردد في الإعلام الحوثي والموالي له منذ العام 2015 لكن لم يحدث شيئا يغيّر مسار المعركة منذ ذلك الحين، فمأرب ليست بالأمر السهل التي يمكن ابتلاعها بين عشية وضحاها» على حد تعبير أحد المراقبين لـ«القدس العربي». لكن تحوّل خطوط التماس بين الجانبين إلى نهر للدماء وإلى مقابر لأشلاء المقاتلين من الطرفين ربما ينذر بتحول نوعي ومنعطف خطير قد يغيّر مسار المعركة نحو واقع جديد لصالح أحد الطرفين.

الحوثيون يستميتون في إحداث خرق في الجدار الحامي عن مدينة مأرب لما ستحققه لهم من رخاء اقتصادي ورافد مادي ضخم في حال سقوطها، وفي المقابل تستميت القوات الحكومية في الدفاع عنها، لكونها بالنسبة لهم قضية حياة أو موت، حيث يقطنها أكثر من مليوني نازح هربوا من مناطق سيطرة الحوثيين لما ارتكبوه في حقهم من أعمال قمع وسلب ونهب واعتقال واعتداءات جسدية ومادية، بالإضافة إلى رمزية مدينة مأرب كأحد أهم المعاقل الحكومية الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

التصعيد العسكري الحوثي في مأرب يسابق الزمن مع التحركات الدبلوماسية من قبل المجتمع الدولي لوضع حد للحرب في اليمن وفي مقدمتهم الولايات المتحدة والأمم المتحدة، ربما لارتباط الحرب اليمنية ومعركة مأرب على وجه التحديد، بقضية المفاوضات الإيرانية الغربية بشأن البرنامج النووي الإيراني، واحتمالية إتمام صفقة بين الجانبين بهذا الشأن، يتم بموجبها تمكين الحوثيين في اليمن مقابل إبرام هذه الصفقة.

تعزز هذه الفرضيات، التحركات والتصريحات التي يقوم بها مبعوث الإدارة الأمريكية الخاص إلى اليمن تيموثي ليندركينغ الذي توجه إلى الشرق الأوسط نهاية الأسبوع في جولة جديدة لتسويق هدنة محتملة واتفاق سلام بين الحكومة والحوثيين في اليمن، والذي قال في جلسة استماع له أمام مجلس الشيوخ الأمريكي قبيل جولته «هناك قبول بأن الحوثيين سيكون لهم دور مهم في حكومة ما بعد الصراع، إذا شاركوا بشكل هادف في عملية سياسية سلمية مثل أي جماعة أو حركة سياسية أخرى».

وقال «في خضم ست سنوات من الحرب، كانت مأرب ملاذًا للاستقرار وملجأ لما يقرب من مليون نازح داخليًا فروا من الصراع وليس لديهم مكان آخر يذهبون إليه، بينما ازداد الاهتمام الدولي بمعركة هذه المدينة الاستراتيجية التي تسيطر عليها حكومة الجمهورية اليمنية، تقدم الحوثيون ببطء. إن سيطرة الحوثيين على مدينة مأرب ليست وشيكة، لكنهم يواصلون الاقتراب من هدفهم المتمثل في تطويق المدينة، مما قد يؤدي إلى حصار السكان البالغ عددهم نحو 1.8 مليون نسمة وكثير منهم معرضون للخطر للغاية».

وبشكل موازي لتحركاته، يقوم المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى اليمن، مارتن غريفيث، بذات الجهود الرامية إلى تمكين الحوثيين بشكل أو بآخر في اليمن، بما يتماشى مع التوجه الأمريكي لدرجة يصل حد التماهي، والذي يتجه جُلّه نحو وقف العمليات العسكرية ضد الحوثيين من قبل دول التحالف العربي في اليمن بقيادة السعودية وهي مطالب حوثية بامتياز، إثر وقوف الغارات الجوية لقوات التحالف حجرة عثرة أمام تحركات المعدات العسكرية الثقيلة وانتشار الميليشيا الحوثية في محيط محافظة مأرب وفي بقية المناطق التي يتمركز فيها الحوثيون. ويعتبر مراقبون أن معركة مأرب تعد بمثابة «شوكة الميزان» التي ستعدل الكفة لصالح أحد الطرفين، بل وستلعب دورا جوهريا في تحديد ورسم مستقبل اليمن، السياسي والاقتصادي والعسكري ونوع نظام الحكم فيه، في ظل استحالة التوصل إلى حل عادل وشامل بين الجانبين الحكومي والحوثي لوقف الحرب وتقاسم السلطة والثروة بينهما.

وطغت معركة مأرب على بقية الجبهات التي توازيها أهمية من عدة جوانب، سياسية واقتصادية وعسكرية وإنسانية وغيرها، وفي مقدمة هذه الجبهات، محافظة تعز، المحاصرة عاصمتها، منذ صيف العام 2015 من قبل ميليشيا الحوثي، من دون أن تكترث الأمم المتحدة ولا المجتمع الدولي لهذا الحصار الجائر الذي حوّل مدينة تعز إلى جحيم، لما شكله الحصار الحوثي لها من اختناق كارثي، أسهم في تعثّر وصول السلع الأساسية والمواد الضرورية كالغذاء والدواء، بينما يتباكى مبعوث الأمم المتحدة كل يوم على حصار التحالف العربي لميناء الحديدة ومطار صنعاء التي يسيطر عليها الحوثيون.

المعضلة الأخرى التي يتغافل عنها المجتمع الدولي بشأن مساعيه نحو إحلال السلام في اليمن، هي الميليشيا الموالية لدولة الإمارات العربية المتحدة، ممثلة بالأحزمة الأمنية وقوات النخبة في المحافظات الجنوبية التي تعمل تحت مظلة المجلس الانتقالي الجنوبي، والتي تسيطر على محافظات عدن ولحج والضالع وسقطرى وأجزاء من محافظتي أبين وشبوة، بالإضافة إلى قوات العمالقة وقوات العميد طارق صالح، نجل شقيق الرئيس الراحل علي صالح، التي تسيطر على الساحل الغربي لمحافظة تعز مع أجزاء من محافظة الحديدة، والتي تستخدمها أبو ظبي لبسط نفوذها على الموانئ اليمنية الهامة وفي مقدمتها ميناء عدن والمخا وبلحاف والمكلا والسيطرة الكاملة على جزيرة سقطرى الاستراتيجية في جنوب خليج عدن مع المحيط الهندي، وتعمل هذه الميليشيات لصالح دولة الإمارات وترفض شرعية الرئيس عبدربه منصور هادي وترفض سلطة حكومته.

وأصبحت هذه المحافظات الجنوبية أشبه بمناطق محتلة من قبل النفوذ الإماراتي، والتي تدعم معنويا الميليشيا الحوثية في الشمال، وبالذات في تحركاتها الراهنة نحو مدينة مأرب، رغم أن ميليشيا الحوثي سيطرت على محافظة عدن لنحو أربعة شهور في 2015 وعاثت فيها خرابا ودمارا وارتكبت فيها فضاعات إنسانية غير مسبوقة.

وبموازاة تحركات ميليشيا الحوثي نحو مأرب تحركت ميليشيا المجلس الانتقالي نحو زعزعة الوضع الأمني في محافظة عدن واقتحمت القصر الرئاسي في حي معاشيق بمنطقة كريتر، منتصف الشهر الماضي وطردت الحكومة منه، رغم مشاركة المجلس الانتقالي في الحكومة الائتلافية الحالية، وأعادت اقتحامه يوم أمس السبت، رغم عدم وجود قيادة الحكومة فيه، ولكن لمزيد من اشغال الحكومة بقضايا جانبية في الوقت الذي تسعى فيه للتركيز على معركة مأرب. ولا تزال القوات الإماراتية تسيطر على ميناء بلحاف في محافظة شبوة لتصدير الغاز اليمني المسال، وهي المنشأة النفطية الأضخم في البلاد والوحيدة في هذا المجال، والتي حوّلتها إلى معسكر للسجون السرية لمعارضي السياسات الإماراتية في اليمن، وحرمت اليمن من عمليات تصدير النفط والغاز عبر هذه المنشأة الحيوية الهامة، في إطار الصراع الإماراتي – اليمني مع الحكومة الشرعية، حيث اعترضت الأخيرة على عمليات استحواذ أبو ظبي على الموانئ تحت مظلة تدخلها في اليمن ضمن قوات التحالف العربي الذي تقوده السعودية.

ووفقا للمعطيات الراهنة التي عقّدت المشهد، يتجه اليمن نحو المجهول في ظل انعدام الرؤية وضيق الأفق فيما يتعلق بالحلول المطروحة حاليا، التي أفرغت القضية من جوهر المشكلة، وركّزت مساعيها على وقف إطلاق النار دون التركيز على أسباب المشكلة، وحوّلت الحرب في اليمن إلى قضية صراع سعودي – إيراني/حوثي، وتهميش الحكومة الشرعية في اليمن من عملية المشاركة في اتخاذ القرار بشأن عملية احلال السلام المزمعة من وراء تحركات ومساعي مبعوثي الولايات والأمم المتحدة إلى اليمن.

مدينة تعز

بايدن في اليمن: تحصيل حاصل الـ Catch-22

صبحي حديدي

لا يتوجب أن يطول الزمن قبل أن يتضح أكثر، أو بمقادير كافية على الأقلّ، المحتوى الفعلي العملي لنوايا إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن حول تخفيض، أو حتى وقف، دعم الولايات المتحدة للتحالف العسكري الذي تقوده السعودية في اليمن؛ تنفيذاً للخطّ الذي أعلنه بايدن بنفسه، في خطاب تعمّد أن يلقيه من مبنى وزارة الخارجية.

ولا يُساق تفصيل الحاجة إلى اتضاح المزيد من المحتويات الفعلية لسياسة بايدن إلا لأنّ الغموض يكتنف القليل الواضح حتى الساعة أيضاً، أي تقليص الدعم اللوجستي والاستخباراتي الأمريكي للتحالف السعودي، وإخضاع صفقات الأسلحة لطراز من «مراجعة» تفرز السلاح الهجومي عن ذاك الدفاعي. وهذه الحال، التي تقترب أكثر فأكثر من صيغة الـ Catch-22 الأمريكية الشهيرة حيث الإطار العالق هو الظاهر وهو القاعدة أيضا، لا تسري على مراقب أو محلل أو صحافي، فحسب؛ بل تشمل رجلاً مثل تيموثي لندركنغ، الذي عيّنه بايدن مؤخرا مبعوثاً خاصاً إلى اليمن: «لستُ في الصورة المفصلة»، يقول الرجل أمام لجان الكونغرس المعنية بشؤون السياسة الخارجية والدفاع، وينتظر مثل سواه من المنتظرين استكمال الحدود الدنيا من «المراجعة» إياها!

في الانتظار، حيث لا أحد سوى بايدن وحفنة من مستشاريه يعرف موعداً للإفصاح عن نتائج «المراجعة»، لا يخفي الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية أنّ صفقة مع الإمارات بقيمة 23 مليار دولار، تتضمن طائرات F–35 وطائرات مسيّرة مسلحة، سوف يتمّ الوفاء بها. فهل هذه أسلحة دفاعية حقاً، أم هجومية، أم في منزلة تجمع الغرضَين معاً؟ وهل الإمارات غير موجودة، حتى إشعار آخر، في قلب حروب اليمن وعلى جبهات الجنوب وعدن وسوقطرة؟ ألن ينضمّ المزيد من آلاف الضحايا المدنيين الأبرياء إلى مئات الآلاف ممّن سقطوا جراء تسليم أسلحة مماثلة إلى جيش منخرط، تماماً، في الحرب على اليمن؟

لن يعثر المرء على إجابات تصدر عن ناطق هنا باسم الخارجية الأمريكية، أو ناطق هناك باسم البنتاغون، فما بالك بالمبعوث الخاصّ المعيّن لتوّه: ليس، أغلب الظنّ، لأنّ الإجابات متعسرة أو معقدة أو غير متوفرة، بل بسبب من العكس تماماً: أنها شديدة الوضوح، ذاتية التأكيد، قديمة/ متجددة، أقرب إلى تحصيل الحاصل! هنالك صفقات اعترض عليها في الكونغرس ممثلو الحزب الديمقراطي بصفة خاصة، لكنّ الرئيس السابق دونالد ترامب وضع الفيتو الرئاسي على الاعتراض؛ وأمّا الرئيس الديمقراطي، الذي توجع ضميره مآسي اليمن، فقد أجاز بعض ما اعترض عليه أبناء حزبه الديمقراطيون، وسار في ركب سلفه الجمهوري؛ ولا جديد، في هذا السلوك، تحت شموس الإدارات الأمريكية المختلفة.

في الانتظار أيضاً، قبلئذ ودائماً، تتفاقم أكثر فأكثر أعداد «جيوب المجاعة» التي تحذّر منظمات الإغاثة الدولية من انتشارها في طول البلاد وعرضها، وتُستعاد مجدداً أشباح مجاعة 2018 التي جرى تفادي وقوعها بما يشبه معجزة عصية على التكرار، كما يقول العاملون على الأرض من ممثلي الهيئات الدولية، وكما يؤكد دافيد بيزلي المدير التنفيذي لـ«برنامج الأغذية العالمي». تقول مؤشرات البرنامج إنّ 24 مليون يمني بحاجة إلى مساعدات مختلفة، و20.1 مليون يواجهون الجوع، و16.2 مليون يعانون انعدام الأمن الغذائي، وتحتاج 1.2 مليون امرأة حامل و2.3 مليون طفل إلى علاج من سوء التغذية الحاد، ويتعرض 400 ألف طفل لخطر الوفاة بسبب نقص الغذاء...

وفي روايته، التي صدرت سنة 1961 بعنوان Catch-22، كرّس الأمريكي جوزيف هيللر عبارة مفتاحية استقرت في اللغة الإنكليزية كمعادل أقصى لمفارقة موقف لا مهرب منه ولا منفذ في آن معاً، بسبب من تضارب الحدود وتناقض الإرادات. وحتى تتضح قرارات إدارة بايدن بصدد اليمن، لجهة الفعل على الأرض وليس النوايا والتصريحات، تظلّ العبارة سارية منطبقة، وتظلّ الكارثة في اشتداد وعتوّ وفظاعة، وعلى منوالها تتواصل حال المفارقة الشاملة.

السنة الثانية والثلاثون العدد 10245 الأحد 25 نيسان (أبريل) 2021 – 13 رمضان 1442 هـ

معارك مأرب: الاحتمالات والآثار المتوقعة على مسار الحل

قوات الحكومة في مأرب

ياسين التميمي

توصف المعارك الدائرة في محيط مدينة مأرب اليمنية بأنها الأقوى والأشرس والأكثر استنزافاً للقوى المتصارعة، ونطاق المواجهة العسكرية الوحيد الذي شهد تصفيراً حقيقياً للحسابات الجانبية، ليبرز الإصرار منقطع النظير من جانب الطرفين المتخرطين في الحرب، على عدم السماح للطرف الآخر بالانتصار.

الحقيقة المرة التي تغلف معارك مأرب تشير إلى أنها واحدة من أبشع معارك الاستنزاف في تاريخ الحروب، حيث ابتلعت منذ تصاعدت وتيرتها في أوائل شهر شباط/ فبراير آلاف القتلى من الجانبين، والاستنزاف هو هدف لطالما سعى المتدخلون الإقليميون إلى حدوثه منذ اللحظة التي قرروا فيها دعم ثورة مضادة للنظام الانتقالي بقيادة الرئيس عبدربه منصور هادي في صنعاء، وهي الثورة التي أنجزت بتغطية من الرئيس هادي نفسه.

مغزى الموت الجماعي على أسوار مأرب

طيلة المعارك العنيفة التي بدأت بشكل كثيف من أوائل شهر شباط/ فبراير الماضي، استخدم ويستخدم الحوثيون أنساقاً متعددة من المهاجمين قليلي الخبرة ومعظمهم من الأطفال ضمن تكتيك مستخدم في حروب الحرس الثوري ضد العراق، ويستهدف إنهاك القوات الحكومية المدافعة عن مدينة مأرب ورديفها القبلي، قبل أن يلجأ الحوثيون للزج بأنساق تالية من المقاتلين المحترفين.

غير أن النتيجة حتى الآن كانت مخيبة لآمال الحوثيين الذين سابقوا الزمن لفرض وقائع جديدة تعيد توجيه جهود الإدارة الأمريكية الجديدة، ومبعوثها إلى اليمن تيموثي ليندركينغ لصالح مشروعهم، حتى ان بعض المطلعين على محادثات المبعوث الأمريكي مع ممثلين عن الحوثيين في مسقط، أفاد بأن الحوثيين أبلغوا المبعوث بأن عليه أن يتصرف على أساس أن مأرب باتت بحوزتهم.

لا شيء يبرر سقوط الآلاف من القتلى في المعارك الدائرة على أسوار مأرب سوى إصرار الحوثيين على حيازة هذه الجوهرة الثمينة التي يريدون إضافتها إلى تاج ملكهم في المناطق الأكثر كثافة سكانية، الواقعة في الشمال الغربي من اليمن، إذ أن حيازتها ستضع أيديهم على أهم منابع النفط والغاز الطبيعي على مستوى اليمن، وستسهل كثيراً من مهمة تقدمهم باتجاه بحر العرب عبر محافظة شبوة.

التضحيات التي يقدمها الجيش الوطني التابع للحكومة، كبيرة، وعلى الرغم من أنها تظل أقل مقارنة بالخسائر التي يتكبدها الحوثيون إلا أن قتلى القوات الحكومية، هم من وحدات عسكرية وأمنية مدربة ومؤهلة، فيما تتشكل القوى القبلية المساندة لهذا الجيش من شيوخ وشباب يمثلون مكانة مهمة في المنظومة القبلية لمحافظة مأرب، على نحو يجعل الخسائر من الطرف الحكومي أكثر وطأة.

لقد كشفت المعارك الحاسمة التي خاضتها القوات الحكومية في محيط مأرب عن شراسة قل نظيرها في المعارك الدائرة في اليمن منذ نحو ستة أعوام، حيث التهمت العشرات من أهم وأبرز القيادات العسكرية والأمنية، مع احتمالات بأن تكون هذه القيادات، التي تميزت بكفاءتها، وشجاعتها قد ذهبت ضحية مؤامرات جعلتها تبدو صيداً سهلاً في تلك المعارك على شراستها وعنفوانها.

وتؤضح التضحيات الهائلة التي تقدمها القوات الحكومية، فإن السلطة الشرعية مع ذلك، لا تبرز في هذه المعركة إلا عبر شخوص، لكل واحد منهم ثاره الخاص مع جماعة الحوثي الانقلابية، بدءا من وزير الدفاع الفريق محمد علي المقدشي، ورئيس هيئة الأركان الفريق صغير عزيز، وانتهاء بأصغر مستوى قيادي في الجيش والقوات الأمنية.

ومن المؤسف أن التزام هذه السلطة بدعم المعركة يظل أقل بكثير من المستوى المتوقع، في وقت حشدت فيه الجماعة الحوثية كل إمكانيات الدولة اليمنية من أسلحة ثقيلة بما في ذلك الدبابات تي 72 وهي أحدث طراز وقع في أيدي الجيش اليمني في عهد النظام السابق، ومدافع الهاوزر وقاذفات الصواريخ ومنصات الكاتيوشا ومدافع الهاون والصواريخ الحرارية بالإضافة إلى سلاح القناصة.

الاستنزاف أم الحسم؟

وينخرط سلاح الجو السعودي بقوة في هذه المعارك مقلصاً إلى حد كبير الفارق النوعي بين إمكانيات الحوثيين العسكرية الكبيرة وبين الإمكانيات الأقل للجيش الوطني التابع للسلطة الشرعية المعترف بها دولياً. فالجيش الوطني لا يزال يشكو من قلة ذات اليد على مستوى الإمدادات والتسليح والمرتبات التي لم تصرف للجنود من نحو عشرة أشهر، إذ لا يعقل أن تصل المعركة إلى هذا المستوى من الخطورة مهددة واحدة من أهم التجمعات السكانية في البلاد، وأعني بها مدينة مأرب، التي تأوي أكثر من مليوني إنسان غالبيتهم العظمى من اللاجئين الذين هربوا من جحيم الحرب أو لاذوا بكرامتهم وقرروا مواجهة الانقلابيين الحوثيين انطلاقاً من هذه المدينة مما يعني أن أي تطور سلبي للمعارك في محيط مأرب لصالح الحوثيين سيحول هذه العدد الكبير إلى أكبر موجة نزوح تشهدها اليمن في تاريخها.

وفي تصوري أن السعودية تواجه تحدي المعركة الموازية التي يخوضها الحوثيون عبر الصواريخ والطائرات المسيرة الإيرانية التي تصلهم عبر دول وطرق ومسالك متعددة، من خلال هجمات تستهدف العمق السعودي وتطال منشآت حيوية في وسط المملكة وشرقها وغربها، وبعض هذه الهجمات وخصوصاً التي طالت المنطقة الشرقية من المملكة ربما نفذت بواسطة أطراف تابعة لإيران أو حتى بواسطة الحرس الثوري رغم تبني الحوثيين لتلك الهجمات، وهي احتمالات باتت بحكم الأمر الواقع طبقاً لتقارير أعدها فريق تحقيق تابع للأمم المتحدة وقف على الهجمات التي طالت منشآت بقيق وبحيص النفطيتين السعوديتين العملاقتين.

أما لماذا تدور المعارك اليوم على مشارف مأرب خصوصاً من الناحية الشمالية والغربية، فلأن القوات الحكومية كانت قد اتخذت قراراً بتعزيز دفاعاتها في محيط المدينة وبعمق لا يقل عن عشرة كيلوا مترات، لتبقى المساحة المفتوحة الممتدة بين مأرب ومحافظتي الجوف وصنعاء مسرحاً مفتوحاً بعد أن وجد هذا الجيش نفسه، ووجد نفسه بلا إمدادات ولا أسلحة ولا أفق بينما كان قد وصل إلى مشارف العاصمة صنعاء.

الأفق السياسي للمعركة

حتى هذه اللحظة هناك مؤشرات قوية على أن القوات الحكومية تستعيد زمام المبادرة، بما يكفي لمنع مدينة مأرب من السقوط بيد الحوثيين، في حين لا يتوقف الحوثيون عن ممارسة ضغطهم العسكري الكبير على مدينة مأرب أملاً في حيازة ورقة تفاوضية مهمة، إذ ستقربهم أكثر من مطلب لا طالما تمسكوا به وهو التفاوض مباشرة مع المملكة العربية السعودية، وتهميش السلطة الشرعية التي ستكون قد فقدت عملياً حضورها الميداني في أهم معاقلها وهو مأرب، وهو أمر سيسهل على الأطراف الإقليمية والدولية التضحية بهذه الشرعية والشروع في بناء شرعية جديدة يتحكم بها الحوثيون ويوجهون دفتها.

لكن ذلك من شأنه أن يفقد التحالف ميزة التصرف في اليمن كقوة تساند الشرعية بناء على تفاهمات بين دول متكافئة من حيث السيادة، وهذا يعني انتفاء المبرر المنطقي للبقاء في الساحة اليمنية.

ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل سيؤدي سقوط مأرب لا سمح الله، إلى إضعاف الموقف التفاوضي مع الحوثيين وإيران، وسيصبح اليمن حينها ورقة تأثير جيواستراتيجية قوية بيد إيران.

Volume 32 - Issue 10245 Sunday 25 April 2021

إجماع دولي لدفع عجلة السلام وإنهاء حرب اليمن وإسكات المدافع والصواريخ

الجيش السعودي في الحدود مع اليمن

الدوحة-«القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

تتحرك أطراف المجتمع الدولي الفاعلة، نحو تحقيق إجماع دبلوماسي لدفع عجلة السلام قدماً وإنهاء حرب اليمن، وسط مخاوف من استفحال الأوضاع مع أي تأخير في الحل.

وتأتي هذه التطورات على ضوء عرض سعودي قدمته للحركة الحوثية، ينص على وقف شامل لإطلاق النار، ضمن سلسلة مقترحات تهدف إلى إنهاء الصراع المستمر منذ ست سنوات.

وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان بن عبد الله اعتبر المبادرة تشمل «وقفاً شاملاً لإطلاق النار في جميع أنحاء البلاد تحت إشراف الأمم المتحدة».

الرياض اقترحت أيضاً إعادة فتح مطار صنعاء، في العاصمة التي يسيطر عليها الحوثيون، واستئناف المفاوضات السياسية بين الحكومة اليمنية المدعومة من السعودية والحوثيين.

واعتبرت أن المبادرة ستدخل حيز التنفيذ «بمجرد موافقة الحوثيين عليها».

الاقتراح الأخير يأتي وسط تصاعد في الهجمات بالطائرات المسيرة والصواريخ على المملكة، بما في ذلك منشآت الطاقة والتي أعلن الحوثيون مسؤوليتهم عنها، كما تأتي في وقت تتعثر فيه الحلول العسكرية لتحقيق نتائج حاسمة ميدانياً.

وتسعى عدد من الدول والقوى العظمى للضغط على المتحكمين في الملف، للتحرك وحتى تقديم تنازلات من شأنها المساهمة في حلحلة الأوضاع، وتلافي انزلاقها نحو مستنقع خط اللارجعة.

وفي هذا السياق ناشد مارتن غريفيث، مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى اليمن، الأطراف المتحاربة تنفيذ وقف إطلاق النار على مستوى البلاد، والاتفاق على موعد لمحادثات السلام، تماشياً مع خطة إنهاء الصراع الجاري.

وقد أحاط غريفيث مجلس الأمن حول آخر المستجدات في نشاطه الدبلوماسي، في خضم جولة قادته لعدد من عواصم المنطقة، منها مسقط، والرياض وأبو ظبي وبرلين، كما التقى قادة الحكومة اليمنية في عمان.

في كافة هذه العواصم، ناقش المبعوث الخاص بالتفصيل الجهود الحالية لإنهاء الحرب في اليمن، وقال إنه في جميع الأحوال توصل على الأقل إلى توافق في الآراء، يدعم النقاط الأربع التي يسعى إلى تأمين اتفاق عليها بين الطرفين، وشدد على ضرورة اتفاق الطرفين على تلك النقاط وإخراج اليمن من محنته.

مأرب نقطة ارتكاز

غريفيث أكد أن الضرورة الملحة لإحراز تقدم نحو تسوية سلمية تجعل استمرار العنف على الأرض أكثر إثارة للقلق. وأشار إلى أن مأرب تظل مركز الثقل الرئيسي في الصراع، مضيفا أن القتال هناك يظهر بوادر تصعيد خطيرة مرة أخرى.

ويكثر الحديث عن مأرب حيث يقاتل الحوثيون وهي من بين آخر معاقل الحكومة اليمنية في الشمال، ممّا يزيد الضغط على القوات المدعومة من السعودية.

وحذرت الأمم المتحدة، التي تقول أنّ اليمن يواجه أسوأ أزمة إنسانية في العالم، الشهر الماضي من عواقب وخيمة على المدنيين إذا استمر القتال في مأرب.

وفي كلمته أمام مجلس الأمن اعتبر غريفيث إن معظم اليمنيين الذين تمت استشارتهم واستطلاع آرائهم، «يصرون على أن إنهاء الحرب هو الهدف البسيط والأهم».

وفيما أشار إلى أن هذا الإجماع الشعبي الواسع لصالح السلام من المحتمل أن يكون موجوداً في جميع النزاعات، إذ إن الناس هم دائماً أبطال السلام، أوضح المبعوث الخاص أن اليمن يختلف من ناحيتين:

الأولى هي أن «المجتمع الدولي، ممثلاً في هذا المجلس، متحد» مع رسالة مركزية وواضحة ومتسقة وهي: «أن السبيل الوحيد للخروج من الصراع هو حل سياسي تفاوضي».

الناحية الثانية، هي أن هناك تلاقياً في الأصوات الدبلوماسية لصالح إنهاء الحرب وحلها السياسي الناجح.

وأوضح غريفيث أنه خلال لقاءاته الأخيرة في أوروبا والشرق الأوسط ناقش بالتفصيل الجهود الحالية لإنهاء الحرب، قائلا إنه صادف على الأقل إجماعاً في الدعم، وفي كثير من الأحيان دورا نشطا في دعم النقاط الأربع التي يسعى مكتبه إلى أن يتفق الطرفان عليها.

والسعودية من جانبها أدركت التحديات المحيطة بالملف وهي تسعى قدماً لإنهاء الصراع في أسرع وقت، والخروج بأرضية اتفاق سياسي، يضع حداً للصراع المستمر منذ 6 سنوات.

الإمارات خلف الستار

الأطراف الساعية لتحقيق هدنة في اليمن، ووضع حد للصراع، تخشى كثيراً من إفساد المجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم إماراتياً أي طبخة تعد لوقف القتال.

ففي السابع من آب/اغسطس 2019 حاول المجلس الانتقالي الجنوبي الاستيلاء على العاصمة المؤقتة عدن، ليدخل في اقتتال مع الحكومة الشرعية، وهو ما يزال يتعاون مع الأذرع الإماراتية ويتحرك في جميع الاتجاهات لقلب المعادلة لصالح أبو ظبي ضد الرياض.

المراقبون يرون في التحركات الإماراتية في اليمن ومحاولات أبو ظبي بسط نفوذها في الجنوب، سواء عبر عدد من القوى التي ترعاها، أو بشكل مباشر، عامل تخريب لجهود السلم وتحقيق الأمن.

وترى عدد من الدراسات الإستراتيجية أن الإمارات وضعت منذ بداية حرب اليمن نصب أعينها السيطرة على موانئ البلد، وعدد من الجزر مثل سقطرى وغيرها.

المفاوضات أولاً

تراهن الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وسلطنة عُمان التي ترعى المفاوضات مع بعض الأطراف على أن المفاوضات هي السبيل الأمثل لإنهاء الصراع. وبحسب المراقبين فإنه بوساطة من مسقط، يتفاوض الحوثيون مع الممثل الأمريكي، تيموثي ليندركينغ، منذ أسابيع، ويتبادلون وجهات النظر حول تداعيات الملف، والسبيل الأمثل لتحقيق نوع من التقارب بين مختلف الأطراف، وتحديداً مع السعودية.

ويأتي ذلك تزامناً والضغوط التي تفرضها واشنطن منذ وصول الإدارة الجديدة للبيت الأبيض. وتعهد جو بايدن قبل تنصيبه أن يدفع نحو إنهاء الحرب في اليمن، وممارسة كل الضغوط الممكنة لتحقيق هذا الهدف.

وكشف الخبير بشؤون الشرق الأوسط، غيدو شتاينبرغ، من المعهد الألماني للشؤون الدولية والأمن في برلين في تصريح نقلته المواقع الألمانية؛ «خسرت السعودية الحرب في اليمن – ويرجع ذلك أساساً إلى أن حكومة بايدن أوضحت أنها لم تعد تدعم الإجراءات السعودية هناك» لذلك يجب على السعوديين ضمان تخفيف حدة التوتر في اليمن. ونتيجة لهجوم الحوثيين على مأرب، قد تفقد القوات الموالية للسعودية – وخاصة الحكومة المعترف بها دولياً – واحدة من آخر مناطقها المهمة من الناحية الاستراتيجية. مع تقدمهم ومن خلال قرار بايدن، يرى المتمردون الحوثيون أنفسهم الآن في موقع قوة – ويمكنهم التكهن بأن خصومهم في الحرب سينسحبون وهم خاسرون. وستكون إيران سعيدة أيضاً برؤية عدوتها، السعودية، تنهزم.

وحتى الآن لا تظهر المؤشرات مآل الوضع في اليمن وموازين القوى نتجه نحو أي اتجاه، لكن المؤشرات الرئيسية تعتبر أن الوضع الميداني يزداد تردياً.

وتجمع التقارير الأممية وتصريحات مسؤولي المنظمات الدولية، على أن الوضع الإنساني في اليمن يزداد سوءاً، والأحوال تتردى أكثر من أي وقت مضى، خصوصاً مع توالي عدد من الكوارث على البلد.

وتحدث مارك لوكوك، منسق الإغاثة في حالات الطوارئ ووكيل الأمين العام للشؤون الإنسانية، أمام أعضاء المجلس حول الوضع الإنساني في اليمن قائلا إنه لا يزال يزداد سوءاً، مع حدوث موجة جديدة من إصابات كوفيد–19 ومجاعة واسعة النطاق تؤثر بالفعل على البلاد.

أسوء كارثة إنسانية

وأشارت توقعات بنزوح أكثر من 100 ألف شخص في غضون أشهر إذا استمر القتال في مأرب.

وحسب تحليل للأمم المتحدة للوضع في البلد، أشار الخبراء أن اليمن يظل أسوأ أزمة إنسانية، وأكبر عملية مساعدات للأمم المتحدة، حيث بلغت خطة الاستجابة الإنسانية لليمن 3.85 مليار دولار لمساعدة 16 مليون شخص هذا العام. وبحسب دوجاريك، حتى الآن تم تمويل ما نسبته 21 في المئة فقط من هذا المبلغ.

وأمام هذه التحديات قالت الأمم المتحدة أن الهدف الآن «إسكات البنادق في عموم اليمن».

وفي تقرير لخبراء الأمم المتحدة فإن عددا من المحن تكالبت دفعة واحدة على اليمن السعيد، ففي نفس الوقت الذي وصلت فيه جائحة كورونا في ربيع عام 2020 تعرضت البلاد أيضًا لفيضانات أثرت على أكثر من 100000 شخص وتركت آلاف الأشخاص بلا مأوى وأثرت على مخيمات النازحين. تزامن وصول كوفيد–19 مع موسم الأمطار في اليمن، والذي يجلب دائمًا احتمالية تفشي الكوليرا. وبدأ تفشي الكوليرا في عام 2019 خلال موسم الأمطار وكان ثاني أسوأ كارثة في تاريخ العالم؛ لا تزال غير خاضعة للسيطرة رسميا على الرغم من التحديات التي يفرضها الوضع الإنساني والصحي والسلامة في اليمن، مع تراجع التدابير والإجراءات الصحية وضعف الإمكانيات.

وينتظر اليمنيون بشغف اليوم الذي تتحقق فيه فعلياً نهاية الحرب المدمرة التي عاشوا فصولها المأساوية وأثرت على حياة كل إنسان، في بلد يصنف ضمن قائمة أفقر الدول في العالم.

عملية «سبر أغوار» لا أكثر بين السعودية وإيران وأرضية الحوار غير جاهزة

مقاتل حوثي

رلى موفّق

لا فيض في المعلومات حول بدء محادثات إيرانية – سعودية مباشرة على خط موازٍ للمفاوضات الإيرانية – الأميركية التي يجري العمل على استئنافها رسمياً بشكل مباشر. ما نقلته صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية عن حصول لقاء في بغداد في التاسع من نيسان/ابريل الجاري بقي في إطار التأكيد الإيراني والنفي السعودي غير الرسميين. يقول مثل شعبي «ما في دخان بلا نار» وهذا المثل ينطبق على ما كشفته الصحيفة، وأضافت إليه وكالة «رويترز» بعضاً من التفاصيل.

ما حصل، وفق المعلومات، لا يعدو كونه عملية سبر أغوار لدى إمكانية الجلوس إلى طاولة مشتركة، وماهية القضايا التي يمكن أن تُشكّل أساساً لمحادثات سعودية – إيرانية. ثمة روايات متعددة، لكن جميعها يتقاطع عند استنتاج أن لا شيء جدياً حتى الساعة.

في رواية أحد المنظّرين لـ«محور إيران» أن واشنطن لقيت رفضاً من إيران لاقتراح أميركي – أوروبي بضم المملكة العربية السعودية إلى إطار المفاوضات حول الاتفاق النووي، أقلّه في الوقت الراهن. وهو الأمر الذي حدا بالأميركيين إلى الطلب من الرياض التفتيش عن قناة ثالثة من أجل بدء مفاوضات مباشرة بين الطرفين بمعزل عن عملية التفاوض التي قرّرت إدارة جو بايدن الانخراط فيها للعودة إلى الاتفاق. وأعطي السعوديون مهلة ثلاثة أشهر لكسر حلقة القطيعة القائمة بين البلدين. جرى الحديث عن ذلك حين اتخذ البيت الأبيض قراره بوضع نهاية للحرب الدائرة في اليمن، وأقدم على شطب جماعة «أنصار الله» عن قائمة الإرهاب. تذهب الرواية لتقول إن السعوديين تواصلوا مع جهة ثالثة، إما سلطنة عمان أو سويسرا، والترجيح الأكبر أنها السلطنة، وعُقد لقاء أول تمهيدي على أرض تلك البلاد. هنا تنتهي الرواية، لتبدأ الرواية الثانية التي أعلنتها «الفايننشال تايمز» عن لقاء بغداد.

في المعلومات المتوافرة، أن رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي الراغب بأن يمسك العصا من وسطها في العلاقة بين الإيرانيين والسعوديين من أجل النأي ببلاده عن الصراع الإيراني – السعودي، سعى إلى جسّ النبض، علّه ينجح في لعب دور «الوسيط» لمثل هكذا تواصل. والأمر تناول أيضاً مصر والأردن، ولا سيما أن كلا من القاهرة وبغداد وعمّان تسير في اتجاه خلق إطار تنسيقي ثلاثي لم يرقَ بعد إلى مستوى الحلف.

ما حصل أن الكاظمي اجتمع في بغداد بالسفيرين السعودي والإيراني المنتدبين إلى العراق، كل على حدة، وكانت أسئلة عن المواضيع والعناوين التي يمكن أن تُشكل نقطة انطلاق لمحادثات مباشرة بين الجانبين والطريقة الفضلى للوصول إلى ذلك. ضغط رئيس الوزراء العراقي من أجل أن ينتدبَ كل من الطرفين ممثلاً عنه من أجل عقد اجتماع. فكان أن انتدب كل من الطرفين ممثلاً على مستوى أمني منخفض، وعُقد الاجتماع بحضور عراقي، وكان قصيراً، ولا يمكن الركون إليه على أنه يمكن أن يُشكّل اختراقاً يُعتدُّ به.

وعلى الرغم من أن أوساطاً لصيقة بـ«المحور» تؤكد أن اجتماعاً آخر سيعقد قبل نهاية الشهر الجاري، فإن قريبين من الكواليس السعودية يقللون من أهمية اعتبار أن حواراً سعودياً – إيرانياً قد بدأ. الانطباع السائد بأن الأرضية لذلك ليست جاهزة من الطرفين، وأن جدول الأعمال ليس واحداً. إيران تريد حواراً سياسياً مع السعودية يتناول العلاقات الثنائية، لا يتعلق باللف اليمني ونفوذها فيه، فهذا الملف تريده أن يكون مع الأميركيين. وما يعني السعودية أن تتوقف إيران عن استهدافها من اليمن عبر ذراعها العسكرية المتمثلة بالحوثي، وكذلك من العراق عبر ميليشياتها في الحشد الشعبي. من دون هذا العنوان ومن دون خطوات حسن نية في هذا الاتجاه، لا يكون للمحادثات جدوى في نظر الرياض.

في قراءة مطلعين على المناخ السعودي بأن الرياض لا يضيرها أن يُسجّل الكاظمي نجاحاً في لعب دور الوساطة، على عكس طهران التي لا تريد لبغداد هذا الدور. ربما ذلك سيكون عنصراً يدفع في اتجاه فشل المحاولة العراقية.

ثمة استنتاجات وصلت إليها واشنطن في مسيرة الأشهر الأولى من ولاية إدارة بايدن، بأن إيران لا تقابل مناخ التهدئة الأميركية بمثلها. جاء الرئيس الأميركي ليقلب الطاولة على سياسة سلفه في المنطقة. مدّ يده لإيران في اليمن، وضغط على السعودية من أجل وقف الحرب. تجاوبَتْ الرياض، فيما الوكيل الإيراني يخوض منذ شهرين معركة إسقاط مأرب. غضّت واشنطن الطرف عن الحوثي في الأسابيع الأولى من المعركة، لا بل إنها أوقفت الدعم اللوجستي للسعودية التي تعرّضت أراضيها لهجمات الصواريخ البالستية والمسيّرات المفخخة. ربما كان هناك همس في أذن الأميركيين من اللوبي الإيراني بفترة سماح قصيرة كفيلة بسقوط مأرب بيد الحوثيين، ما يجعل شمال اليمن في يدهم.

في المشهد اليوم، ما هو جديد. مرّ شهران على معركة مأرب التي زج الحوثيون فيها آلاف المقاتلين ولم تسقط، ويستمرون في الضغط على جيش الشرعية في خطة بديلة ترمي إلى حصار المدينة. ما عاد المجتمع الدولي قادراً على التغاضي عن المسألة الإنسانية حيث تستضيف هذه المدينة الاستراتيجية نحو مليون يمني نزحوا من محافظات أخرى خلال الحرب، وأضحوا اليوم على أبواب نزوح جديد.

ثمّة تغيّر في الاندفاعة نحو الحوثي. تبدُّل المزاج الأميركي يبدو جلياً في إحاطة المبعوث الأميركي إلى اليمن تيم ليندركينغ أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب حين قال: علينا أن نسأل أنفسنا عما إذا كان الحوثيون مهتمين بجدية بالسلام إذا استمروا في التقدّم في مدينة واجهوا فيها معارضة شديدة (ويقصد مأرب) خاصة في ضوء الإعلان السعودي في 22 آذار/مارس الذي يقترح تخفيف القيود على ميناء الحديدة وصنعاء والمطار ووقف إطلاق نار شامل على مستوى البلاد؟ معرباً عن اعتقاده بأن السعوديين مستعدون لإنهاء الحرب بطريقة مسؤولة، وأن هناك حاجة إلى مزيد من العمل لضمان استعداد جميع الأطراف اليمنية، وخاصة الحوثيين، للتخلي عن أسلحتهم والتنازلات من أجل السلام.

على أنه لا يمكن فك الارتباط بين مسار ملف اليمن والمحادثات الإيرانية – السعودية، ومسار مفاوضات فيينا حول الملف النووي، الذي يُشكّل أولوية في المنطقة لدى إدارة بايدن. قد يكون من غير الواضح ما إذا كان تحوُّل السعودية في مقاربتها ملفات المنطقة هو تحوُّل استراتيجي أو تكتيكي فرضته تبدلات السياسة الأميركية، لكنه من الجليّ بمكان أن الهجمة الإيرانية مرتبطة بتغيّر سياسة سيد البيت الأبيض الذي سيكون بين مطرقة مَن يُفترض أنهم حلفاؤه التقليديون في المنطقة، وسندان مَن هم أعداء اليوم، ولن يكونوا حلفاءً في الغد.

الإمارات يهمها من اليمن مدنه الساحلية والجزر المتحكمة في الطرق البحرية

إبراهيم نوار

لم تكن الإمارات قديما أو حديثا قوة بحرية؛ حيث لعبت سلطنة عمان دور القوة البحرية العربية الرئيسية في بحر العرب والمحيط الهندي منذ القرن الثامن الميلادي وحتى القرن العشرين، وهزمت البرتغاليين في منتصف القرن السابع عشر، وأقامت مستوطنات ومراكز تجارية على طول الساحل الشرقي لأفريقيا، وامتد نفوذها شرقا إلى مضيق ملقا بين المحيطين الهندي والهادي. واستمر وجودها في تلك المناطق حتى تخلت عن ميناء جوادر في عام 1958 ثم استقلت عنها زنجبار عام 1963. بعد ذلك أصبحت المنطقة من باب المندب إلى مضيق ملقا خالية من أي نفوذ عربي، وذلك على الرغم مصالح العربية الاستراتيجية والتجارية فيها. الإمارات رأت أن أمامها فرصة ذهبية لملء الفراغ الذي خلفته وراءها سلطنة عمان، فأرسلت سفنها إلى الصومال وجيبوتي واريتريا لاختبار المياه الراكدة هناك، وتقدير ما إذا كانت تستطيع إقامة مراكز لنفوذها، سواء من خلال التجارة والاستثمار، أو عن طريق عقد اتفاقات مع شخصيات حاكمة، أو صفقات مشبوهة مع عصابات القراصنة ومهربي البشر والمخدرات والسلاح والذهب والمعادن النفيسة في منطقة القرن الأفريقي الكبير المليئة بالصراعات. لكن ذلك كله لم يكن لينجح ويستمر بدون وجود قوي للإمارات في سواحل اليمن التي توفر لها أيضا قاعدة للانطلاق إلى منطقة القرن الأفريقي الكبير، الممتدة من الصومال وجيبوتي إلى سواحل البحر المتوسط.

الأطماع في عدن

تلك مقدمة مهمة لفهم الدور الإماراتي في الصراع على اليمن، الذي ازداد قوة بعد سيطرة الحوثيين على العاصمة صنعاء في العام 2014 وهروب حكومة عبد ربه منصور هادي إلى الرياض. الإمارات كان لها دور في التسوية الخليجية التي أدت إلى تنازل علي عبد الله صالح عن الرئاسة لنائبه هادي. وكانت على علاقة قوية مع نظام صالح، خصوصا العلاقة بين محمد بن زايد نائب رئيس الإمارات وأحمد صالح نجل الرئيس اليمني، الذي كان يتولى قيادة الحرس الجمهوري. بن زايد كان يراهن على نجل صالح في إقامة علاقات متينة مع اليمن. ولعبت دبي دورا مهما على الصعيد الاقتصادي بتوقيع اتفاق مع مؤسسة موانئ خليج عدن للاستثمار في ميناء عدن وتطويره وإعداده ليصبح قاعدة انطلاق في المنطقة الحاكمة لطرق التجارة الممتدة بين خليج هرمز وبحر عمان وبحر العرب والمحيط الهندي والأطلنطي وخليج عدن وباب المندب والبحر الأحمر وصولا إلى قناة السويس والبحر المتوسط. وبذلك يتضح أن دور الإمارات في الصراع على اليمن يقوم على محورين، الأول استراتيجي، يهدف لأن تصبح الإمارات قوة بحرية إقليمية، والثاني اقتصادي يعتمد على التجارة والاستثمار.

خلاف في الأهداف

عندما انضمت الإمارات إلى التحالف السعودي في عام 2015 كانت تبتغي بناء علاقات أقوى مع الرياض بديلا عن الشكوك وعدم الثقة التي سادت بين الطرفين خلال الفترة منذ تأسيس الإمارات. ومن المعروف أن الإمارات تحت قيادة الشيخ زايد بن سلطان كانت تعمل بحذر شديد على خلق توازن مع الرياض عن طريق التقارب مع القاهرة، والتهدئة مع طهران. لكن تراجع دور القاهرة، وزيادة النزعة التوسعية لدى إيران، فرضا على الإمارات تعزيز العلاقات مع الرياض، باعتبار أن ذلك هو الخيار الوحيد لضمان أمن الإمارات.

ويعرف المتابعون للخريطة السياسية في الخليج أن الإمارات تكره الحليف المحلي للسعودية في اليمن، وهو (حزب الإصلاح) الذي يمثل النسخة اليمنية من تنظيم الإخوان المسلمين. ولا تقوم كراهية حكام الإمارات للإخوان على أرضية خلاف ايديولوجي أو سياسي، وإنما تنطلق من حقيقة كراهية حكام الإمارات للسياسة بشكل عام، والتصميم على قطع الطريق على أي نوع من العمل السياسي، باعتبار أن ذلك يمثل تهديدا لسلطة العائلات الحاكمة في كل من الإمارات السبع. فالحكم في الإمارات عموما يجد مقومات أمنه في تحقيق مبدأ «مصادرة السياسة» وأن تقتصر أنشطة الحياة العامة محليا على سعي الأفراد والشركات لطلب الرزق وتحقيق الأرباح. وتدرك الإمارات منذ اليوم الأول لانضمامها إلى التحالف السعودي أن أهدافها تختلف عن أهداف السعودية، وأن حلفاء السعودية اليمنيين لا يمكن أبدا أن يكونوا حلفاء لها. وهذا يفسر كونها شرعت منذ دخولها إلى جنوب اليمن في بناء قوات جديدة على الأرض، لكي يكون لها حلفاؤها الذين تثق فيهم وتعتمد عليهم خلال الحرب وما بعدها. وقامت بتحقيق ذلك بهدوء وبدون استثارة السعوديين لمدة أربع سنوات.

ويمكن القول إن عملية بناء الحلفاء المحليين مرت بثلاث مراحل، الأولى كان هدفها طرد الحوثيين، والثانية لعقد تحالفات مستقرة مع حلفاء أثبتوا قوتهم على الأرض مثل المجلس الانتقالي الجنوبي وقوات المقاومة الوطنية بقيادة طارق صالح، والثالثة هي وضع نظام لاستمرار التنسيق ماليا ولوجيستيا وعسكريا مع الحلفاء بعد إعلان الإنسحاب.

وخلال سنوات الوجود العسكري المباشر، قامت الإمارات بإعادة تسليح المقاومة الشعبية في الجنوب، بكل تياراتها من السلفيين إلى القوميين واليساريين، مع البدء في تجنيد وتدريب عناصر جديدة لتوسيع نطاق المقاومة. وعلى التوازي مع ذلك فإنها عززت وجودها العسكري المباشر بقوات من الحرس الرئاسي الذي يقوده الجنرال الأسترالي مايك هندمارش، والقوات الخاصة والبحرية، إضافة إلى القوات البرية، واستقدام متعاقدين من السودان وتشاد ونيجيريا، والاستعانة بشركات أمن خارجية مثل بلاك ووتر. كما لعب الطيران الإماراتي دورا حاسما في ضرب قوات الحوثيين، مستفيدا من خبرات المشاركة مع حلف الناتو في عمليات عسكرية أو تدريبات مشتركة في أماكن مثل البلقان وأفغانستان وليبيا وشرق المتوسط.

المشاركة العسكرية

وطبقا لبيان ألقاه نائب رئيس الأركان الإماراتي الفريق عيسى المزروعي الذي كان يتولى قيادة عمليات القوات المشتركة في اليمن، فإن القوات الإماراتية التي شاركت في حرب اليمن ضمت أكثر من 15 ألف جندي، وأكثر من 3 آلاف من جنود البحرية مع 50 سفينة حربية، وقام الطيران الإماراتي بأكثر من 130 ألف طلعة جوية بجميع أنواع الطائرات في أجواء مسرح العمليات. كما قامت الإمارات بتدريب ما يقرب من 90 ألف جندي انضموا غالبا إلى صفوف حلفائها. وفي خلال فترة مشاركتها في الحرب حتى إتمام الانسحاب رسميا في شباط/فبراير 2020 قدر نائب رئيس الأركان الخسارة البشرية بعدد 108 من الضحايا.

مصالح الإمارات بعد الانسحاب

على الرغم من انسحابها رسميا من الحرب، فإن هناك إجماعا بين المراقبين العسكريين على أن دور الإمارات في اليمن ما يزال مستمرا عسكريا ومدنيا. ويقول مراقبون محليون أن للإمارات حاليا عشرات الضباط والعسكريين يتركزون في قيادة الحزام الأمني في ميناء عدن، وفي معسكرات التدريب والقواعد العسكرية في جزيرة سقطرى ومدينتي المكلا وبلحاف على ساحل بحر العرب، وجزيرة ميون بالقرب من الساحل الغربي للبحر الأحمر، وعدد من مدن الساحل الغربي أهمها الصليف والمخا، حيث تلعب قوات طارق صالح دورا رئيسيا لحماية المصالح الإماراتية على الساحل الغربي، والمشاركة في عمليات التحالف لاستعادة ميناء الحديدة.

وعلى الصعيد المدني تقدم الإمارات مساعدات إنسانية لليمن تقدر بمئات الملايين من الدولارات. وقد بلغت قيمة هذه المساعدات 230 مليون دولار في العام الحالي، طبقا للالتزامات المعلنة في مؤتمر الأمم المتحدة للمانحين في أول اذار/مارس الماضي. وتمثل مؤسسة خليفة للمساعدات الإنسانية الذراع الرئيسي الذي تعتمد عليه الإمارات في التغلغل داخل المجتمع اليمني، خصوصا في عدن وسقطرى. وتقدم المؤسسة خدمات طبية وتعليمية وغذائية وسكنية للآلاف من اليمنيين الذين يعانون من أسوأ أزمة إنسانية في الوقت الحاضر.

قاعدة في سقطرى

تشهد الجزيرة التي ترقد في هدوء وتمر من حولها سفن التجارة والحرب في أخطر مناطق العالم تغيرات واسعة النطاق اقتصاديا وعسكريا. وقد زادت سرعة هذه التغيرات منذ العام الماضي، بعدما أعلنت الإمارات انسحابها. ففي النصف الأول من العام زاد التكدس العسكري في الجزيرة، سواء من حيث عدد القوات أو الأسلحة والخدمات اللوجستية، أو من حيث تغير الولاءات وظهور أطراف جديدة على مسرح العمليات أهمها إسرائيل. ومن أهم التغيرات التي وقعت خلال العام الماضي سيطرة قوات المجلس الانتقالي الذي يرأسه عيدروس الزبيدي على مساحة كبيرة من الجزيرة تمتد من معسكر (رأس مومي) في الشرق إلى قاعدة (قطينان) العسكرية في الغرب. وهي بذلك تشرف على طرق الملاحة المتجهة شمالا وجنوبا من المحيطين الأطلنطي والهندي وخليج عمان ومضيق هرمز وبحر العرب إلى مضيق باب المندب والبحر الأحمر. وكان من أهم التطورات العسكرية في سقطرى إعلان الكتيبة الثالثة باللواء الأول مشاة بحري في شباط/فبراير 2020 انشقاقها على قوات حكومة الشرعية، وإعلان ولاءها للمجلس الانتقالي برئاسة عيدروس الزبيدي، وهو ما سمح للمجلس الذي ما يزال يسيطر على عدن، بتوسيع نطاق نفوذه، وأن يفتح للإمارات بوابات سقطرى البحرية والجوية لرحلات تحمل الأسلحة والمدرعات والذخائر.

وقد سجلت التقارير الواردة من سقطرى عن طريق المسافرين والمراقبين أن وفدا إسرائيلا قام بزيارة الجزيرة في اب/أغسطس الماضي لاستطلاع المواقع التي يمكن استخدامها لاقامة أكبر قاعدة استخبارات ومراقبة في منطقة الربط بين البحار والمحيطات المفتوحة بين الشرق والغرب. وطبقا لتقارير فرنسية فإن إسرائيل تسعى منذ العام 2016 إلى بناء أكبر قاعدة مراقبة واستخبارات بحرية في هذه المنطقة. وقد ذكر شهود عيان وتقارير إعلامية محلية أن الإمارات مستمرة في إرسال سفن محملة بالاسلحة والذخائر، وتسيير رحلات جوية إلى سقطرى، تحمل وفودا أجنبية تعمل في سرية تامة في إقامة إنشاءات خرسانية حصينة، خصوصا في الأرخبيل الغربي. ويوجد بين هؤلاء الكثير من الخبراء والعاملين من أوكرانيا وجنسيات أوروبية مختلفة. ومن المعتقد أن الإنشاءات التي يجري العمل فيها تتم بالتنسيق بين الولايات المتحدة والإمارات وإسرائيل في إطار مواجهة تمدد النفوذ الصيني والروسي في المنطقة. ان مشاركة الإمارات في التحالف السعودي عام 2015 ثم خروجها منه رسميا بعد ذلك بأربع سنوات، كان استجابة لتعزيز مقومات البقاء وطلب النفوذ إقليميا. وقد أصبحت الإمارات الآن في غنى عن التحالف مع السعودية، بعد أن ارتبطت بعلاقات أقوى مع إسرائيل، التي سوف تصبح القوة الرئيسية التي تحمي الإمارات من أي احتمال لتمدد دول في المنطقة يؤثر سلبا على الاتحاد الفيدرالي للإمارات السبع، ويوفر لها فرصة المشاركة في تحالف إقليمي يحظى بدعم الولايات المتحدة أكبر قوة عالمية في الوقت الحاضر. أما الأزمة في اليمن، فإنها ستنتظر حتى يتم إيجاد حل للصراع في المنطقة بين إيران من ناحية وإسرائيل من ناحية أخرى.

ميناء الحديدة

السنة الثانية والثلاثون العدد 10245 الأحد 25 نيسان (أبريل) 2021 – 13 رمضان 1442 هـ

هل تؤدي معارك مأرب إلى انهيار الوساطة الأممية؟

نيويورك ـ «القدس العربي»:
عبد الحميد صيام

أصدر أعضاء مجلس الأمن الدولي يوم الجمعة 16 من الشهر الحالي بيانا صحافيا صدر بالإجماع أدانوا فيه التصعيد المستمر في مدينة مأرب وضواحيها، وأشاروا إلى أنه «يفاقم الأزمة الإنسانية في اليمن، ويعرّض أكثر من مليون نازح داخليا لخطر جسيم، ويهدد الجهود المبذولة لتأمين تسوية سياسية في وقت يتحدّ المجتمع الدولي بشكل متزايد لإنهاء النزاع». وطالب المجلس جماعة الحوثي «أنصار الله» بوقف تصعيدهم في مأرب وأدان الهجمات عبر الحدود ضد المملكة العربية السعودية. كما رحب أعضاء المجلس بالمبادرة السعودية التي أطلقتها يوم 22 آذار/مارس «والتي تتماشى مع اقتراح المبعوث الخاص للأمم المتحدة لوقف إطلاق النار في عموم البلاد، وإعادة فتح مطار صنعاء الدولي، والسماح بحرية حركة السفن للوقود والسلع الأخرى إلى ميناء الحديدة وفقا لاتفاق ستوكهولم». وذكر البيان أن أعضاء مجلس الأمن دعوا جميع الأطراف للانخراط بشكل بنّاء مع المبعوث الخاص للأمم المتحدة والتفاوض، بدون شروط مسبقة، من أجل وقف فوري لإطلاق النار في عموم البلاد، وتسوية سياسية شاملة، وفقا للأحكام ذات الصلة بقرارات مجلس الأمن الدولي بما فيها 2216 (2015) و2565 (2021).

وكانت الأمم المتحدة قد أعلنت أن نحو 20 ألف يمني نزحوا من محافظة مأرب بين 8 شباط/فبراير و10 نيسان/أبريل، «معظم أولئك الذين أجبروا على الفرار هم من بين المليون نازح الذين يعيشون فعلا في المحافظة، وهو أكبر عدد من السكان النازحين في اليمن».

نزوح فوق تهجير، وانتشار مريع لوباء كوفيد–19 وتعثر وصول المساعدات الإنسانية وتفاقم حدة القتال في مأرب وغيرها، أضف إلى ذلك تعثر الاستيراد والتصدير وانهيار الموسم الزراعي وانتشار الأمراض المعدية الأخرى. ومن جهة أخرى فإن الاستجابة للنداء الأممي لتمويل المساعدات الإنسانية بقيمة 3.85 مليار دولار لمساعدة 16 مليون شخص لم تصل إلا إلى النصف ولم تتسلم المنظمة الدولية فعليا إلا ما نسبته 21 في المئة فقط من هذا المبلغ. والشيء المحير أن بعض دول التحالف التي لم تتبرع هذا العام بأي مبلغ، تنفذ على الأرض خطتها نحو تعزيز انفصال الجنوب واحتلال جزيرة سقطرى وتحويلها إلى قاعدة تنصت وتجسس لأعداء الأمة التاريخيين. إذن نحن أمام أكبر مأساة إنسانية في العالم كما قال مارك لوكوك، منسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية أمام مجلس الأمن مؤخرا. ونعجب لليمن على أي جانبيه يميل هذا إذا بقي يمن واحد متماسك بعد كل تلك المصائب؟

الأمم المتحدة والمسألة اليمنية

واكبت الأمم المتحدة المسألة اليمنية منذ انطلاق ثورة 11 شباط/فبراير 2011 وحتى هذه اللحظة. وقد تبدل على اليمن ثلاثة مبعوثين خاصين هم المغربي جمال بنعمر والموريتاني إسماعيل ولد الشيخ أحمد والبريطاني مارتن غريفيث. أما المسارات التي تعمل عليها المنظمة الدولية منذ بداية الأزمة فتشمل السياسي، والمسار الإنساني لإيصال المساعدات إلى أكثر من 60 في المئة من الشعب اليمني، وملف حظر الصوت الوحيد المسموع في اليمن. ولا يكاد يمر يوم دون أن نسمع عن إطلاق صواريخ أو طائرات مسيرة نحو أهداف في الداخل السعودي من مواقع عسكرية ومطارات ومنشآت نفطية وغيرها. الحوثيون يبدو أنهم مصممون على جمع أوراق قوية في أيديهم قبل الدخول في مفاوضات سياسية جادة برعاية أممية ودعم أمريكي وسعودي.

اجتماع خاص باليمن بين لندركنغ وماس وغريفيث

طهران ومسقط والرياض وأبو ظبي وبرلين. وأكد في مداخلته أمام مجلس الأمن يوم 15 نيسان/أبريل أن الشعب اليمني يريد السلام: «هناك جيل من اليمنيين عانى من التعليم المتقطع أو غياب التعليم. فرص العمل محدودة أو غير متوفرة. عانت مؤسسات الدولة من سنوات من التآكل. مشكلات استيراد النفط تتسبب في زيادة أسعار السلع الأساسية. وتمثل الكهرباء صراعا يوميا في بعض أجزاء اليمن. لكن معظم اليمنيين الذين تمت استشارتهم واستطلاع آرائهم والمشاركين في الحوار الوطني حول الحرب يصرون على أن إنهاء الحرب هو الهدف البسيط والأهم». لهذا السبب لم ييأس غريفيث ولا يفكر لغاية الآن بالاستقالة.

تصعيد الحوثيين

من يعتقد أن الحوثيين جهلة في السياسة فهو لا شك مخطئ. فبعد رفع اسمهم عن قائمة الإرهاب من قبل إدارة بايدن منذ 16 شباط/فبراير، عملوا على مسارين أساسيين، تعزيز علاقتهم بإيران من أجل تحديث أسلحتهم ورفع كفاءتها وخاصة في ميدان الطائرات المسيرة، وثانيا حشد أقصى قوة مسلحة ممكنة لمهاجمة مدينة مأرب واحتلالها، وهي المدينة الاستراتيجية الغنية بالنفط والغاز، والتي إن وقعت في أيديهم سيكون كل شمال اليمن تحت سيطرتهم. كان الحوثيون يدركون أن إدارة بايدن ستتدخل في الملف اليمني بشكل جاد وأن مسألة التفاوض والعودة إلى المسار السياسي مسألة وقت خاصة وأنها عينت مبعوثا خاصا لليمن هو تيموثي ليندركنغ. ولم تكن لديهم أوراق قوية ليلعبوا بها. لذلك أعلنوا منذ أواسط شباط/فبراير الهجوم على مأرب وكانت القوات الحكومية في أضعف حالاتها. كادت المدينة أن تسقط تماما لولا أن القوات الحكومية قامت بهجمات معاكسة على كل من تعز وحجة ولوحت بإلغاء اتفاقية ستوكهولم وشن هجوم على الحديدة التي يسيطر عليها الحوثيون ما أدى إلى التخفيف قليلا عن مأرب. لكن التصعيد ما زال مستمرا وإطلاق النار هو الصوت الوحيد المسموع في اليمن. ولا يكاد يمر يوم دون أن نسمع عن إطلاق صواريخ أو طائرات مسيرة نحو أهداف في الداخل السعودي من مواقع عسكرية ومطارات ومنشآت نفطية وغيرها. الحوثيون يبدو أنهم مصممون على جمع أوراق قوية في أيديهم قبل الدخول في مفاوضات سياسية جادة برعاية أممية ودعم أمريكي وسعودي.

المشاريع السياسية

تتقاطع المشاريع السياسية المطروحة لحل الأزمة اليمنية حول نقاط أساسية تقوم على وقف إطلاق النار الشامل وتسهيل وصول المساعدات الإنسانية ثم الانطلاق نحو المفاوضات. السعودية من جهتها واستعدادا لمرحلة بايدن الذي وعد فيها بمراجعة مسألة مبيعات الأسلحة وسجلات حقوق الإنسان، أطلقت مبادرة سياسية لحل الأزمة اليمنية بتاريخ 22 آذار/مارس تقوم على ثلاث نقاط: وقف إطلاق النار وفتح مطار صنعاء والسماح لميناء الحديدة بإدخال مواد غذائية ثم التوجه للمفاوضات. ولقيت المبادرة ترحيبا واسعا شمل الأمم المتحدة والعديد من دول المنطقة والعالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

الموقف الأمريكي من حل أزمة اليمن كما عبر عنه ليندركنغ، هو ما أسماه «المسار المزدوج»: مسار المفاوضات السياسية ومسار إيصال المساعدات الإنسانية. وقد ندد المبعوث الأمريكي بالهجمات الحوثية على مأرب وطالب بوقفها فورا والتوجه نحو المفاوضات السياسية والعمل على حل المأساة الإنسانية. كما اتهم المبعوث إيران بتحمل مسؤولية استمرار التوتر في اليمن، مشيرا إلى أنه لم ير «أي دليل أو دور إيجابي في اليمن حتى الآن».

أما إيران فهي من جهة تريد أن تبدد مخاوف المنطقة من تدخلاتها في الحرب لكن لا تستطيع التخلي عن دعم حلفائها كما فعلت في سوريا ولبنان والعراق. ويهمها تماما ألّا تخرج السعودية منتصرة في تلك المواجهة. تدخلاتها في اليمن ليست بنفس الطريقة الكلاسيكية بنقل الحرس الثوري للمشاركة في التدريب وإقامة القواعد والقتال إن لزم الأمر بل بدعم حلفائها الحوثيين لوجستيا وسياسيا، وترى أن من مصلحتها أن يكون اليمن مستقرا موحدا. فقد رحبت بالمبادرة السعودية والتي تتقاطع في عديد من النقاط مع رؤيتها للحل حيث صرح مسؤول في وزارة الخارجية الإيرانية أن إيران تدعم أي خطة سلام في اليمن بشروط. وقالت الخارجية الإيرانية، في بيان بمناسبة الذكرى السادسة للحرب في اليمن، إن إيران «أكدت منذ بداية هذه الحرب أنه لا يوجد حل عسكري للأزمة اليمنية وأن إيران تدعم أي خطة سلام تقوم على إنهاء العدوان، والوقف العام لإطلاق النار، وإنهاء الاحتلال، ورفع الحصار الاقتصادي، وبدء المحادثات السياسية، وفي نهاية المطاف تسليم اليمنيين زمام الأمور لرسم مستقبلهم السياسي دون تدخل أجنبي».

بعد هذا الاستعراض نعود لمبادرة مارتن غريفيث التي أطلقها في تموز/يوليو الماضي والتي تحتوي على أربع نقاط أساسية ونعتبر أنها الأساس السليم لأي حل مقبل:

أولا: وقف شامل لإطلاق النار في جميع أنحاء اليمن، بما في ذلك الجبهات التي تشارك فيها جهات غير حكومية في مواجهات مع الحوثيين. وكذلك في المناطق التي لا يسيطر عليها الحوثيون. ويشمل وقف إطلاق النار كذلك وقف الهجمات الجوية والبرية على الأراضي السعودية. تقوم لجنة مشتركة من أطراف النزاع تحت رعاية الأمم المتحدة بمراقبة وقف إطلاق النار وعقد اجتماعات أسبوعية للمراقبة والتشاور.

ثانيا: يتم تعاون جميع الأطراف مع الأمم المتحدة لتسهيل وصول المواد الغذائية لكل أبناء الشعب اليمني المحتاجين خاصة من الأطفال والنساء على وجه السرعة لتلافي مأساة إنسانية قد تودي بحياة مئات الألوف بسبب المجاعة ونقص الغذاء والدواء وسوء التغذية الحاد لحوالي 2.3 مليون طفل. وهذا يتطلب فتح الطرق البرية الرئيسية للمدن وتسهيل وصول المساعدات الغذائية عن طريق ميناء الحديدة. كما تدعو الخطة إلى فتح مطار صنعاء الدولي، وتسمح للرحلات الإنسانية والتجارية والمدنية بالهبوط دون عقبات.

ثالثا: القيام تحت إشراف الأمم المتحدة بخطوات بناء الثقة مثل تبادل الأسرى والمعتقلين وتوحيد بعض المؤسسات الوطنية ودفع الرواتب لكل موظفي الدولة والتعاون في مجالات مهمة مثل محاربة وباء كوفيد–19 والكوليرا وغيرها.

رابعا: إستئناف المفاوضات بناء على ما تم تحقيقه في جنيف والكويت وستوكهولم. الهدف من المفاوضات هو الوصول إلى توافق على تشكيل حكومة انتقالية تشمل جميع مكونات الشعب اليمني تسيّر أمور البلاد ضمن خريطة طريق متفق عليها تشمل الاستفتاء على دستور جديد والتوجه نحو الانتخابات الشاملة التشريعية والرئاسية.

لقد كانت السعودية تعتقد أنها ستحسم معركة اليمن في ثلاثة أسابيع وها هي تعود للبحث عن مخرج سياسي بعد أكثر من ست سنوات. والحوثيون يقعون في نفس الخطأ باعتقادهم أنهم قادرون على حسم المعركة عسكريا. لقد آن الأوان أن يستغل الجميع الفرصة ويتحد فيها المجتمع الدولي على وقف حرب اليمن والتوجه نحو الحل السياسي فقد لا تستمر هذه الفرصة طويلا.

Volume 32 - Issue 10245 Sunday 25 April 2021

مأرب في قلب الاصطفافات الإقليمية والدولية الجديدة

إبراهيم درويش

كان اليمن من البنود الأولى في سياسة الرئيس الأمريكي الخارجية، حيث أكد في خطاب له بوزارة الخارجية على أهمية وقف الحروب الدائمة أو التي لا تنتهي، وكان قراره الأخير سحب القوات الأمريكية من أفغانستان بحلول الذكرى العشرين لهجمات 11/9 متماشيا مع فكرته عن السياسة الخارجية التي تركز أقل على أزمات الشرق الأوسط وتتعامل بجدية مع التحدي الصيني والروسي.

لا يعرف

وكان من ضمن تحركات الإدارة الأمريكية الجديدة بشأن اليمن تعيين مبعوث خاص لها وهو تيموتي ليندركينغ الذي قدم يوم الأربعاء رؤيته عن دور الولايات المتحدة في اليمن. وقال إنه لا يعرف عن طبيعة دور الجيش الأمريكي في اليمن، وذلك عندما سأله المشرعون في الكونغرس. وقال إنه لا يعرف إن كان قرار الرئيس بايدن وقف الدعم العسكري للتحالف الذي تقوده السعودية ضد الحركة الحوثية التي تدعمها إيران قد طبق. وقال «لست في دائرة المعلومات» ولا يمكنه والحالة هذه الحديث عن الموضوع. وأكد أنه معني في المقام الأول بالتوصل لاتفاق وقف للنار «حتى نخرج من سؤال السلاح الهجومي والدفاعي» في إشارة لصفقات السلاح الأمريكية التي أوقفتها إدارة بايدن للمراجعة التقليدية، بخاصة أن الإدارة السابقة لدونالد ترامب هي التي أقرتها. وكان المشرعون الأمريكيون الذين ضغطوا لوقف الدعم الأمريكي للحرب التي تقودها السعودية قد كتبوا رسالة بداية هذا العام طلبوا فيها من بايدن توضيحات حول ما يعنيه بالضبط وقف الدعم العسكري. إلا أن الإدارة ومنذ إعلان السياسة في شباط/فبراير لم تقدم أية تفاصيل حول دور الجيش الأمريكي في الحرب. ووصف ليندركينغ في شهادته كلا من السعودية والإمارات بالشركاء وإيران بالدولة الإرهابية، بشكل عكس الموقف الأمريكي الجيوسياسي. وقال «لو استمر الحوثيون في علاقاتهم مع دولة إرهابية مثل إيران فهذا لا يحمل منظورا جيدا للأمن والسلام في اليمن». وتأتي شهادة المبعوث الأمريكي الذي أكد فيها على أهمية فتح اليمن ساحة تصفية حسابات إقليمية، فالسعودية ترغب عن عدم رغبته بالتشارك مع حكومة هادي الضعيفة. وبات كما فعلت في الماضي مع جارتها الجنوبية بحكومة مستقرة وصديقة لها في صنعاء. أما إيران، فقد وجدت في الحركة الحوثية التي لا تكلفها الكثير وسيلة لتوريط السعودية واستنزافها ماليا وعسكريا. وتحاول الإمارات عبر المجلس الانتقالي الجنوبي الحفاظ على الوضع في الجنوب كما هو لأن انتعاشا لميناء عدن الإستراتيجي سيؤثر على دبي التي باتت مركزا للنشاط التجاري بالمنطقة. وفي الوقت الذي تؤكد فيه الإمارات على هدف الوحدة إلا أن الكثير من اليمنيين لا يصدقون هذا الكلام ويعتقدون أنهم أصبحوا ضحايا القوى الخارجية.

حصار

ويتهم التحالف بقتل 18.500 مدني جراء القصف الجوي، حسب أرقام الأمم المتحدة. ومنع ناقلات النفط في الأشهر الأخيرة من الرسو في ميناء الحديدة زاد من نقص المحروقات. وفي الوقت نفسه اتهم الحوثيون بجر البلد إلى الأزمة عبر سيطرتهم على مناطق واسعة في الشمال، وهناك من يرى أن الإمارات لديها مصلحة راسخة في استمرار الفوضى بالبلد. ومن هنا تأتي أهمية مدينة مأرب، فهي بعيدا عن الحرب والقيادة المهلهلة قد تكون ساحة للاستقرار وتقف على احتياط من النفط والغاز الطبيعي يكفي لمساعدة 16.2 مليون نسمة أو نصف السكان ويخرجهم من الجوع والمعاناة التي يعانون منها. ووصف وزير في الحكومة اليمن بأنها «ماسة ولكن بيد تجار الفحم الحجري» ولكن اللوم لا يقع فقط على النخب المتحاربة بل وعلى العالم الخارجي، ففي مأرب ووسط الحكومة يحلمون الرئيس بايدن المسؤولية وقراره شطب الحركة الحوثية من القائمة الأمريكية لرعاة الإرهاب، مما جرأ الحوثيين ودفعهم على مواصلة حربهم ضد المدينة التي يرون أنها باتت تمثل اليمن وسكانه الذين فروا من كل مناطق النزاع. ويحاول اليمنيون فهم السبب الذي دفع بايدن لإلغاء قرار اتخذته إدارة دونالد ترامب في الساعة الأخيرة قبل مغادرتها البيت الأبيض وإن كان نتاجا لسوء تقدير أم انه مرتبط بسياسة واشنطن الجديدة للدفع باتجاه التفاوض مع إيران والعودة إلى خطة العمل المشتركة الشاملة أو الاتفاقية النووية التي وقعها بارك أوباما مع طهران عام 2015 وبمشاركة عدة قوى دولية. فربما كان شطب الحركة من قوائم الحركات الراعية للإرهاب بمثابة «عظمة» وماها بايدن لداعمتهم إيران، ومهما يكن من أمر فإن القرار يثير مشاكل للمستقبل. فقد خلق عن قصد أو بدون قصد فتحة للحرب في اليمن أنعشت الحوثيين ودفعتهم للوصول إلى مأرب. ويحاولون من خلال الضغط على مأرب خلق وقائع على الأرض بحيث يكون موقفهم قويا عند بدء المفاوضات. وبطالب حكام صنعاء، بعملية وقف إطلاق للنار تتم على ثلاث مراحل: وقف الغارات الجوية، ووقف إطلاق النار على الحدود السعودية– اليمنية ثم يتم الحديث عن وقف إطلاق النار في داخل اليمن. وما يمنع سقوط مأرب هي الغارات الجوية السعودية التي تدعم جيشا منتشرا على مساحات واسعة وبمعدات عسكرية قديمة وبدون إمدادات ويعوض نقصه المقاتلون من القبائل الذين يحاولون منع تقدم الحوثيين. والمخاوف لا تزال قائمة عن سقوط المدينة بعد خسارة القوات الخاصة قائدين في الفترة الأخيرة مما هز قوات الحكومة. ومن هنا فسقوط مأرب لا يعني فقط خسارة الحكومة معقلا آخر من المعاقل التي خسرتها في السنين الماضية، بل وستكون هناك تداعيات إنسانية، حيث سيحاول النازحون البحث عن مكان لجوء آخر أو مواصلة المعاناة تحت سلطة الحوثيين الذين أثبتوا كغيرهم من أطراف النزاع في الحرب الجارية قسوة ضد السكان.

محادثات سعودية–إيرانية

ضمن هذا السياق يمكن فهم المحاولات السرية للحوار بين السعودية وإيران، حيث كشفت صحيفة «فايننشال تايمز» (2021/4/19) عن محادثات في بغداد وكان موضوعها اليمن. ورغم نفي المسؤولين السعوديين المحادثات مع إيران إلا أنها فهمت على انها جزء من محاولات بايدن وقف الحرب أو بحث السعودية عن مخرج من اليمن عبر الحديث مع طهران راعية الحركة الحوثية للضغط عليها والقبول بوقف النار ومنع سقوط مأرب. ويرى ديفيد غاردنر في مقال بصحيفة «فايننشال تايمز» (2021/4/20) أن المحادثات وإن كان طابعها استشكافي إلا أنها تعتبر جزءا من بالونات اختبار لجس النبض حول إمكانية التعاون في الملفات الإقليمية، كما أنها جزء من محاولات إدارة بايدن العودة إلى الاتفاقية النووية. ويقود مبعوثه الخاص روبرت مالي فريق مفاوضات غير مباشرة في فيينا مع الجانب الإيراني. ورأت صحيفة «واشنطن بوست» (2021/4/23) أن الإدارة تحاول دراسة مجمل العقوبات المفروضة على إيران وتصنيفها بين ممكن وغير ممكن وقيد الدراسة. ذلك أن شرط طهران للعودة إلى اتفاقية 2015 هو رفع العقوبات كلها، بما فيها تلك التي فرضها ترامب ضمن استراتيجية «أقصى ضغط» وشملت قطاعات حيوية منها المصرف المركزي والحرس الثوري وشخصيات بارزة بمن فيها وزير الخارجية محمد جواد ظريف. لكل هذا تبدو محاولة التباحث بين السعودية وإيران ضمن سياق التحركات الجارية، ففي كانون الثاني/يناير ظهر بالون اختبار بصحيفة «الغارديان» وناقش فيه كل من عبد العزيز صغير وحسين موسويان المرتبطان بالجانبين السعودي والإيراني، أهمية التعاون الذي يأخذ بعين الاعتبار المصالح الأمنية للبلدين. ويبدو أن هذه المحادثات الأخيرة بدأت تقوم بالمهمة. وأشار غاردنر إلى قيام إيران في أيلول/ستمبر 2019 بشن هجمات صاروخية وبالطائرات المسيرة على منشأة النفط في كل من إبقيق وخريص، ومع أن المملكة أنفقت مليارات على منظومة باتريوت إلا أنها فشلت في صد الهجوم الذي جاء على موجتين كما قال مسؤول عربي بارز. وأظهر الهجوم على المنشآت النفطية أن أمريكا ليست درعا أمنيا يمكن الثقة به.

العراق: دور جديد

وفي هذا الإطار أثار دور العراق في ترتيب اللقاءات السرية، الحديث عن عودته للعب دور إقليمي. وناقشت كاثرين هارفي وبروس ريدل، بمقال نشره معهد «بروكينغز» (2021/4/23) الدور العراقي الجديد. وقالا إن بغداد يمكنها لعب دور «الجسر» بين السعودية وإيران. وأشارا إلى التحسن التدريجي في العلاقات بين السعودية والعراق منذ عام 2015 في وقت شهدت فيه الأشهر الماضية عددا من التطورات المهمة، مثل افتتاح معبر عرعر الحدودي، الذي يعتبر المعبر الرئيسي بين البلدين المغلق منذ 30 عاما. وزيادة الاستثمارات السعودية في العراق 3 مليار دولار من 500 مليون دولار. ثم جاءت المحادثات السرية في بغداد بين السعوديين والإيرانيين. وبعد استعراض تاريخي للعلاقات في منطقة الخليج، قالا إن النزاع فيها ليس قائما على قطبين إقليميين، وهو المفهوم السائد منذ غزو العراق عام 2003 بل هو متعدد الأقطاب أو مثلث، يمثل إيران والسعودية والعراق. والعراق الذي يعتبر الحلقة الأضعف بسبب عقود الحرب، يبحث عن دور لجسر الخلاف السعودي–الإيراني، وكما قال مسؤول عراقي معلقا على المحادثات الأخيرة «من مصلحة العراق أن يلعب هذا الدور، فكلما استمرت الخلافات في المنطقة كلما كانت ساحتها هنا» أي العراق. ومن هنا فالتقارب السعودي–الإيراني يعني منطقة هادئة وعراقا هادئا. ولو أدت المحادثات هذه لوقف إطلاق النار فستكون تطورا مهما ويساعد على وقف أسوأ كارثة إنسانية في العالم.

حوار

نوال السعداوي قبل ثلاثين عاما:

الحرب فرزت مواقع المثقفين المصريين والعرب وسياسة الأرض المحروقة ضد العراق بداية لتدمير كل دول المنطقة

حاورها: د. حسين الهنداوي

أعلن في مصر يوم 2021/3/21 عن وفاة الناشطة الإنسانية والكاتبة المصرية د. نوال السعداوي، عن تسعين عاما، بعد حياة نضالية حافلة بالعطاء أصدرت خلالها عشرات الكتب التي تُرجم بعضها للغات أجنبية، فيما تم منع بعض مؤلفاتها من التداول في مصر وبعض الدول العربية بسبب مجاهرتها في تحدي المحظورات الاجتماعية والدينية المصادرة لحقوق المرأة والمواطن والإنسان.

قبل ثلاثين عاما على وجه التحديد، أجريت هذا الحوار الخاص مع د. نوال السعداوي خلال زيارة لها إلى لندن في 21 شباط (فبراير) مطلع عام 1991 وبعيد حرب تدمير العراق والكويت مباشرة، إذ أقام عدد من المنظمات النسائية في لندن، لقاء كبيرا لإدانة الحرب في الخليج، ألقت فيه الكاتبة المصرية نوال السعداوي، رئيسة «جمعية التضامن مع المرأة العربية» محاضرة خاصة فضحت فيها أبعاد وأهداف هذه المؤامرة الخطيرة التي ينفذها التحالف الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضد الشعب العراقي وشعوب المنطقة خلال تلك الحرب.

وعبرت خلال الحوار عن تضامنها مع الشعب العراقي ضد سياسة الأرض المحروقة التي تعرض لها العراق على يد القوات الأمريكية خلال حرب الخليج الثانية كما أدانت دكتاتورية نظام صدام حسين.

نشر الحوار في جريدة «القدس العربي» يوم 27 شباط (فبراير) 1991 وفي أربعينية رحيلها تعيد الصحيفة نشره. وهنا نصه:

○ نوال السعداوي اسم كبير، وأكاد أقول انها رمز، في حركة تحرر المرأة العربية المعاصرة، وانه مفرح حقا ان نجدها في المقدمة بين المثقفين المصريين الذين رفعوا أصواتهم ضد هذه الحرب الوحشية التي يشنها التحالف الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية لتدمير الشعب العراقي؟

● أمر طبيعي جدا أن نقف ضد هذه الحرب المدمرة وان نتضامن مع ضحاياها من الرجال والنساء والأطفال في العراق وفي الكويت.

كان يجب أن لا يسمح بحصول هذه الأزمة منذ البداية وان يجري حلها سريعا وعربيا هي في مهدها. وكان يجب أن لا يسمح بحصول هذه الحرب التي تدمر طاقاتنا البشرية وثرواتنا في حين كان من الضروري تكريسها من أجل دفع تقدمنا الاجتماعي والحضاري ولدحر المؤامرات الاستعمارية والصهيونية ودعم نضال الشعب الفلسطيني لاسترداد حقوقه المغتصبة. كل شيء واضح الآن: الأمريكيون لم يأتوا بكل هذه القوات العسكرية إلا لتدميرنا ولتسليط إسرائيل على رقابنا جميعا ولجعلها القوة الحربية الأعظم في المنطقة.

○ كيف تفسرين بقاء الصوت الثقافي المصري المناهض لهذه الحرب استثنائيا إلى حد ما ومحصورا، بينما يصطف عدد مهم من الأسماء التقليدية ضمن الإعلام الرسمي للنظام المصري الذي ينشط بشكل فاضح كجزء من إعلام دول التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية؟

● استثنائياً! هذا غير صحيح. الصوت المصري المناهض للحرب ليس استثنائيا، لكنه بالمقابل محاصر ومحروم من امتلاك قنوات الإيصال الكبيرة.

وعلى أي حال، وهذا مهم جدا، أن هذه الحرب بينت فعلا وأزالت الكثير من الضباب الذي كان يحيط بكثير من المثقفين العرب والمصريين. لأنها أظهرت بجلاء من منهم يناهض الاستعمار الأمريكي والغربي والصهيوني فعلا، ومن كان يتاجر بذلك. كما كشفت من تهمهم شعوبهم ومستقبلها ومن لا يهمهم سوى المحافظة على مناصبهم وكراسيهم وامتيازاتهم. فما يجري الآن هو بنظري فرز حاسم بين اولئك وهؤلاء من المثقفين والكتاب والصحافيين. إلا أنني أستطيع التأكيد هنا بان الغالبية الكبرى من المثقفين المصريين هي ضد الحرب وضد هذه الهجمة الأمريكية الصهيونية لتدمير العراق. فالمعارضة المصرية التقدمية وقفت ومنذ البداية ضد الحرب، كما أن الشعب المصري يرفض هذه الحرب رفضا قاطعا، وحتى الحكومة المصرية لم تكن تريد الحرب فعلا في البداية إلا انها سرعان ما غيرت رأيها تحت ضغوط وتدخلات شديدة ووعود الإدارة الأمريكية. أما هذا الجزء من المثقفين والكتاب والصحافيين المصريين الذين تجد اسماءهم في الصحف الكبيرة كـ «الأهرام» و «الأخبار» وما شابه، فهؤلاء نحن نسميهم بمثقفي وكتاب السلطة. ومن أمثالهم لا يمكن ان تتوقع غير ذلك. فلقد كانوا دائما يصفقون للسلطة وهو ما يفعلونه الآن أيضا. كانوا يصفقون للملك في أيام الملكية ثم صفقوا لعبد الناصر وبعده صفقوا للسادات وها هم يصفقون للحكومة الحالية. ويخطئ من ينتظر منهم أن يقدموا شيئا آخر. اننا نسميهم بـ «مثقفي السلطة» وهم يعرفون جيدا أن هذه التسمية تنطبق عليهم تماما لانهم يعرفون بانهم سيطردون أو يمنعون من الكتابة، إذا لم يؤدوا هذا الدور. أما القسم الآخر من المثقفين المصريين الذين يرفضون تأدية هذا الدور من أمثالي، فتجدهم ممنوعين من التحدث عبر الإذاعة والتلفزة ولا ينشر لهم في الصحف الكبيرة، وليس أمامهم سوى صحف المعارضة وهذه قليلة ومحاصرة.

○ والديمقراطية التي يقال أنها موجودة في مصر الآن؟

● انها محدودة جدا جدا. في مصر كان هناك مثقفون قد وقفوا ضد السادات وتعرضوا للسجن والاضطهاد بسبب مواقفهم.

هؤلاء انتظروا حصول تغييرات إيجابية على صعيد الديمقراطية والحريات عند مجيء مبارك. وفعلا حصل بعض التقدم في هذا المجال. فنحن نتمتع فعلا بإمكانية الكلام والسفر دون مشاكل معقدة لحد الآن. لقد عرفت ان هناك من وضعوا في السجن، إلا ان هناك بعض الديمقراطية الأكبر نسبيا مما كان الوضع عليه في زمن السادات. ففي زمن السادات القي بعضنا في السجن لمجرد كتابة مقالات معارضة بينما الآن نستطيع نشر المقالات ضد الحرب دون أن يحصل شيء لنا. وانا نفسي كتبت ضد الحرب ولم أتعرض للتهديد في «الأهالي» ولم أتعرض لحد الآن إلى شيء... أقول لحد الآن، لأنني لا أدري ماذا سيحدث في المستقبل... نستطيع القول إذن ان هناك مساحة من الديمقراطية

أكبر الآن مما في زمن السادات، لكنها ديمقراطية محدودة.

فالسلطة المصرية تمتلك وتسيطر على كل وسائل الإعلام الهامة من الصحف الكبرى إلى الراديو والتلفزة وغيرها. وهذا يعني ان وسائل الإعلام المصرية هذه لا تمثل إلا وجهة نظر السلطة والحكومة والتابعين لهما من الكتاب والمثقفين ولا تمثل رأي الشعب المصري أبدا. إنما بالعكس، لأن الشعب المصري هو شعب قوي ومكافح ويتطلع بعمق إلى الوحدة بين العرب ومتشبع بأفكار عبد الناصر إلى درجة يستحيل تدميرها لديه.

○ إذا انتقلنا الآن إلى الحرب الحالية ضد العراق، سؤالي كيف تبدو لك نتائجها الكبرى؟

● لا أعرف كيف ستسير الأمور في الأيام المقبلة. من المتوقع أن يحقق معسكر الدول المتحالفة الذي تديره الولايات المتحدة انتصارا عسكريا على العراق. فهذا التحالف يضم 29 دولة بقيادة أقوى قوة عسكرية في العالم ويمتلك تفوقا في الآلة الحربية لا شك فيه.

لكن هذا الانتصار سيظل عسكريا فقط ومؤقتا جدا. أما سياسيا فانه مهزوم بلا أدنى شك. وأمريكا هزمت سياسيا أمام الأمة العربية حتى إذا خرجت منتصرة عسكريا كما هو متوقع. ولقد كتبت في إحدى مقالاتي الأخيرة ضد الحرب، ان العدوان الأمريكي على العراق هو علامة سقوط الامبراطورية الامبريالية في المنطقة العربية والعالم الثالث. الامبراطورية الأمريكية وأتباعها مهزومون وليس لدي أدنى شك حول هذا. لكن لا بد من الانتظار بعض الوقت لرؤية هذه النتيجة بشكل جلي. ان الهمجية الأمريكية في قصف المدن العراقية وهذه الشراسة للسيطرة على ثرواتنا فضحت حقيقة النوايا الإرهابية وجعلت الولايات المتحدة وإسرائيل عدونا الأول والمباشر. فالشعوب العربية والإسلامية لن تغفر لأمريكا هذه الجرائم ولن تسمح لها بامتلاك مكانة لديها ولا بد ان تهزمها نهائيا. حتى في العالم الأوروبي سقطت أمريكا وفقدت أي احترام. وهذه الهزيمة السياسية ستكون على صعيد نتائجها أشبه بالهزيمة السياسية لبريطانيا بعد معركة قناة السويس في 1956.

○ لكن الدمار الذي يتعرض له العراق والأخطار المترتبة عن انتصار عسكري أمريكي لا تضمن بان تكون هذه الحرب لحظة إيجابية بالضرورة على الصعيد التاريخي بالنسبة للمنطقة فيما يتعلق بمستقبل العراق والشعب الفلسطيني من جهة وبالاستقلال السياسي والديمقراطي والحريات والعدالة الاجتماعية في العالم العربي بما فيها تحرر المرأة.

● أعتقد ذلك تماما، وأشاركك نفس المخاوف. فعلى الصعيد المباشر، الانتصار العسكري لهذا التحالف الذي تشارك فيه أمريكا وإسرائيل بفعالية وتقويانه سيخلق الكثير من النتائج الخطيرة حيث سيفرضون علينا هيمنتهم التي نعرف بانها جوهر ما يسمونه بالنظام الأمني الإقليمي الجديد والنظام الدولي الجديد، وقد يذهبون إلى حد إعادة تقسيم المنطقة. كل هذه الأخطار موجودة فعليا ونحن لا نعرف ماذا يخفون لنا من مخططات استعمارية إلا ما هو جلي منها الآن كجعل إسرائيل القوة الحربية الأعظم في المنطقة والاستحواذ على النفط وخلق أنظمة تابعة لامريكا. لكن رغم ذلك فإن هذا الحال لن يستمر طويلا. فلن يكون هناك «السلام» الذي يريدونه لنا والذي لا يعني شيئا آخر سوى الاستسلام والتبعية والتجويع والإهانة. لدينا ملايين من الجياع ويريدون تجويعنا أكثر وإهانتنا أكثر وإذلالنا أكثر، وهل هناك إهانة أكبر من تحويل إسرائيل إلى قوة حربية تسرح وتمرح على رقابنا؟

أنني أعتقد بانه لن يكون هناك سلام في المنطقة إلا إذا انسحبت إسرائيل من الأراضي المحتلة وحجمت قوتها العسكرية وتمتع الشعب الفلسطيني بحريته وحقوقه المشروعة. ولن يكون هناك سلام إلا حين تبدأ حكومتنا بالعمل من أجلنا ومن أجل مصالحنا نحن. ان الشعوب العربية لن تقبل مطلقا بالإهانة والأنظمة العربية ذاتها تدرك بانها يجب أن تقف عند حد، كما أن ضرورة الديمقراطية ستطرح نفسها بشكل قوي. وأضيف أيضا بان هذه الحرب كشفت عن هشاشة الديمقراطية الغربية كمؤسسات وكنظم حيث استطاع جورج بوش وحلفاؤه الغربيون أن يستخدموا البرلمانات بسهولة لتبرير عدوانهم العسكري واعطائه طابع الشرعية والصبغة الديمقراطية. أي ديمقراطية هذه التي يتباهى بها الغرب؟ يشنون الحرب باسم إرادة شعوبهم وشعوبهم تتظاهر في الشوارع ضد الحرب ولا يسمعها أحد؟ انها ديمقراطية مزيفة لا تختلف فيما يتعلق بهذه الحرب على الأقل عن الدكتاتوريات التي تحكم البلدان العربية حاليا، سواء ديكتاتورية صدام أو ديكتاتورية حافظ الأسد أو ديكتاتورية فهد. لا أريد ان اتجاهل الإيجابيات النسبية التي تمثلها النظم الديمقراطية الغربية، الا انها ديمقراطية مزيفة في الجوهر هذه الديمقراطية التي تسمح بقتل الآلاف من أبناء الشعوب الأخرى.

○ تبقى الضحية الأكبر في هذه الحرب وفي هذه الأزمة والتي لم نسمع عن مأساتها أي شيء، واقصد المرأة سواء في العراق أو في الكويت. هذا الشهيد المجهول رغم انه يتحمل أعظم التضحيات.

● النساء والفقراء هم دائما أعظم الضحايا في الحروب لكنهم دائما منسيون ولا حصة لهم في المكاسب. الغنائم والأمجاد تذهب دائما لهؤلاء الذين يصدرون القرار بشن الحروب ثم ينتظرون النتائج في كراسيهم الوثيرة. أما النساء، أما الفقراء فهم وقود وضحايا الحروب دائما. وهذه هي طبيعة النظام العبودي الذي نعيش في ظله والذي يسمي نفسه بالنظام الرأسمالي سواء منه الليبرالي الصناعي أو الاشتراكي المزيف. وبالطبع فان مأساة النساء والفقراء مضاعفة في مجتمعاتنا الزراعية المتأخرة. ولنلاحظ أيضا بان الضحايا الأمريكيين هم غالبا من النساء والفقراء سيما الزنوج.

○ المرأة كان لها حضور مجيد في إدانة هذا الحرب. ففي فرنسا وقفت المحامية جيزيل حليمي سفيرة فرنسا سابقا في اليونسكو، في الصدارة ضد الحرب وضد تجويع الشعب العراقي وكذلك الحال بالنسبة للنساء العربيات وخصوصا من بنات الجالية المهاجرة وفي بريطانيا نذكر الدور البارز لرنا قباني وغادة الكرمي.

● النساء العربيات عملن أشياء هائلة لمنع حصول هذه الحرب. ففي مصر هناك الدور البارز الذي قامت به جريدة «مصر الفتاة» وهناك أدوار أخرى لا تقل أهمية للنساء التونسيات والفلسطينيات واللبنانيات في البلدان العربية وفي الغرب. لكن صوت المرأة العربية لا يزال محدود الصدى لحد الآن. وأنا متأكدة بان فترة ما بعد الحرب ستفتح أفاقا عظيمة في هذا المجال.

○ قيام مجموعة من النساء في السعودية بقيادة السيارات رغم الحظر الذي يفرضه القانون السعودي كان حدثا يستحق تسميته بـ«ثورة» بحد ذاته. كيف استقبلت النبأ؟

● بفرح عظيم. ليس فقط لأن هذا الحدث جاء دليلا قاطعا على ان المرأة العربية تشق طريقها بجرأة نحو تحررها وبوعي، بل لان هذا حدث في السعودية بالذات. أي في قلعة حرمان واضطهاد المرأة في العالم. وبصراحة وكما ان الدفاع عن تحرر المرأة دفعني ان أتمنى انتصار العراق على إيران، فانه يجعلني الآن ان أتمنى انتصار العراق على السعودية. وعندما أقول العراق فإنني لا أقصد هذا الحاكم أو ذاك، انما حصيلة وانجازات عقود طويلة من عمل وجهد الرجال والنساء. فالمرأة في العراق أو مصر لم تحقق ما حققته من مكاسب على طريق تحررها بفضل صدام أو بفضل مبارك أو عبد الناصر، انما بفضل نضالها القاسي والطويل.

حريات

شبكات تهريب البشر في ليبيا: معضلة عصيّة وحلول مؤجلة

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

جعلت السنوات العشر الماضية، التي تلت الإطاحة بنظام القذافي، من ليبيا منطقة عبور رئيسية لتهريب البشر إلى القارة العجوز وذلك رغم الرقابة الاستثنائية التي فرضها الأوروبيون على سواحلهم المتوسطية. ويأتي الأفارقة من سكان جنوب الصحراء في طليعة ضحايا عصابات الإتجار بالبشر التي تنشط بكثافة في تلك المساحات الصحراوية المترامية وباتت أخطبوطا يصعب اجتثاثه في الوقت الراهن على الأقل مع تنامي نشاطه وتغلغله وجمعه لسيولات مالية طائلة.

بين البر والبحر

وتعتبر أوروبا حلم الأفارقة من سكان جنوب الصحراء وحتى شمالها ويعتبرونها الفردوس المنشود الذي سيغير حياتهم نحو الأفضل ويقطع مع معاناتهم في بلدانهم الأصلية التي ينخرها الفساد والفقر وعدم الاستقرار. وتلتقي أحلامهم مع إغراءات المهربين وتعطشهم للهف المال فتحصل الكارثة في رحلة موت مرهقة لا يتحملها الشباب اليافع، فما بالك بالنساء والأطفال الذين باتوا اليوم يقبلون على الهجرة السرية خلافا لما كان عليه الحال في السابق حيث كانت تستقطب هذه الهجرة فقط فئة الشباب من الذكور.

فإن كان سكان الشمال الأفريقي يعرضون أنفسهم لخطر الموت في هجرتهم السرية مرة واحدة في البحر الأبيض المتوسط، فإن سكان أفريقيا جنوب الصحراء وقبل تعريض أنفسهم لخطر الغرق في مياه هذا البحر الأسطوري عليهم عبور الصحراء الكبرى الأفريقية المترامية بسلام وهو أمر صعب التحقق. وبالتالي فإن نسبة وصول المهاجرين من سكان أفريقيا جنوب الصحراء بسلام إلى أوروبا ضعيفة جدا ورغم ذلك يقبل هؤلاء على رحلة الموت المحفوفة بالمخاطر ويرتمون في أحضان عصابات الهجرة غير النظامية غير عابئين بالأهوال التي تعترض طريقهم برا وبحرا.

وتتحدث تقارير عديدة عن تواطؤ قوات شبه نظامية ليبية في عملية اصطياد البؤساء الأفارقة القادمين عبر الصحراء وتوجيههم بالتعاون مع عصابات الإتجار بالبشر إلى المدن التي تنطلق منها قوارب الموت وعلى رأسها مدينة زوارة شمال غربي البلاد. ففي هذه المدن يتم تكديس الراغبين في الهجرة في قوارب صغيرة لا تتسع لأعدادهم الهائلة وتنطلق رحلة المجهول في جنح الظلام بعيدا عن أنظار الرقباء من السلطات الليبية وغيرهم.

ولا تتحمل المراكب الصغيرة التي يغادر على متنها البؤساء الحالمون بالفردوس الأوروبي أمواج البحر العاتية والمتلاطمة كلما توغلت في أعماق البحار، فتغرق في أغلبها قبل الوصول إلى الوجهة والمقصد. كما لا تتحمل هذه المراكب الأعداد الهائلة من المهاجرين المكدسين على متنها بسبب لهفة عصابات الإتجار بالبشر على المال، فيضطر الركاب إلى التخلص من الحمولة الزائدة أي الأشخاص الأضعف جسديا وغير القادرين على حماية أنفسهم في مشهد بائس ومحزن.

علاقات متشعبة

ومن المضحكات المبكيات أن زعيم مافيا التهريب في ليبيا يسمى «الحاج» مع ما تحمله هذه التسمية من دلالة على التقوى والورع والهيبة والوقار، ويسمى عضده الأيمن «الكبران» وهي رتبة عسكرية متدنية تناسب موقع الكبران في علاقة بالحاج. ويكون الكبران همزة الوصل بين المغرر بهم وبين الحاج والذي يشرف على المواقع الإلكترونية التي تغري الراغبين في الهجرة السرية بالمسارعة إلى فردوسهم المفقود بعد أن تبث مقاطع فيديو لمهاجرين سابقين نجحوا في عبور الصحراء المترامية ثم البحر الأبيض المتوسط، فيشكرون ظروف التنقل والمعاملة الحسنة إلى أن انتهى بهم الأمر في شواطئ القارة العجوز.

وتختلف سمعة المهربين من واحد إلى آخر، حيث نجح البعض في إيصال أعداد هامة من المغرر بهم إلى حيث يريدون فاكتسبوا صيتا لدى الأفارقة جنوب الصحراء الراغبين في الهجرة. وكان لمهربي مدينة زوارة نصيب الأسد في هذه السمعة الحسنة، فهي بحسب شهادات لا تتقاضى الأموال من المهاجرين قبل ضمان رحلتهم. وبالمقابل فشل آخرون في اكتساب صيت حسن فلهفوا الأموال وتحايلوا على خلق الله من خلال الامتناع عن الإبحار بهم أو بيعهم لمهربين آخرين أو تسليمهم للسلطات الليبية أو الفشل لاحقا في إيصالهم بعد غرق المركب الصغير المخصص للإبحار.

ويتم إيداع المقبوض عليهم في مراكز إيواء تفتقر لأدنى مقومات الحياة باعتبارها مجرد مخازن واسطبلات سابقة يودع فيها بنو البشر وسط الأوساخ والقاذورات وبعضها بدون دورات مياه. وهناك تقارير تتحدث عن تحرشات جنسية تطال النساء والأطفال في هذه المحتشدات رغم أنها مفتوحة لزيارات المنظمات الحقوقية التي تعنى بمسألة الهجرة وبظروف إقامة المهاجرين.

وقد أقامت هذه الشبكات الليبية علاقات متينة مع نظراء لها خارج الأراضي الليبية وذلك لتنويع طرق العبور إلى الأراضي الأوروبية وبات التعاون هو السمة البارزة بين مافيات الإتجار بالبشر سواء في ليبيا أو في تونس أو في المغرب أو حتى في مالطا وفي غيرها. وقد مكّنت هذه العلاقات المافيات الليبية أيضا من مهاجرين من مختلف الجنسيات يتواجدون باستمرار ويؤمنون السيولة المالية التي يقوم المهربون بتطوير أنشطتهم من خلالها.

حلول منعدمة

ولا يبدو أن هناك حلولا لهذه المشكلة في الوقت الراهن وذلك بالنظر إلى عدة اعتبارات، منها الحدود الشاسعة والمترامية لليبيا مع ست دول أفريقية والتي تصعب مراقبتها بالكامل خاصة مع غياب سلطة مركزية قوية لديها قوات حاملة للسلاح بأعداد معتبرة وقادرة على التحكم في المجال. فغياب الدولة تماما طيلة السنوات الماضية ساهم بشكل كبير في استفحال هذا النشاط غير القانوني المتواجد أيضا في باقي دول شمال أفريقيا لكن بوتيرة أقل بالنظر إلى ملاحقته من قبل السلطات الرسمية في هذه الدول.

كما أن الحكومة الليبية جديدة لن يطول بها المقام كثيرا باعتبار أن تواجدها محدود في الزمن، ومحاربة هذه الآفة تتطلب سنوات طويلة بعد أن تغلغلت مافيات تهريب البشر في التراب الليبي ولم تعد مسألة اقتلاعها أمرا هينا. كما أن مهام هذه الحكومة محددة سلفا بالاتفاق الذي أتى بها إلى الحكم وليس من ضمن هذه المهام محاربة الهجرة السرية والإتجار بالبشر والتي يبدو أن الحكومات المقبلة ستجد صعوبة بالغة في القضاء عليها باعتبار تغلغل مافيات التهريب في الطبقة السياسية الجديدة في بلد عمر المختار.

ولن تتوقف الهجرة السرية مادام هناك فقر في أفريقيا وثروات طبيعية منهوبة من قبل القوى الكبرى تستغلها في تنمية بلدانها فيما المواطن الأفريقي يعاني الأمرين لتحصيل لقمة العيش، ناهيك عن الجهل وتفشي الأمراض والأوبئة الفتاكة في ظل حكم قادة نصبهم المستعمر السابق وباتوا خدما له بعد رحيله ويبحثون عن كسب وده. لذلك ستواصل تدفق الأفارقة على أوروبا التي تغري هؤلاء المسحوقين الذين يفتقدون إلى أبسط الحقوق في بلدانهم لتأمين العيش الكريم لهم ولعائلاتهم سواء بإرسال الأموال إليهم أو بدعوتهم إلى الالتحاق بهم في بلد الإقامة الأوروبي.

كما أن بلدان شمال أفريقيا لن تتمكن من مراقبة سواحلها على الوجه الأكمل مثلما يرغب الأوروبيون في ذلك باعتبار أن أوروبا نفسها عاجزة عن القيام بذلك رغم تطور أجهزة المراقبة لدى عناصر خفر السواحل في الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط. وبالتالي على أوروبا أن تفكر في مقاربات أخرى مع شركائها الجنوبيين تجاوز النظرة إليهم كشرطي مكلف بمهمة تأمين حدودها الجنوبية من الإرهاب والهجرة السرية ليصبحوا شركاء اقتصاديين حقيقيين لا يتم معهم تبادل السلع والبضائع فحسب، بل حتى البشر في إطار هجرة منظمة ومقننة بحسب حاجيات الأوروبيين الذين يشهدون تهرما سكانيا يجعلهم بحاجة إلى اليد العاملة المختصة خلال السنوات المقبلة.

معضلة حقيقية

وفي هذا الإطار يرى الكاتب والباحث الليبي عبيد رقيق في حديثه لـ« القدس العربي» أن تهريب البشر في ليبيا معضلة حقيقية وليس من السهل حلها لأنها مرتبطة أساسا بالوضع الأمني والذي لا يزال هشًا. ولا يعتقد رقيق بأن الحكومة الجديدة ستقدم حلا بهذا الخصوص لاعتبارين اثنين، أولا لأن هذه المشكلة برأيه ليست من أولوياتها بالنظر إلى خريطة الطريق المتفق عليها في جنيف والتي حددت عمر الحكومة خلال هذه السنة فقط أي 2021 وبمهام معينة أيضا ومحددة، على رأسها تحسين الوضع

المعيشي ومعالجة مشكلة الكهرباء وادماج المجموعات المسلحة في أجهزة الدولة الرسمية والاستحقاق الانتخابي، ثانيا لعدم قدرة هذه الحكومة، برأي محدثنا، على معالجة الملف الأمني وقصورها في فرض سيطرتها الأمنية على الحدود المترامية الأطراف للدولة والتي يصعب تأمينها حتى من قوات نظامية في دولة مستقرة.

ويضيف الباحث الليبي قائلا: «ونذكر بأن مشكلة تهريب البشر كانت قائمة حتى إبان حكم النظام السابق بالرغم من القبضة الأمنية فما بالك الآن، حيث لا وجود لسيادة فعلية على الحدود ولا وجود حتى لمتابعة أمنية دقيقة داخل ليبيا. لقد تغولت جماعات التهريب التي وللأسف أصبح عناصرها يمارسون أفعالهم جهارا نهارا بعدما امتلكوا السلاح والمركبات ذات الاستعمال الصحراوي، وهذا الأمر يجعل ايجاد حلول سريعة شبه مستحيل في ظل حكومة مؤقتة مثلما أشرنا مهامها محدودة ولا يمكنها تجاوزها.

في مثل هذه الظروف سيستمر تهريب البشر في ليبيا التي أصبحت محطة تهريب مفضلة للاعتبارات التي ذكرتها والمتمثلة في الفراغ الأمني الكبير وامتلاك المهربين للأسلحة وتكوينهم لشبكات على شكل حلقات متصلة عبر الأراضي الليبية. ولا أرى بالتالي حلا لهذه المعضلة في الوقت الراهن وحتى على المدى القريب والمتوسط وقبل أن تتوحد المؤسسة العسكرية في ليبيا وهي التي لا تزال إلى اليوم منقسمة بين الغرب والشرق رغم توحيد السلطة التنفيذية ونيلها تزكية البرلمان».

من جهته وفيما يتعلق بمسألة وقف تدفق المهاجرين ومعضلة شبكات تهريب البشر في ليبيا ومدى قدرة الحكومة الليبية الجديدة على إيجاد الحلول لهذه المعضلة التي لفتت إليها أنظار العالم في السنوات الأخيرة، أكد الباحث الليبي محمد شومار لـ «القدس العربي» أنه «في ظل انتشار السلاح لدى مختلف مكونات الشعب الليبي وذلك بعد فتح النظام السابق لخازن الأسلحة قبيل سقوط معمر القذافي، وبعد تدفق أسلحة أخرى من الخارج من قبل دول رغبت في تأجيج الصراع الليبي، لن تستطيع الحكومة الجديدة برئاسة عبد الحميد دبيبة وقف تهريب البشر». فشبكة التهريب الدولية التي نشأت في ليبيا في العشرية الأخيرة، حسب محدثنا، تمتلك المال والسلاح لاستمرار هذه الظاهرة وبشكل متزايد خلال فترة فصل الصيف حيث يصبح البحر هادئا وملائما للإبحار في غياب الرياح والعواصف وذلك بغاية العبور إلى الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط.

ويضيف محدثنا قائلا: «يصعب ضبط الحدود الليبية المترامية في الأوضاع العادية فما بالك بالوقت الراهن حيث غابت الدولة تماما أو كادت طيلة عقد من الزمان نشأت خلاله مافيات تغلغلت وأصبحت أخطبوطا متعدد الفروع والعلاقات. فالحدود مع النيجر وحدها يدخل منها إلى ليبيا 80 في المئة من المهاجرين غير الشرعيين الذين يستقرون بداية بمدينة سبها الجنوبية ومنا يتحولون إلى مدن غرب وشرق ليبيا للتوجه إلى دول جنوب أوروبا وخصوصا إيطاليا المتاخمة لدول شمال أفريقيا والتي تعتبر البوابة الرئيسية مع إسبانيا للولوج إلى القارة الأوروبية».

كتب

قصص حسن بلاسم في «إيميلات مترجم إيميل سيوران» وأحمد الشريف في «متاهات اللذة»:

خلطات غرائبية لعوالم ومسارات نفسية من الماضي والحاضر

هاشم شفيق

للقصة العربية مذاقها وخصوصيتها وعالمها الرحب، وإذا ما كتبت بيد مبدعة وخيال خلاق ستجترح عوالمها الشاسعة، الغريبة والمتنوّعة، ذلك أن القصة العربية هي وليدة واقع ومجتمع لأكثر من عشرين بلداً عربياً، وهي ستحفر في سياق التخليق، داخل مسارات نفسية وشخصية وبحثية، لأكثر من ثلاثمئة مليون عربي، وكل واحد من هؤلاء، لديه قصّته وحكايته ومكابداته مع الحياة والعالم.

وعطفاً على هذا الكلام، بين يديّ الآن مجموعتان قصصيّتان لقصّاصَين عربيَّين، الأول عراقي هو القاص حسن بلاسم، والثاني مصري هو أحمد الشريف، وكلاهما يقيمان في بلد أوروبي، الأول يعيش في فنلندا، والثاني في النرويج. إنهما كاتبان يعكسان أجواء حالتيهما في المنافي، أو في البلدين البديلين، ولكنهما يستذكران ويستعيدان أجواء عربية، وحالات من مناخات عالميهما السابقين في بلد المنشأ، ويحاولان تقديم خلطة غرائبية من كلا العالمين، من خلال تجاربهما وحياتهما السابقة والحالية، يستعيدان الماضي ويستدرجانه ليكون في الحاضر، فحسن بلاسم يستعيد العراق وأجواءه المأسوية والغرائبية، كونه يتحدّر من عائلة فقيرة، ومِن مكان أفقر، ترتع فيه التقوى المؤذية، والفساد المبرمج، والمُخطط له، والمتبَّل بالاحتيال، والقتل والسرقة والخطف والتصفيات والسجن، كالعوالم السابقة للديكتاتور، وللسدنة الجدد الذين جاء بهم الأمريكان، وكذلك هي أحوال ومقامات القاص أحمد الشريف، وسفره في عالم متشابك، مما كان يراه ويلمسه في كل المنافي التي عبر بها، أو زارها، أو اجترح فيها لنفسه موقعاً، لإدامة مهنة الحياة، والعمل، والتواصل مع الكتابة، بعيداً عن مصر بلد المنشأ، والأجواء التي كان يعيشها هناك، وملابسات الحياة فيها.

اعتاد القاص حسن بلاسم، في سرد مروياته القصصية على قول كل ما يخطر في باله، وقوله من دون رقابة، وتابو، وخطوط حمر، تحاول لجم مبدعة وخيال خلاق ستجترح عوالمها الشاسعة، الغريبة والمتنوّعة، ذلك أن القصة العربية هي وليدة واقع ومجتمع لأكثر من عشرين بلداً عربياً، وهي ستحفر في سياق التخليق، داخل مسارات نفسية وشخصية وبحثية، لأكثر من ثلاثمئة مليون عربي، وكل واحد من هؤلاء، لديه قصّته وحكايته ومكابداته مع الحياة والعالم.

وعطفاً على هذا الكلام، بين يديّ الآن مجموعتان قصصيّتان لقصّاصَين عربيَّين، الأول عراقي هو القاص حسن بلاسم، والثاني مصري هو أحمد الشريف، وكلاهما يقيمان في بلد أوروبي، الأول يعيش في فنلندا، والثاني في النرويج. إنهما كاتبان يعكسان أجواء حالتيهما في المنافي، أو في البلدين البديلين، ولكنهما يستذكران ويستعيدان أجواء عربية، وحالات من مناخات عالميهما السابقين في بلد المنشأ، ويحاولان تقديم خلطة غرائبية من كلا العالمين، من خلال تجاربهما وحياتهما السابقة والحالية، يستعيدان الماضي ويستدرجانه ليكون في الحاضر، فحسن بلاسم يستعيد العراق وأجواءه المأسوية والغرائبية، كونه يتحدّر من عائلة فقيرة، ومِن مكان أفقر، ترتع فيه التقوى المؤذية، والفساد المبرمج، والمُخطط له، والمتبَّل بالاحتيال، والقتل والسرقة والخطف والتصفيات والسجن، كالعوالم السابقة للديكتاتور، وللسدنة الجدد الذين جاء بهم الأمريكان، وكذلك هي أحوال ومقامات القاص أحمد الشريف، وسفره في عالم متشابك، مما كان يراه ويلمسه في كل المنافي التي عبر بها، أو زارها، أو اجترح فيها لنفسه موقعاً، لإدامة مهنة الحياة، والعمل، والتواصل مع الكتابة، بعيداً عن مصر بلد المنشأ، والأجواء التي كان يعيشها هناك، وملابسات الحياة فيها.

اعتاد القاص حسن بلاسم، في سرد مروياته القصصية على قول كل ما يخطر في باله، وقوله من دون رقابة، وتابو، وخطوط حمر، تحاول لجم مبدعة وخيال خلاق ستجترح عوالمها الشاسعة، الغريبة والمتنوّعة، ذلك أن القصة العربية هي وليدة واقع ومجتمع لأكثر من عشرين بلداً عربياً، وهي ستحفر في سياق التخليق، داخل مسارات نفسية وشخصية وبحثية، لأكثر من ثلاثمئة مليون عربي، وكل واحد من هؤلاء، لديه قصّته وحكايته ومكابداته مع الحياة والعالم.

وعطفاً على هذا الكلام، بين يديّ الآن مجموعتان قصصيّتان لقصّاصَين عربيَّين، الأول عراقي هو القاص حسن بلاسم، والثاني مصري هو أحمد الشريف، وكلاهما يقيمان في بلد أوروبي، الأول يعيش في فنلندا، والثاني في النرويج. إنهما كاتبان يعكسان أجواء حالتيهما في المنافي، أو في البلدين البديلين، ولكنهما يستذكران ويستعيدان أجواء عربية، وحالات من مناخات عالميهما السابقين في بلد المنشأ، ويحاولان تقديم خلطة غرائبية من كلا العالمين، من خلال تجاربهما وحياتهما السابقة والحالية، يستعيدان الماضي ويستدرجانه ليكون في الحاضر، فحسن بلاسم يستعيد العراق وأجواءه المأسوية والغرائبية، كونه يتحدّر من عائلة فقيرة، ومِن مكان أفقر، ترتع فيه التقوى المؤذية، والفساد المبرمج، والمُخطط له، والمتبَّل بالاحتيال، والقتل والسرقة والخطف والتصفيات والسجن، كالعوالم السابقة للديكتاتور، وللسدنة الجدد الذين جاء بهم الأمريكان، وكذلك هي أحوال ومقامات القاص أحمد الشريف، وسفره في عالم متشابك، مما كان يراه ويلمسه في كل المنافي التي عبر بها، أو زارها، أو اجترح فيها لنفسه موقعاً، لإدامة مهنة الحياة، والعمل، والتواصل مع الكتابة، بعيداً عن مصر بلد المنشأ، والأجواء التي كان يعيشها هناك، وملابسات الحياة فيها.

ترجمته لهذا الفيلسوف، وكونه الشخصية الأساسية في الكتاب، يحكي له ويُخبره عن يومياته، وتفاصيله في ذلك اليوم، حتى يسهو ويسرد له محطاته، تلك التي مرت بحياته الماضية والحالية، مستذكراً ماضيه، وطفولته التعيسة وعراقه الأتعس، وفقره وشؤونه اليومية، وغربته في الأمكنة التي حط فيها وعاش حياته، بدءاً من كردستان وإيران وعمّان، وبعض الدول القريبة من فنلندا، كالدنمارك وهولندا، والسويد والنرويج، وحكايات أصدقائه العرب والأوروبيين الذين التقاهم وصادفهم في منافيه، وهو حين يذهب إلى التواليت يشرح الحياة هناك بتفاصيلها الإنسانية، الطبيعية، بدون زيادة أو نقصان، أو التفاف على اللغة، من أجل لي عنقها، وتحويرها عن مسارها الحقيقي، ينضاف إلى ذلك تابو الدين، فحسن بلاسم متحرر تماماً من ذلك، فهو لا يهمّه أن جذّف وشتم ومسّ بالذات الإلهية، أو النُظم الدينية والمذهبية، فهو متحرّر من هذا العبء، الذي يكبّل الكثير من الكتاب والأدباء العرب.

في الظن أن حرية الكاتب تأتي من المكان الذي هو فيه، والذي يحيا ويعيش فيه يومياته الطويلة، فالكتاب الأوروبيون عموماً، تخلّصوا من الإرث الثقيل الذي كبّلهم طويلاً، والكاتب في أوروبا ليست لديه تابوات ومحرّمات ومنغصّات كتابية، الكاتب فيها حرٌ فيما يقول، ويفكر ويحكم ويدين ويشجب ويستنكر، نحن لدينا في العراق الآن على سبيل المثال مليون رقيب ورقيب، الرقيب التابع للنظام، الرقيب التابع لمذهب معين وطائفة معيّنة، وما أكثرها في العراق الأسود الظالم، المحصّن بدستور فاسد أقرّه الغزاة، وقضاء مُحرّف للقوانين، ومتلاعب بها حسب ما ترتئيه مصالحهم، وشؤونهم، وما يرتئيه سادتهم الأجانب، كل شيء في عالمنا العربي في تراجع، فالستينيات بالنسبة للعراقيين والعرب جميعاً، كانت أكثر تقدماً من الزمن الحالي، وأكثر تحدياً ووعياً، وحرية وإحساساً بمسألة الحرية، والتقدّم والتمثلات الديمقراطية. العشيرة في العراق هي التي تحكم وتقود البلاد الآن، والمليشيا هي التي تصدر الأحكام وتقرّ الأعراف والمناسك، وليست الدولة، وكذلك حال الدولة في العراق ولبنان واليمن وسوريا فهي مهمّشة، ومعزولة، ومركوزة جانباً، والذي يحكم وينطق ويقول ويُصدر القوانين والأحكام هي رصاصة المليشيات العابرة للقانون، والحريات، وأنظمة الحكم الصورية، تلك المحكومة من الخارج، بقوة النبرة الطائفية، وسلاحها النازي القاتل، للشعوب المقهورة والمظلومة والمغلوبة على أمرها.

ولكي لا يأخذنا حسن بلاسم بعيداً، نعود لنخوض في قصصه المكتوبة على هيئة إيميلات إلكترونية تأتيه من صديقه المترجم لنصوص الكاتب والفيلسوف الروماني ـ الفرنسي إيميل سيوران، يطلعه فيها على آخر التطورات في يعمل في خدمة الجهاز الأمني للدولة، يحاول رئيسه بعثه في إرسالية أخيرة، وبعدها سيصار لإحالته إلى التقاعد كما يطلب الرجل المتعاون، شريطة أن ينفذ مهمته الأخيرة بمتابعة أحد المطلوبين للأمن، وهذا الأخير يتردد على بيوت الدعارة في إحدى القرى، هناك سيلتقي بإحداهن، وهي نعيمة، تعمل وتتعاون مع الأمن، ستساعده في حال وصوله، مُسهّلة مهمته في الوصول إليه، من خلال فتاة صغيرة يرغب هو بها. ثمة في القرية مسجد، ومقهى وساحة وحانوت، وهي تمثل الدلالات المكانية، إذ سيتردد عليها الساعي، حتى إنجاز مهمته، بجمع معلومات عن المعني وكتابتها في تقرير، ثم تسليمه لصاحب حانوت في ساحة القرية، يعمل مع رجال الشرطة أيضا، ويُرفق التقرير بطلبه المعهود بخصوص التقاعد عن العمل في الشرطة السرية.

القصة الثانية وهي تحمل عنوان «فندق اللذة» أيضاً هي الأخرى تُخبر عن مصير شخص يملك ثروة، ورثها عبر بيع حصّته في شركة ما، حيث يقيم في جنوب سويسرا، وهذ الشخص ينوي الهروب من عالمه هناك، حيث بعض الأهل والأقارب ينوون الاستيلاء على ثروته، فيقنعه صديق له، وهو آخر من تبقى له، بالسفر إلى مرسيليا معاً، كونه يعرفها، وهي مكان جميل وبعيد وحيث من الممكن فتح مشروع هناك يضمن مستقبله وحياته في تلك الأرض البعيدة.

يسافر الصديقان ويصلان باريس ومن هناك إلى مرسيليا، وحين لم يقتنع بوردين في الإقامة في هذه البلدة، التي تعج بتجار المخدّرات والإرهابيين، يقنعه موسيقي أمريكي في مدينة طنجة، عبر مداولات ومشاورات، بأن يسافر بوردين صاحب المال وريتو صديقه، مع الأمريكي الموسيقي إلى طنجة بالباخرة، تلك التي ستمر ببرشلونة وغيرها من الأماكن، حتى يصلا إلى تشكيكه باستمرار نفوذ هنري كيسنجر (وزير الخارجية في عهدي ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد) الذي كان قد هندس اتفاقاً لتقسيم لبنان إلى منطقتي نفوذ احداهما إسرائيلية في الجنوب والأخرى سورية في البقاع والشمال ومناطق أخرى. ويؤكد أن تأثير كيسنجر ومشروعه كان بالتحديد على الكسندر هيغ وروبرت ماكفارلاند المسؤول في الأمن القومي الذي نظم عملية الإفراج عن الرهائن الأمريكيين في لبنان في الثمانينيات، تلك العملية التي دفعت ريغان إلى تغيير

ستشمل هذه المراجعة لكتاب «الرئاسة المقاومة، مذكرات» الذي صدرَ منذ بضعة أشهر وتردُ فيه مذكرات رئيس الجمهورية اللبناني الأسبق أمين الجميل، بعض الوقائع التي وردت في كتاب صدرَ منذ خمسة أعوام للصحافي اللبناني المخضرم سليم نصار بعنوان «خارج الموضوع».

نصار صحافي يملك خبرة طويلة في تحليل الشؤون اللبنانية الداخلية والخارجية وحرفية في معالجة قضايا لبنان والعالم العربي الحساسة والعلاقة مع أمريكا والغرب التي تشكل جزءاً أساسياً من كتاب الجميل.

هدف هذه المراجعة لكتاب الرئيس اللبناني الأسبق ليس تبييض صفحة أمين الجميل إزاء اتهامات وجهت إليه خلال رئاسته وبعدها وبينها قمع خصومه والاعتماد المفرط على قيادة الرئيس رونالد ريغان لأمريكا، ولا لإنكار توقيع الجميل على اتفاق 17 أيار (مايو) 1983 التطبيعي مع إسرائيل ثم التراجع عنه لاحقاً.

ترأس الجميل الجمهورية اللبنانية بين عامي 1982 و1988 فيما تولى ريغان المنصب الرئاسي في أمريكا بين عامي 1980 و1988.

كتاب سليم نصار يشمل مقابلة بينه وبين الرئيس الأمريكي الراحل ريتشارد نيكسون جرت في صيف عام 1983 في واشنطن شكلت وتشكل أهمية في تقييم سياسات الرؤساء الأمريكيين في لبنان وسوريا والشرق الأوسط. كما يضم انتقاداً لسياسات أرييل شارون ومناحيم بيغن في لبنان في مطلع ثمانينيات القرن الماضي.

يؤكد أمين الجميل وسليم نصار كل منهما في كتابه بأن بيغن هدد بشير الجميل بعد انتخابه رئيساً في صيف 1982 بان عليه توقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل «وتنظيف» بيروت من سلطة «منظمة التحرير الفلسطينية» مباشرة بعد تسلمه الرئاسة وان بشير رفض تنفيذ هذه الاملاءات والطريقة التي استخدمها بيغن في توجيهها إليه مما ساهم في اغتياله بعد ثلاثة أسابيع على تسلمه الرئاسة.

ويقول أمين الجميل في كتاب مذكراته أنه تجنب الإبرام الكامل لاتفاق 17 أيار (مايو) 1983 لانه كان يدرك عدم مصداقية قادة إسرائيل بشأنه منذ البداية وان الاتفاق لم يكن في مصلحة لبنان وليس فقط لكونه تعرض لضغوط من القيادة السورية للرئيس الراحل حافظ الأسد وحلفائها في لبنان.

ويعترف بانه بادر إلى توقيع الاتفاق بعدما أقصى الرئيس رونالد ريغان وزير خارجيته المتواطئ مع شارون الكسندر هيغ وعين مكانه جورج شولتز وفريق عمله الأكثر تجاوباً معه. كما يشير أمين الجميل في كتابه إلى تشكيكه باستمرار نفوذ هنري كيسنجر (وزير الخارجية في عهدي ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد) الذي كان قد هندس اتفاقاً لتقسيم لبنان إلى منطقتي نفوذ احداهما إسرائيلية في الجنوب والأخرى سورية في البقاع والشمال ومناطق أخرى. ويؤكد أن تأثير كيسنجر ومشروعه كان بالتحديد على الكسندر هيغ وروبرت ماكفارلاند المسؤول في الأمن القومي الذي نظم عملية الإفراج عن الرهائن الأمريكيين في لبنان في الثمانينيات، تلك العملية التي دفعت ريغان إلى تغيير

منشورات المتوسط، ميلانو 2018
295 صفحة

أحمد الشريف: «متاهة اللذة»
دار خطوط وظلال، عمّان 2021
107 صفحة.

أمين الجميل في «الرئاسة المقاوِمة ـ مذكرات»:

مجزرة صبرا وشاتيلا حضّرها شارون وبيغن وحلفاؤهما اللبنانيون

سمير ناصيف

وتجدر الإشارة إلى ان كريم بقرادوني، رئيس حزب الكتائب السابق اعترف مؤخراً في برنامج وثائقي في قناة «الميادين» بان بشير الجميل وبعد اختلافه مع بيغن وشارون حول عملية غزو بيروت الغربية و«تنظيفها» السريع من مقاتلي «منظمة التحرير الفلسطينية» وحلفائهم حاول الاتصال (عبره شخصيا) بالقيادة السورية لفتح نافذة معها ولكن نائب الرئيس السوري عبدالحليم خدام قال لبقرادوني: «لننتظر حتى يتثبت بشير في منصبه». وقد اغتيل بشير الجميل قبل أن يفعل ذلك. أي أن جهات في القيادة السورية السابقة (في عهد حافظ الأسد) كانت ربما متناغمة مع مشروع كيسنجر التقاسمي والتقسيمي للبنان، إستناداً إلى ما قاله بقرادوني لـ«الميادين».

يصف أمين الجميل عملية اغتيال شقيقه بشير في كتاب مذكراته بانها كانت «عملية غير نظيفة» تبعت المواجهة بين بشير ورئيس الحكومة الإسرائيلية مناحيم بيغن لدى اجتماعهما في مستعمرة نهاريا مباشرة بعد انتخاب بشير رئيساً حيث فرض عليه بيغن الإعلان عن إتفاق سلام مع إسرائيل قبل 15 أيلول (سبتمبر) 1982 فرفض بشير هذا الطرح وانزعج من الطريقة الفجة التهديدية التي تم التعامل فيها معه، وقرر عدم استمرار التفاوض مع الإسرائيليين (وحسب بقرادوني، شاء فتح قناة حوار مع سوريا). واغتيل بشير الجميل في 14 أيلول (سبتمبر) 1982 أي قبل يوم واحد من انتهاء المهلة التي حددها بيغن. ويلوم أمين الجميل المسؤولين في أجهزة الاستخبارات التابعة للقوات اللبنانية (بقيادة ايلي حبيقة) التي كانت مسؤولة عن حماية شقيقه لتقاعسها في التدقيق بهوية وخلفيات الشخص الذي اتُهم وأدين باغتياله برغم أنها كانت تعرف بانه ينتمي إلى «الحزب السوري القومي» وكانت قد وصلتها تنبيهات من أقرباء له إزاء انتماءاته، بيد انها سمحت له أكثر من مرة بالتردد على البناية التي تم فيها التفجير الذي أودى بحياة بشير علماً بان قائد جهاز الاستخبارات القواتي آنذاك بدّل تحالفاته من حليف لإسرائيل إلى حليف (لاحقاً) لسوريا، وعندما قرر كشف حقيقة انتماءاته اغتيل بدوره. كمال جنبلاط، قائد «الحركة الوطنية اللبنانية»، اغتيل في آذار (مارس) 1977 لمعارضته خطة كيسنجر لتقسيم لبنان طائفياً وحسب المصالح الإقليمية ونالت نفس المصير شخصيات لبنانية وعربية سياسية ودينية بارزة في البلد.

ويوضح أمين الجميل في كتاب مذكراته انه كان على إتصال مباشر مع القائد الفلسطيني الراحل صلاح خلف (أبو اياد) لإنقاذ العدد الأكبر الذي كان يمكن إنقاذه من المحاصرين الفلسطينيين في مخيم تل الزعتر في منطقة المكلّس (المتن الشمالي) (قبل ان يصبح رئيساً) وهدفه كان تجاوز المجازر. ويؤكد بانه عقد اجتماعات مع صلاح خلف (أبو اياد) وعلي حسن سلامة (أبو حسن) في منزل الأخير بحضور شخصيات لبنانية أخرى لإنقاذ جبل لبنان من المعارك الطاحنة الناشبة فيه في منتصف أواخر السبعينيات، والتي نشبت بين قوات الميليشيات السيحية و«قوات الردع العربية» وحلفائها هناك.

ويؤكد الجميل انه زار الرئيس ياسر عرفات شخصياً في مقره في بيروت الغربية عام 1982 وبحث معه الخيارات المتاحة بعد اغتيال شقيقه بشير، وبعد مجزرة صبرا وشاتيلا (ص 70).

ويتساءل لماذا أبقي المتهم باغتيال بشير معتقلاً لدى استخبارات «القوات اللبنانية» لثمانية أشهر قبل تسليمه للسلطات اللبنانية للتحقيق معه؟ بحيث سُلّمَ للتحقيق قبل أسبوعين فقط من تاريخ توقيع اتفاق 17 أيار (مايو) 1983 الذي فُرض على لبنان التوقيع عليه (حسب قول أمين الجميل) والذي قرر هو بنفسه التراجع عنه لاحقاً (ص 74).

ويعتبر أمين الجميل ان مجزرة صبرا وشاتيلا كانت محضرة مسبقاً من جانب شارون وبيغن واتيان وحلفائهم اللبنانيين وأن هدفها كان «التطهير والتنظيف الكامل للوجود العسكري لـ(منظمة التحرير الفلسطينية) في لبنان، وأن القيادات العسكرية الإسرائيلية (رئيس الأركان رافائيل ايتان وبأمر من شارون) وعملائها المباشرين أطلقوا شرارة الاغتيالات في المخيمين، قبل دخول عناصر لبنانية عملية لهم، واكمال المجزرة» (ص 76 و77).

كما ان أمين الجميل يشير إلى ان قيادة «قوات اللبنانية» (عندما كان بشير حياً) اجتمعت في منزل مدير المخابرات اللبنانية آنذاك ورفضت فكرة اقتحام المخيمات الفلسطينية فيما كان ايتان وشارون سلحا مجموعتهما ودفعاها لدخول المخيمين وتنفيذ الجرائم هناك، التي رفض بشير (برأي أمين) تنفيذها وهو حي، فنفذوها بعد مقتله والبسوها للكتائب» (ص 79).

ويؤكد أمين الجميل انه تحفظ في إبرام اتفاق 17 أيار (مايو) 1983 لانه أدرك أن إسرائيل تراوغ ولن تنفذه بالفعل ولكونها أضافت بنوداً لاحقة عليه كاصرارها على إبقاء سيطرتها على حزام أمني في جنوب لبنان بعد انسحابها، وتحديد اللواء في الجيش اللبناني الذي سيسيطر على تلك المنطقة وموافقتها على هوية قائد هذا اللواء (اختير لاحقاً الرائد سعد الحداد ثم تبعه اللواء انطوان لحد). كما فرضت إسرائيل شروطاً تعجيزية أخرى دفعته كرئيس جمهورية إلى رفض إبرام الاتفاق والامتناع عن نشره في الجريدة الرسمية ثم اتخذ قراره لاحقاً بالتراجع عنه.

وقد فرضت إسرائيل (حسب قول أمين الجميل) في يوم توقيع الاتفاق في 17 أيار (مايو) 1983 شروطاً إضافية عليه (ص 135) وهي لم تكن جدية إزاء ذلك الاتفاق (حسب قوله) وأرادت التوقيع عليه لإرضاء الأمريكيين بعدما تجاوز شارون وهبغ ما سمحت به الإدارة الأمريكية (حسب رأي الجميل). اتفاق 17 أيار (مايو) 1983، ولد ميتاً (برأي الجميل) وقد استُخدم من قبل إسرائيل وأمريكا ومشروعهما لاطلاق رصاصة الرحمة ضد سيادة لبنان، ولإطلاق عمليات لاضعاف النظام اللبناني في حرب الجبل وحروب الميليشيات ضد السلطة في مطلع عام 1984.

ويقول الجميل في الكتاب بانه طلب موعداً للاجتماع بالرئيس ريغان لتحريك الضمانات التي وعدته الرئاسة الأمريكية بها لتأكيد سيادة لبنان، ولكن بدا له بان «منظومة الخطوط الحمر» التي أرساها هنري كسينجر عام 1976 ما زالت فاعلة وهي التي تضع لبنان بين فكي كماشة إسرائيلية ـ سورية. ويضيف «تذكرت قول ريتشارد نيكسون في مذكراته حول مراهنة قادة العالم في الاعتماد على أمريكا ولكننا نحن الأمريكيين وللأسف نهرب خلال الأزمات (ص 138)».

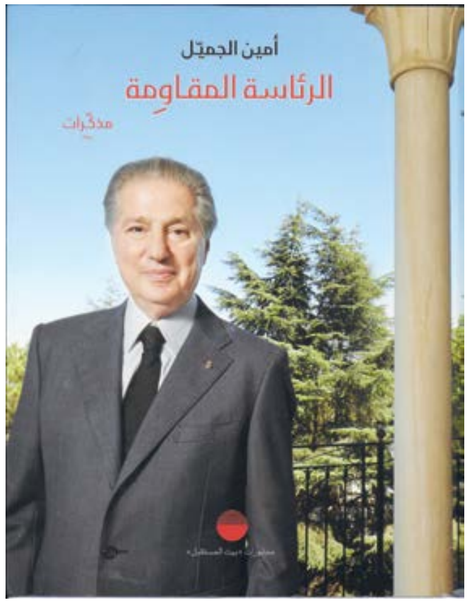

وهنا من المفيد إدراج ما يقوله سليم نصار في كتابه «خارج الموضوع» استناداً إلى لقائه مع الرئيس ريتشارد نيكسون بتاريخ 16 حزيران (يونيو) 1982 في مكتب نيكسون في واشنطن.

يقول نصار: «ان نيكسون اختار موعد اللقاء معنا في 16 حزيران (يونيو) أي تاريخ انفجار فضيحة ووترغيت بعدما قرر مواجهة الرأي العام من جديد، فبعدما سألناه رأيه في الحرب الحرب اللبنانية، تأخر في إيجاد الجواب، ثم قال بلهجة ملؤها الحسرة: لبنان هذا البلد العظيم، ان مأساته جريمة ضد الإنسانية جمعاء، لقد زرت لبنان والتقيت رئيسه الراحل فؤاد شهاب وتعرفت إلى العديد من أهله». ثم يضيف: «حدث أثناء المقابلة ان سألته عن الدور الحقيقي الذي أداه وزير خارجيته كيسنجر في سوريا، وعلى الفور طلب من زميل لي رافقني في اللقاء إقفال آلة التسجيل وكأنه يتذكر المؤامرة التي حاكها كيسنجر من أجل إجهاض مساعيه مع الرئيس حافظ الأسد في لقائهما في 16 حزيران (يونيو) 1974 عندما زار نيكسون دمشق وكان يرافقه كيسنجر واستقبلهما الرئيس حافظ الأسد في مكتبه وشرح لهما قبوله القرارين 242 و238 واستعداده للسلام مع إسرائيل على أساسهما، أي الانسحاب الإسرائيلي إلى حدود ما قبل حزيران (يونيو) 1967».

ويضيف نصار استناداً إلى أقوال نيكسون له: «آنذاك شدد حافظ الأسد على ضرورة ان تعيد إسرائيل إلى الفلسطينيين حقوقهم بحسب قرارات الأمم المتحدة، وعندما حاول نيكسون استئناف الحديث وجدَ نفسه يتعرض لتشويش من جانب كيسنجر الذي قال له انه من الأفضل تأجيل البحث في هذه القضية حتى عودتهما إلى واشنطن». ولكن (حسب نصار) «العودة إلى واشنطن شهدت نهاية نيكسون كرئيس للجمهورية بسبب فضيحة ووترغيت، وتبين بعد 40 عاما على الفضيحة أن الموظف المسؤول عن إفشاء أسرار فضيحة ووترغيت كان خيطاً في شبكة عنكبوتية واسعة ضمت الجاسوس الإسرائيلي ـ الأمريكي جوناثان بولارد (الذي أفرج عنه دونالد ترامب) ومتعاونين معه في داخل الإدارة الأمريكية يعملون لمصلحة إسرائيل» (ص 69).

وفي الفصل عن شارون في كتاب نصار، يؤكد الكاتب إستناداً إلى معلومات من مرافقي بشير الجميل في اجتماعه مع بيغن وشارون في مستعمرة نهاريا بعد انتخابه رئيساً في آب (أغسطس) 1982 ان بشير حاول معارضة إملاءات بيغن بضرورة توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل «بدبلوماسية» ولكن بيغن غادر الاجتماع وعامل بشير بفظاظة، وعندما لم ينفذ بشير تهديدات بيغن (يقول نصار) نفّذت مجموعة مؤيدة لـ«الحزب القومي السوري» عملية اغتياله برغم ان رئيس الحزب القومي إنعام رعد ومن موقعه في لبنان أنكرَ صدور قرار حزبي بهذا الخصوص (ص 164).

ويتكهن نصار بإمكان ان تكون واشنطن وإسرائيل سحبتا الحراسة التي أمنتاها لبشير معتبرتين بان التضحية به أفضل من خوض حرب بسببه ضد الاتحاد السوفييتي الداعم لسوريا ولدورها في لبنان آنذاك.

ويتساءل هل يندرج ذلك في مبدأ «لعبة الأمم» كما رآها مايلز كوبلند؟

أمين الجميل:
«الرئاسة المقاومة ــ مذكرات»
منشورات بيت المستقبل، بيروت 2020
425 صفحة.

المقال

عبدالباسط سيدا

كردستان العراق واحة التنوع المشرقي المهدّد

كردستان العراق: واحة تلوذ بها مختلف المكونات المجتمعية العراقية

تُعد تجربة إقليم كردستان العراق في ميدان قدرة مختلف المكونات المجتمعية العراقية على العيش المشترك تجربة لافتة، خاصة في منطقتنا التي تعيش واحدة من أسوأ مراحلها على صعيد تفكك النسيج الوطني لمجتمعاتها، حتى باتت الـولاءات الأهلية من أسرية وعشائرية «وحاراتية»، فضلاً عن القومية والمذهبية والمناطقية، هي الملاذ بالنسبة إلى الكثيرين.

فالأوضاع التي يعيشها اليوم العراق ولبنان وسوريا تجسد تهديدات فعلية وجودية للتنوع المشرقي؛ وذلك نتيجة تبني الأيديولوجيات العابرة للحدود الوطنية، سواء الدينية والمذهبية منها، أم القومية. وهذا ما يجعل الآفاق سوداوية أمام هذه الدول التي تعيش من جهة واقع التوجس المتبادل بين المكونات المتنوعة؛ وهي لا تستطيع من جهة ثانية تجاوز هذا الواقع، لأن نظام سايكس بيكو 1916 ما زال ساري المفعول؛ وما زالت المعادلات الإقليمية والدولية تستوجب المحافظة على الحدود التي كانت على الرغم من الانسدادات التي تحدث هنا وهناك نتيجة الحدود المفروضة، هي الحدود التي رسمت وفق حسابات وأمزجة المنتصرين في الحرب العالمية الأولى، سيما بريطانيا وفرنسا.

والمصيبة التي منيت بها مجتمعاتنا تمثّلت باستمرار في تلك السلطات العسكرية وشبه العسكرية التي تبنت إيديولوجيات قومية عابرة للحدود، استخدمتها أداة تضليلية لشرعنة سلطاتها، وتسويغ ممارساتها الاستبدادية في الداخل. أما معارضات تلك السلطات فقد كانت غالباً تتوزع بين الشيوعيين الذين كانوا يتطلعون إلى وحدة أممية بقيادة الاتحاد السوفياتي، أو الصين لاحقاً بالنسبة إلى بعضهم؛ في حين أن الإسلاميين كانوا يرون في الخلافة الإسلامية أو الدولة الإسلامية الحل الذي لم يكن يعترف هو الآخر بالحدود المستحدثة. وهكذا بات مجرد التفكير في مشروع الدولة الوطنية من «الهرطقات والبدع» التي كانت تعرّض صاحبها للتخوين من قبل أصحاب الأيديولوجية القومية، وللتكفير من جانب أصحاب الأيديولوجية الإسلامية. أما الأمميون، فقد كانوا يتصرفون مع مجتمعاتهم وكأنهم فئة مصطفاة، يتحدثون مع الناس بوصفهم الناطق الرسمي باسم الاتحاد السوفياتي.

ومع انهيار هذه الإيديولوجيات، وتراجع جاذبياتها على المستوى الداخلي، أصبحت المجتمعات المعنية ساحة مفتوحة أمام المشروع التوسعي الإيراني الذي استغل المظلومية الشيعية في ظل غياب المشاريع الوطنية التي كان من شأنها طمأنة سائر المكونات المجتمعية الوطنية، وسد الطريق أمام التدخلات الخارجية. وقد أسهم المشروع المعني (الإيراني) في تفتيت بنية مجتمعات المنطقة، حتى بات الناس يصنفون بعضهم على الهوية، وبناء على الأحكام المسبقة، واستناداً إلى الأجندات التي لا تؤسس لأي مشروع وطني يكون بالجميع وللجميع.

في هذه الأجواء العاصفة التي تخيم على المنطقة تبدو كردستان العراق، على الرغم من الثغرات والملاحظات الكثيرة، بمثابة الواحة التي تلوذ بها مختلف المكونات المجتمعية العراقية في أوقات الشدة. كما أن المكونات الأخرى التي تعيش أصلاً في منطقة كردستان، تحظى على المستوى الرسمي بحقوقها الأساسية في ميادين التعليم والعمل والنشاط الاقتصادي والاجتماعي؛ هذا إلى جانب التمثيل السياسي؛ كما تحظى بحقوقها الثقافية والاجتماعية، وتمتلك من الأدوات التي تمكنها من تنمية ثقافاتها، واحياء مناسباتها الدينية والقومية بكل حرية.

ولكن الأهم من كل هذا هو القبول غير الرسمي على صعيد المجتمع والأفراد بهذا التنوع، بل والاعتزاز به والحرص عليه. وهذا ما يعطي التجربة الكردستانية مقومات الاستمرارية والتطور نحو الأفضل. فما هو قائم لا يقتصر على الجانب الرسمي فحسب الذي قد يستخدم لغايات دعائية، وانما هو استمرار لتقاليد راسخة من التسامح والتعايش بين جميع المكونات.

يعيش في الإقليم الكرد والعرب والتركمان والسريان والكلدان والآشوريون. كما يعيش المسلمون والمسيحيون والإيزيديون، ويعيش السنة والشيعة والكاكائية والشبك. كما كان الإقليم ملاذاً للاجئين السوريين، والنازحين من أهالي الموصل وسهل نينوى، والعرب السنة من جميع المحافظات العراقية.

وفي أكثر من مناسبة سمعت من الرئيس مسعود بارزاني موضوع قطعات فيلقي الجيش العراقي التي كانت في كردستان؛ وأسهمت في عمليات الأنفال السيئة الصيت عام 1988، التي راح ضحيتها بحسب المصادر الرسمية في الإقليم، وبموجب تقارير منظمات حقوق الإنسان، نحو 180 ألف إنسان من الكرد العراقيين؛ معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ. هذا إلى جانب مجزرة حلبجة عام 1988 التي ضُربت بالكيماوي، مما أدى إلى وفاة نحو خمسة آلاف إنسان.

إلا أنه على الرغم من المآسي والكوارث التي تعرض لها الكرد على مدى عقود، وكان وراءها النظام العراقي البعثي؛ وعلى الرغم من تفاقم الغضب الشعبي، لم تجر أي عملية انتقام بحق الجنود العراقيين الذين خُيروا بين العودة إلى أهاليهم، أو الخروج إلى المهاجر، أو حتى البقاء في الإقليم وذلك بعد التنصّل من النظام وقطع العلاقة معه. وكان الرئيس بارزاني يحرص دائماً على إظهار اعتزازه بشعبه الذي لم يتسبب في سفك قطرة دم واحدة من أي جندي عراقي بعد 1991 حينما أعلن نظام صدام حسين سحب إدارته من الإقليم، وذلك بعد القرار الأممي 688 عام 1991 الخاص بالحظر الجوي.

ونحن اليوم إذا ما قارنا هذه الصورة بما حدث ويحدث في مناطق عفرين ورأس العين وتل أبيض من انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان، تشمل الخطف والقتل والاعتداء على ممتلكات الناس وأرزاقهم وحتى أعراضهم، من قبل مسلحي الفصائل المحسوبة على المعارضة السورية الذين دخلوا مع الجيش التركي إلى تلك المناطق، فسنجد أنفسنا أمام لوحتين متناقضتين تماماً.

اللوحة الأولى تعرض ما يؤسس لمشاريع وطنية، تفتح الطريق أمام مجتمعاتنا للنهوض في ظل وجود إدارة حكيمة حريصة على شعبها. بينما اللوحة الثانية تلقي الضوء على استمرارية المنظومة الاستبدادية البغيضة والأسدية من المفاهيم والممارسات التي كانت ترى في اضطهاد الكرد من المسلمات التي لا تحتاج إلى النقاش حولها، بل كانت تعتبره من الواجبات القومية. فالكردي كان عليه أن يقبل بتجريده من الجنسية والملكية والاسم والثقافة؛ ويخضع للتهديد والابتزاز. أما التهمة المفبركة الجاهزة فقد كانت «النزعة الإنفصالية».

وبالتناظر مع ما تقدم، يمارس المسلحون في المناطق المشار إليها، كل الانتهاكات التي تدينها سائر الشرائع السماوية والوضعية، وهم يسوغون أفعالهم السيئة بذريعة علاقة هـؤلاء مع حـزب الاتحـاد الديمقراطي، الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني. هذا في حين أنه قد بات مكشوفاً للقاصي والداني أن ما يحصل إنما هو بدافع اللصوصية الممزوج مع الحقد العنصري. وكل ذلك لم ولن يخدم المشروع الوطني السوري الذي يستحق اسمه ما لم يكن بالجميع وللجميع. مشروع يطمئن كل السوريين من دون أي استثناء.

وقد جاءت زيارة البابا فرنسيس إلى العراق، وحرصه على التوجه إلى أور والموصل، وجولته الخاصة في إقليم كردستان العراق، واقامته للقداس الكبير في ملعب فرانسو حريري، القيادي في الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي اغتالته جماعة أنصار الإسلام عام 2001، لتكون بمثابة تقدير من جانب أعلى صرح مسيحي في العالم لما حققه إقليم كردستان على صعيد التسامح والتعايش المشترك بين سائر أطياف التنوع المشرقي.

ويُشار في هذا السياق إلى التجربة الناجحة التي اعتمدها الإقليم لتحقيق السلم الأهلي حينما تم العفو عن الكرد وغير الكرد من الذين كانوا على علاقة مع النظام السابق، وألحقوا الأذى بالمواطنين، وذلك عام 1991. وهي تجربة ناجحة سبقت تجربة جنوب أفريقيا، ويمكن أن تكون مثالاً يحتذى به في سوريا التي تعاني اليوم من تهتك عميق في النسيج المجتمعي الوطني بفعل الحرب التي أعلنها النظام على الشعب؛ ونتيجة سياسات فرّق تسد التي اعتمدها النظام نفسه استراتجية للتحكم بالسوريين على مدى أكثر من نصف قرن.

ولكن يبدو أن هذه النجاحات لا تروق لبعضهم ممن أخفقوا في طمأنة مجتمعاتهم، واعتمدوا ايديولوجيات دينية مذهبية، أو قومية تعبوية لكسب الأتباع، وتالييهم على شركاء الوطن والمصير. لذلك نرى التدخلات المتواصلة التي تريد تحويل التباينات السياسية الطبيعية إلى خلافات تناحرية، وخصومات مذهبية، قومية، مناطقية. كما نرى الاعتداءات والتهديدات المستمرة التي تستهدف زعزعة الاستقرار في الإقليم، والضغط على قيادته، ليصبح هو الآخر تابعاً في ماكينة أصحاب المشاريع التوسعية، وساحة نشاط وعبور لميليشياتهم المحلية التي قد تجاوزت حاجز الخجل والموارية من جهة تبعيتها للأجنبي المتربص.

تصاعد التوترات في المنطقة لا يخدم شعوبها، ولا يساهم في استقرار دولها. كما أن اعتماد اسلوب تعبئة الناس، وشدّ العصب المذهبي أو القومي من حين إلى آخر عبر شعارات فضفاضة؛ والتمسك بأهداف تحاط بهالة من التقديس المبرمج من جانب الأنظمة التي ترى في تلك الأهداف وسيلة لاستمراريتها، وشرعنة لوجودها غير الشرعي الذي يتم تجديده بانتخابات صورية، تتحكّم الأجهزة الأمنية القمعية بكل تفاصيلها ودقائقها، لتكون نتائجها مجرد تضليل يستخدم لإبعاد الخصوم، وابتزاز المجتمع الدولي الذي باتت المصالح العارية بالنسبة إليه هي الموجه.

الديمقراطية تعيش اليوم محنة كبرى بفعل اتساع دائرة تأثير القوى المتطرفة في الأنظمة الديمقراطية، هـذه الأنظمة التي تشكو من ناحية هشاشتها التي يزيدها دعمها وتغطيتها للأنظمة المستبدة الفاسدة في مختلف أنحاء العالم. ولكنها من ناحية أخرى تسعى عبر مؤسساتها الديمقراطية، وبالتنسيق مع منظمات المجتمع المدني، إلى تحجيم القوى المشار إليها، من خلال المبادرات والتشريعات التي تستهدف وضع حد لكل أنواع التطرف.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: أمية جحا

مدخل إلى «القرآنية» ومميزاتها

سعيد يقطين

نعتبر «القرآنية» الميزة الشاملة والكلية التي يتميز بها القرآن، وهي مكمن خصوصيته التي ستجدها تتحقق، بصور جزئية، في مختلف الأنواع التي يتضمنها. تتجلى لنا هذه الخصوصية في عدة مقومات يختلف بعد بها عن غيره من النصوص التي أنتجها العرب قبل نزوله أو بعده. فهو متعال على كل الأجناس والأنواع، وإن كان يتضمن بعض عناصرها سواء كانت تتصل بجمالية التعبير أو محتواه الدلالي والتداولي. وحضور بعض تلك المقومات التعبيرية لا تجعله قابلا لأن يُوطر ضمنها، أو يصنف في إحدى خاناتها. فالسجع والـوزن، مثلا، وكل المحسنات والوجوه البلاغية الموظفة في اللسان العربي متضمنة في القرآن الكريم، باعتباره أولا، وقبل كل شيء، «نصا لغويا» ولا يمكن قراءتها إلا في ضوء خصوصية التعبير القرآني ومقاصده. إنها جزء من بنيته الكلية الأهداف وسيلة لاستمراريتها، وشرعنة لوجودها غير التي تستوعب بنيات متعددة لكل منها خصوصيتها الذاتية. ولا يمكن تأكيد ذلك إلا بالوقوف على نظرية لأنواع الكلام القرآني، وما يتميز به بعضها عن غيره. وهذا لوحده يمكن أن يشكل مبحثا خاصا في ذاته. فالسجع القرآني، مثلا، سواء اعتبرناه سجعا يرفضه البعض، أو فاصلة يقبلها آخر، يختلف عن الطريقة التي وظف بها في الخطاب العربي، (من سجع الكهان باعتباره جنسا كلاميا، إلى السجع باعتباره أسلوبا جماليا) لا يمكننا التعاطي معه إلا من خلال النص في كليته، وبما يختلف به عن غيره.

إلى جانب هذه الخاصية الجنسية المتعالية التي يتميز بها القرآن الكريم تتحقق القرآنية من خلال كون النص القرآني غير خطي. فلا يمكننا قراءته أفقيا من البداية إلى النهاية كما نقرأ القصيدة أو القصة مثلا لتحصيل المعنى العام الذي يرمي إليه. لقد بدأنا بتعلم القرآن الكريم في الكتاب من خلال السور القصار، وتدرجنا منها (من آخر الكتاب إلى سورة البقرة) لنكون قد أتينا على ختمه. ثم نبدأ في قراءته من سورة البقرة إلى الناس. وهكذا كنا في الجامع نقرأ كل حزب بعد المغرب والفجر لنختمه من أوله إلى آخره خلال شهر. تبدو هذه الالخطية في إمكان قراءة السورة أو مجموعة من الآيات بدون إخضاعها لأي ترتيب في المصحف خطيا. ولعل القراءة في الصلوات، وفي مناسبات الفرح والـحزن دالة على ذلك. وكل ذلك يبين لنا أن المراد من قراءته يتحقق من خلال السورة أو الآية، أو مجموع آيات. إن كل بنياته الجزئية أو الخاصة جزء من البنية الكبرى، وكل منها يُؤدي، منفصلا أو متصلا، الرسالة التي يعمل القرآن الكريم على تبليغها.

تتأكد لدينا هذه اللاخطية في كون القرآن الكريم نـزل منجما، ومتفرقا خـلال ثـلاث وعشرين سنة، ولم يجمع في «كتاب» (المصحف) إلا لاحقا. ولقد كان المسلمون يتلون منه ما يتنزل في حقب مختلفة، وأمكنة محددة (المكي والمدني). ويجدون في كل ما يستجد منه تعبيرا عن المحتوى نفسه، رغم تباين الآيات (المحكم والمتشابه) وأزمنتها وسياقاتها. وتبعا لذلك نرى أن القرآن الكريم عبارة عن «شذرات» بينها «روابط» يؤدي كل منها إلى غيره مما يضمن للنص انسجام عناصره، واتساقها، وترابطها. ففي كل آية من القرآن الكريم نجد لها «صلة» تربطها بغيرها من الآيات. وهذه الخاصية لا نجدها في أي من النصوص. أسمي هذه الصلات الداخلية بين الآيات بـ «الائتلاف» بحثا عن مصطلح آخر، تأكيدا لقوله تعالى في حديثه عن القرآن الكريم: «أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» (النساء، 82).

لقد نجم عن اللاخطية تعدد قراءاته التي تذهب من القراءة التدبرية والتعبدية إلى القراءة المستكشفة لما يؤطر الحياة العامة للمسلمين (العقائد، العبادات، المعاملات) في ضوء ما تتميز به الآيات عن غيرها، وهي تترابط معها في الوقت نفسه. هذا علاوة على كون القراءات السبع أو العشر، والتي يمكن أن تكون فردية أو جماعية، سرية أو جهرية، تلاوة أو تجويدا أو ترتيلا، جزئية لسورة بعينها، أو كلية للقرآن كله.

من التعالي الجنسي إلى تعدد القـراءات مرورا باللاخطية نقترض أن تحليل القرآن الكريم يتيح إمـكانات متـعددة تختلف بـاخـتلاف المقاصد والإجـراءات. لقد تم التركيز أساسا على شرح القـرآن وتفسيره وتأويله خطيا وفـق ترتيبه في المصحف من سورة الفاتحة إلى الناس، أو بحسب النزول، أو الموضوعات، وغيرها. غير أننا في مرماننا تحليل القرآنية نذهب مذهبا آخر، نعتبره في ضوء الخصوصية القرآنية كما حاولنا تجسيدها من خلال هذه الخصائص الثلاث، (وهناك غيرها سنتوقف عليها في دراسـات موسعة)، بنية كبرى، تتضمن بنيات صغرى، وبينها علاقات وروابط. وعلينا البدء أولا بالكشف عن تلك البنية الكبرى، أو الوظيفة المركزية التي بني عليها القرآن الكريم، أو الدعوى النصية، (كما سميتها في قال الراوي) لننتقل بعد ذلك إلى استكشاف البنيات الصغرى، أو الوظائف الأساسية التي تترابط مع غيرها، وبذلك نستكمل كل ما يتصل بالقرآنية في ذاتها، كما تتحقق من خلال النص في كليته وشموليته.

يمكننا اختزال تلك البنية الكبرى في جملة واحدة، أو آية مركزية عليها مدار النص بكامله، ونجدها تحضر بأشكال وصيغ متعددة في كل سورة أو آية من القرآن الكريم. تقول تلك الآية: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات 56). ففعل الخلق مركزي لأنه الحدث الذي ستتولد عنه كل الأحداث اللاحقة. وفعل العبادة هو الفعل المرتبط بالخلق في علاقته بالخالق وكل المخلوقات، وبالأفعال التي تتحدد من خلالها مصائر المخلوقات في الزمن الكائن (الدنيا)، والزمن الآخر (الآخرة). كان بإمكاني اختيار بنية أخرى، لكن رؤيتي السردية جعلتني أطمئن إلى هذه البنية في بعدها السردي (قصة الخلق وما يتولد عنها). إنها الجوهر الذي تبنى عليه «القرآنية» في شموليتها.

إن القرآنية وفق البنية الكبرى التي يمكننا اختزالها من خلالها تتجسد من خلال تصورنا السردي عبر الخطاب باعتباره بنية تركيبية، والنص كبنية دلالية، كما اشتغلت بهما في تحليل الخطاب الروائي، وانفتاح النص الروائي (1989). وبما أن البنية النصية القرآنية، كما أتصورها الأكثر إثارة للنقاش بين المشتغلين بالقرآن الكريم قديما وحديثا بالقياس إلى البنية الخطابية، سأبدأ بها، وأعود إليها بعد تحليل الخطاب القرآني لأكشف أولا عن مميزات بنية النص القرآني من خلال ثنائية مزدوجة. يتمفصل القرآن الكريم في ضوء القرآنية في آن واحد إلى «نص» و«ميتا نص» مزدوجين.

إن القرآن الكريم، من جهة، «نص» يسعى إلى تقديم رؤية مختلفة للإنسان في ذاته، وفي مجمل علاقاته. وهو في الوقت نفسه «ميتا نص» لأنه يتخذ موقفا من كل النصوص السابقة أو المعاصرة سواء كانت ذات طبيعة دينية أو غيرها عبر تفاعله النصي معها، إما من خلال دعمها أو دحضها. كما أنه من جهة ثانية، يتشكل في ضوء النصية والميتا نصية السابقة، «نصا» يؤسس ذاتيته وخصوصيته بتوجهه إلى المتلقي بقصد تغيير رؤيته إلى العالم، وفي الوقت نفسه يتحدث عن نفسه (ميتا نص)، من خلال الكشف عن مميزاته وكيفية التعامل معه للاستفادة منه.

ليس القرآن الكريم فقط نصا للقراءة ولكنه أيضا دليل إليها. وفي هذه العلاقة بين «النص» و«الميتا نص» تتحقق أقصى درجات القرآنية في خصوصيتها.

كاتب مغربي

زعماء العالم في مواجهة تغيرات المناخ

ناقش قادة 40 دولة في قمة المناخ التي دعا إليها الرئيس الأمريكي جو بايدن والتي عقدت افتراضيا بسبب جائحة كورونا، سبل الحد من انبعاثات الكربون، وحشد تمويل القطاعين العام والخاص لدفع التحوّل إلى صافي الانبعاث الصفري ومساعدة البلدان الضعيفة على التعامل مع تأثيرات المناخ، خلال العقد المقبل.

وقال أمين عام الأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش أن «العقد الماضي كان الأكثر سخونة على الإطلاق، والغازات الدفيئة الخطرة وصلت مستويات لم تحدث منذ 3 ملايين سنة، فيما نشهد ارتفاعًا مستمرًا في مستويات سطح البحر ودرجات حرارة شديدة وأعاصير مدارية مدمرة».

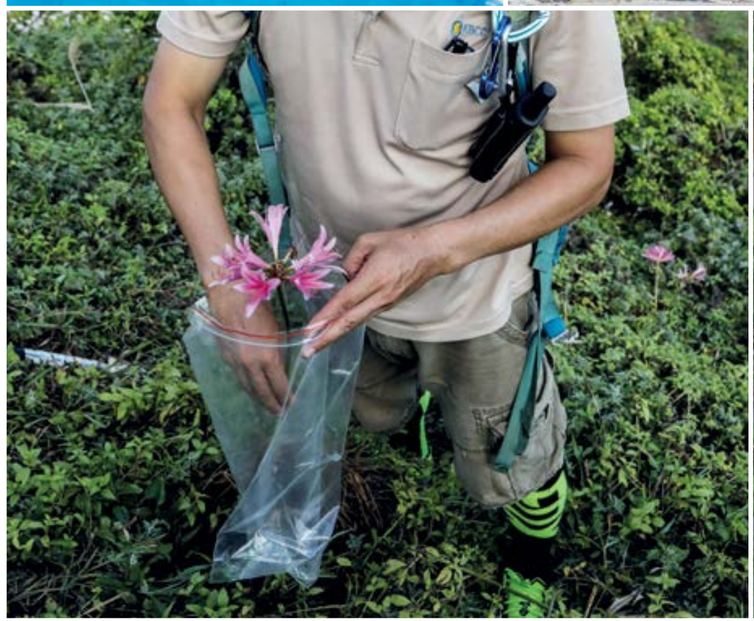

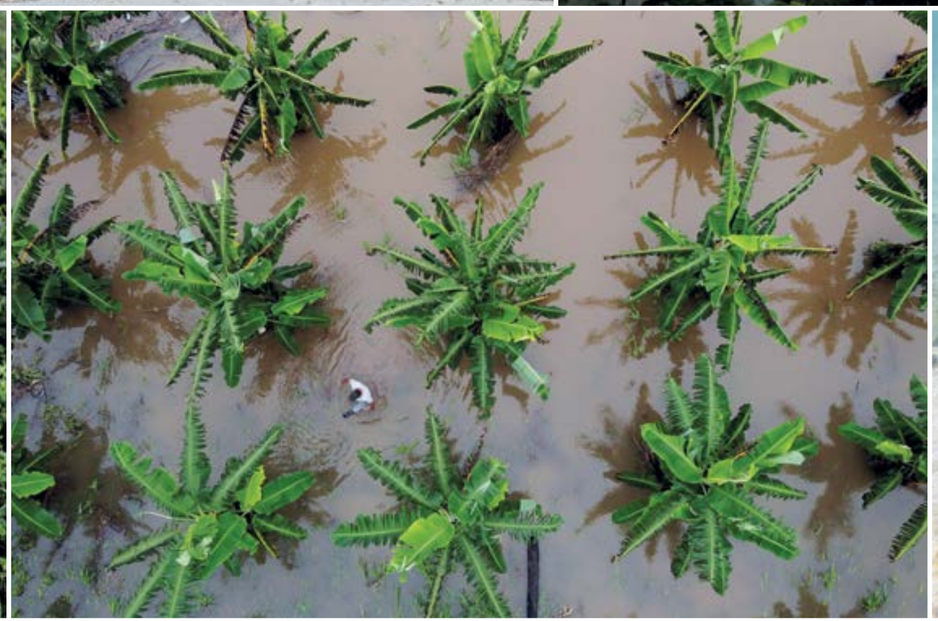

أداب وفنون

جدل المثقف التنويري والمترجم: سيد إمام سارق النار

عادل ضرغام

سيد إمام

للسيد أمام منجز كبير في مجال الترجمة إلى العربية بداية من كتابه الأول الذي صدر في بداية تسعينيات القرن الماضي «الشعرية البنيوية»، ومرورا بترجمته لقاموس السرديات لجيرالد برنس، والليالي العربية لأولريش مارزوف وريتشارد فان ليغن، وانتهاء بوقفته الطويلة وترجمته لجزء كبير من منجز إيهاب حسن. ولكن هذا المنجز في مجال الترجمة الذي يجزّر قيمته بوصفه مترجما من مترجمي الصف الأول عن الانكليزية يغيّب دون شك دورا مهما له وجود ملموس، هو دور المثقف الواعي بمشروعه، ذلك المشروع الذي يوجهه بالضرورة إلى أعمال بعينها تحتاجها اللحظة، لأن الترجمة في الأساس فعل من أفعل الاختيار الواعي.

ولكن الطريق الوحيدة لاستجلاء ملامح دوره الوعي تتمثل في المقدمات التي كتبها لكتبه، ففيها تتجلى ملامح مشروع فكري تنويري عقلي خاص، خاصة بعد أن أصبح منحازا آلية في التواصل أكثر سرعة وأكثر تأثيرا بعيدا عن نمط التنويريين في النصف الأول من القرن الماضي وتابعيهم في النصف الثاني حيث يقدمون مشروعهم في إطار كتاب متكامل أو موزعا على مجموعة كتب، ولكنه يتجلى منحازا لفكرة السرعة في التواصل، وفكرة النتف والجزئية ربما استجابة لصوت العصر السريع في تغيره وتحولاته المختلفة.

تتجلى ملامح هذا المشروع في مجموعة من الجزئيات بداية بفهمه للعقلانية والتنوير، مرورا بعلاقتنا بتراثنا العربي، وعلاقتنا بالآخر، وختاما بآلية مقاربته لموضوع ما خاصة مقدمته التي كتبها لترجمة موسوعة الليالي العربية، كاشفا من خلال هذا التناول عن نسق تراثي طبقي يشكل طبيعة وحركة المجتمع باختلاف العصور، مما يرشحه لأن يكون علة مستديمة تتقنع في كل عصر بقناع جديد.

تساءل بعض المترجمين في واحد من حواراته: هل المترجم ساعي بريد؟ وربما يكون هذا السؤال السبب الأساسي للإشكالية الحقيقية التي تجعل البعض لا يشعر بمشروع سيد إمام التنويري والفكري، فنحن حين نوافق على ذلك نهمل كون الترجمة في الأساس فعل اختيار ومحبة على حد تعبيره. والاختيار بالضرورة يرتبط بسياق حضاري يعيش فيه المترجم، ويؤثر فيه ويتأثر به، ويكون موجها له، ويظل ذلك الترابط ممتدا في إطار جدلية مستمرة.

تتولد أهمية لبعض الأسئلة، منها: أيهما يحرّك الآخر الترجمة أم الاهتمام الثقافي؟ وهل هناك أسبقية لتوجه دون آخر؟ أم هناك حالة من التداخل الشديد بين المجالين؟ فكل مجال منهما يرفد الآخر فالترجمة ترفد المثقف برؤية ذات خصوصية، والثقافة أو المثقف تؤثر بالضرورة في الاختيار.

تأتي وقفته الطويلة أو توجهه إلى ما بعد الحداثة لافتة للنظر وكاشفة عن جدل مستمر بين المثقف ومجال اشتغاله أو ترجمته، فهناك أفكار بالضرورة تسربت وأسهمت في تشكيل رؤية المثقف. ويمكننا التوقف في حالة السيد إمام بوصف الترجمة فعلا انتقائيا عند جزئيتين: الأولى تتمثل في غياب اليقين وغياب الحقائق المطلقة، فليست هناك حقيقة يمكن الوثوق بها، ولهذا تجده في كل ما يكتب متدثرا بالشذرات وبالجزئي والبسيط. والأخرى تتمثل في كون العوالم الماضية عوالم خطابية لغوية في الأساس، ولهذا فهي أيديولوجية لا تخلو من التحيز، ومن ثم يمكن التوقف لاستجلاء خطابات قابلة ومباينة لها تفتت هذا التصور الأحادي المتفق عليه.

في ظل هذا الفهم يبدو مفهوم المثقف أكثر حضورا وقيمة، لأنه يتعاظم على دور المترجم أو ساعي البريد أو الروبوت على حد تعبير سيد إمام بالرغم من أهمية ذلك الدور، خاصة في ظل تحديد غرامشي للمثقف العضوي الفاعل. فالمثقف من خلال وعيه الخاص يسبق مجتمعه، ويظل قادرا على حمل المسؤولية التاريخية المرتبطة بالفكر والهوية للحفاظ على تعددها ديناميه غير متحجرة. المثقف في ظل هذا الوعي المتقدم يعرف جيدا إطار الحركة للأمام، ويدرك ما يعرقل هذه الحركة وهذا التوجه.

المثقف ليس قارئا يختزن ما يقرأ، وليس مترجما يترجم كأنه آلة، ولكن المثقف من يجيد الاشتباك والنزال من أجل الفكرة، وهذه سمة أساسية في تكوين شخصية سيد إمام، ولهذا يمكن التركيز على مساحات الاشتباك مع الخارج الثقافي والاندماج في هذا الواقع مع التأكيد على أن مجال الاشتباك لا ينفصل أبدا عن التأهيل الفكري والتكوين الثقافي الخاص، وفي طريقة وآلية اشتباكه مع محيطه ومجتمعه.

تتوزع اهتمامات سيد إمام في تجذير دوره التنويري في مجالات عديدة، منها ما يرتبط بإعادة النظر في أنظمة وطرائق التفكير، فهو في ذلك السياق مهموم بإعادة مقاربة كل التصورات القديمة، والتأويلات المستكينة الهادئة والمفاهيم البالية، والأحكام الجاهزة المتفق عليها حول الإنسان والعالم والوجود.

وهذا قد يدشنا إلى سمة أخرى من سمات مشروعه أو سمات توجهه، فهو مهموم ومتجذر في الآني وسياقه الحضاري، وينطلق منه إلى المستقبل، ويقف في توجه مباين ومضاد لكل الماضويين الذين يثبّتون اهتمامهم في رحابه، ويستمدون منه إطارا لحركتهم بالرغم من الاختلاف الكبير بين السياقين.

وتتعدد اهتمامات سيد إمام في إرساء منحاه التنويري، منها ما يرتبط بالثقافي، ومنها ما يرتبط بالنقد المباشر للظلاميين، وما يرتبط بالماضويين ناقدا تغرّبهم عن زمنهم مشيرا إلى خطأ التوجه واستمراره، ومنبها إلى مشروعية رأيه من خلال بدائل أو مظاهر عديدة ترتبط بالسخرية والنسبية وتعدد وجهات النظر في مقاربة أي موضوع، لافتا النظر إلى غياب اليقين في أي شيء، مندهشا من أصحاب اليقينيات الجازمة المشدودة للهشاشة الاتباعية ومحدودية التجربة. في حواراته يكون المدى واسعا، لكي يترك نفسه للحديث بحرّية عن مجموعة المشاكل التي تظلل الشخصية العربية، في علاقتها بتراثها وطبيعتها الممتدة وتحولاتها، وفي علاقتها بالآخر، وآلية الارتباط به من الوقوف خلفه والنقل عنه، وكان ما تقوم به فعل من أفعال الاجترار، أو تقف على بساط متسا وللوصول إلى فاعلية الإسهام والمشاركة في إنتاج المعرفة من خلال إعادة تدويرها وتخصيبها انطلاقا من لحظتنا الحضارية الخاصة.

ينحاز سيد إمام إلى النمط الثاني، ومن ثم يأتي تصوره لفعل الترجمة مختلفا عن الوقوف عند فكرة النقل أو فكرة ساعي البريد التي ألمحنا إليها سابقا. الترجمة – على حدّ تعبيره– ليست عشوائية، ولا يجب أن تكون بل يجب أن تؤطرها رؤية، وأن تكون ضمن مشروع، وأن تخضع لسؤال: أترجم ماذا؟ ولماذا؟ أنا شخصيا لا أترجم عملا لا أحبه، أترجم في العادة كتابا أرى أنه سوف يضيف لمعرفتي ولمعرفة القارئ، يضيف شيئا إلى زاوية من زوايا الوجود.

تأمل منجز ونشاط الترجمة لدى سيد إمام على مدار رحلته يكشف عن ارتباط ووقفة طويلة ذات دلالة مع نظرية ما بعد الحداثة، سواء أكان ذلك الوقوف مرتبطا بترجمة كتب في مجالها الفكري والحيوي، أو في الوقوف وقفة لافتة في ترجمة منجز وإسهام علم من أهم أعلامها وهو المصري الأصل إيهاب حسن.

أشار سيد إمام في إجابته عن سؤال عن معايير الكتب التي يقوم بترجمتها إلى روح العصر، وكونها—أي الكتب– تعبيرا صادقا عن هذه الروح، فيتجلى وفق ذلك أنه ليس ابنا للماضي يركن إليه، ولا يسلك سلوك الخانع، فهو فيما يترجم ويكتب ابن لعصره ومن خلاله يتوجه للأمام دائما.

وانطلاقا من مجاله المعرفي يتوقف طويلا أمام النظريات والمناهج الأدبية والنقدية، مشيرا إلى أهمية الإضافة، وألا يقف عملنا عند مجرد النقل، وإنما يجب أن يرتبط بالتفاعل الحر، والتبادل الخلّاق الذي يقوم على القراءة الواعية والتدبر والتأمل والتفكير، حتى لا نتحول من خلال التقليد إلى أبواق أو إلى أوان مستطرقة.

في إجابته عن سؤال يرتبط بماذا ينقصنا اليوم للتقدم، أجاب سيد إمام إجابة واضحة وكاشفة عن النقد الذاتي قائلا: «يقتضي ذلك تغيير الذهنية العربية، وتخليصها من مجموعة معوقاتها وطريقتها في رؤية العالم، والنظر إلى الأمور، بالإضافة إلى تخلصها من ميراث الأسطورة والتفسير الخرافي للتاريخ، مما يعني باختصار دخولها إلى عصر الحداثة من باب الابتكار والإسهام في حركة العلوم الحديثة».

ينطلق سيد إمام بداية من فكرة مقررة من خلال التأمل، في أن هناك ثباتا في موقف الثقافة العربية في التلقي القديم واستمرّ هذا التلقي التاريخي في ممارسة دوره حتى بدايات النهضة. فموقف الثقافة العربية تأسس بداية من تجاهل المسعودي، ووصف الجاحظ للقصاص بالغفلة والجهل، ومرورا بحكم ابن النديم الذي أطلقه في الفهرست، وانتهاء برأي الإمام محمد عبده بقوله في وصف كتاب الليالي «عباراته سخيفة ومخلة بقوانين اللغة»، بالإضافة إلى مصادرة المحاكم المصرية للكتاب، لأنه يشكل خطرا يهدّد قيم الشباب المصري.

يلخص سيد إمام بعد ذلك في سعيه للوصول إلى أسباب التغييب المتعمد والتحجيم التي موّرست ضد نص الليالي، فيشير إلى الأسباب التي قد تبدو للوهلة الأولى حاضرة وفاعلة، مثل هاجس خرق اللغة الكلاسيكية المتمدة أو خرق القوانين والمواضعات الدينية، أو خرق قيمة الصدق أو عدم المطابقة من خلال الغرائبية والغلو والإغراء.

فاستبعاد نص الليالي ليس للأسباب السابقة، وإنما السبب الأساس من وجهة نظر سيد إمام سبب نسقي تم بناؤه وتشكيله انطلاقا من فارق طبقي تراتبي، للتفريق بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا، ومن ثم ظلت وامتدت فاعلية هذا التقسيم إلى آداب كل طبقة، فتشكل الثنائي المزعج والممتد في ثقافتنا العربية للإشارة إلى أدب رفيع وأدب هابط.

ففي تحليله يثبت أن لهذا السبب الطبقي تأثيرا كبيرا في أن يستمرّ نص الليالي غريبا مستبعدا ومهمشا ومنبوذا ومستهجنا. فجاءت الليالي كاشفة عن هذا النحو من الوجود ذات السمت الشعبي الذي ينظر إليه في الدراسات الأجنبية الحديثة على أنه نوع من الرد بالكتابة من هذه الطبقات المهمشة ضد الطبقة العليا بخلفائها ووزرائها من خلال تصوير هذه الطبقة داخلة في إطار من السذاجة، ومن خلال الكشف عن جميع أمراضها الراسخة في كل مرحلة أو طبقة معرفية خاصة.

أربع تجارب تشكيلية مصرية تحاور المدارس الفنية المختلفة

من اعمال فرغلي عبد الحفيظ

من اعمال محمد خضر

القاهرة ـ «القدس العربي»: محمد عبد الرحيم

شهدت الفترة السابقة في القاهرة نشاطاً تشكيلياً لافتاً، وعلى كثرة المعارض إلا أن القليل منها هو ما يحمل بصمة خاصة أو تجربة تثقل روح ووعي صاحبها، وليس مجرد تكرارات أو الاكتفاء بإقامة معرض يحضره الأصدقاء والمعارف وما شابه في معظم التظاهرات الثقافية، فما بال الأمر هنا ونحن في سبيل معرض تشكيلي، لا يحضره سوى القلة؟ لذا كان لابد من الانتقاء من بين كل هذه المعارض، والتي تعد من أكثر ما يتم افتتاحه في القاهرة، وهو أمر ينطوي على مفارقة غريبة، حيث معظم القاعات فارغة من الجمهور، وكأن اللوحات كما أصحابها تعاني عزلة مزمنة، وربما أصحابها هم سبب هذه العزلة من خلال لوحات لا تعبّر عن أحد، ولا تُشرك أحدا في ما تريد التعبير عنه.

إلا أن البعض يحاول التواصل بطريقة أو بأخرى، ولا يجد احتكاماً إلا لصدقه الفني، دون اللهاث وراء تجريب أجوف، لا يعي فلسفة يحققها، أو تجربة جمالية يسعى إلى تأكيدها من خلال لوحاته. ومن هذه المعارض اللافتة نجد «إيحاءات اللون الأصفر» للفنان فرغلي عبد الحفيظ، «بياتي» للفنان هاني عبد البديع، «051» للفنان محمد خضر، و«بالونات» للفنانة ثريا فهمي. وفي ما يلي نظرة سريعة على هذه المعارض.

إيحاءات اللون الأصفر

يواصل الفنان فرغلي عبد الحفيظ تجاربه اللونية في معرضه الذي أقامه في غاليري الزمالك للفن، متخذاً من اللون الأصفر ثيمة عامة للوحاته ـ يُذكر أن عبد الحفيظ أقام معرضاً سابقاً في 2019 كانت ثيمته اللون الوردي ـ هنا يستحضر الفنان قوة اللون الأصفر، وما يوحي به من نور الشمس القوي، كذلك لون الصحراء والمعابد والمنحوتات المصرية القديمة، هكذا يقول الفنان في تقديمه لمعرضه. إلا أن جماليات اللوحات تكمن في تفاعل هذا اللون مع الألوان الأخرى، قد يكون هو المسيطر، أو أن يصبح ظلاً لشخص أو حركة أو عنصر من عناصر اللوحة، فتتوضح مساحته البسيطة التي يشغلها قوة حضوره. كذلك يواصل فرغلي الاحتفاء بالموروث القديم، وجعله لا يتجزأ من تفاصيل الحياة اليومية للمصريين، كنزهة نيلية على سبيل المثال، وليمر مركب فرعوني في اللوحة بجوار المراكب النيلية المعتادة. وأن يتم تجسيد «أم كلثوم» من خلال نسب مختلفة في التكوين، وكأنها إحدى المنحوتات القديمة. كما أن المادة اللونية نفسها تساعد على هذا الإيحاء بالقدم، أو كأنها رسم من رسومات الكهوف. لم يكتف عبد الحفيظ بذلك، بل أضاف رموزاً معهودة متواصلة منذ الحضارة المصرية القديمة وحتى اليوم، كالقطط والأسماك، والتي لا تجتمع معاً إلا في عالم اللوحة، وهو ما يجعل بعض من لوحات المعرض تقترب من حِس سيريالي رصين.

من اعمال هاني عبد البديع

051

قد يكون غريباً أن يصبح رقماً عنواناً لمعرض، لكن الفنان محمد خضر حاول توضيح الأمر في مقدمة معرضة الذي أقيم في غاليري أوبونتو، بأن لكل رقم معنى، في أن الصفر يرمز للانهائية وأن الواحد يرمز للحداثة والإصرار والخمسة ترمز إلى الشجاعة وجلب الحظ. وبخلاف شروحات الفنان، إلا أن اللافت هو مدى تفاعل المتلقي مع اللوحات التجريدية، التي اتخذت من الأشكال موضوعاً لها، هنا يمكن اكتشاف علاقات وعالم من الأشكال وعلاقاتها بسطح وتكوين اللوحة، حوار دائم وعلاقات متشابكة، حتى أنه في أغلب الأحيان لك أن تتخيل أن هذه الأشكال المجردة ما هي إلا تنويعات لحالات إنسانية وشخوص لا تخطئها العين، ما بين أشكال مستقيمة وأخرى مائلة، كما توجد مجموعات لبعض الأشكال، بينما شكل وحيد يتصدر اللوحة ويصبح بطلاً متفرداً في وحدته هذه ومخالفته للمجموع حجماً ولوناً. كذلك المسافات المتفاوتة بين الأشكال أو الأجسام، فقد نجد التنافر أو التواؤم والتعاطف الشديد، علاقات الحب أو الفراق، وكل هذه الأحاسيس الإنسانية. براعة الفنان هنا تكمن في نقل كل هذه المعاني للمتلقي من خلال أشكال غارقة في التجريد، فلم تغب عنه لحظة فكرة التشخيص، وأن تتم صياغة هذه العلاقات الإنسانية من خلال أشكال قد نراها في ما بعد، وننظر إليها نظرة مختلفة تماماً.

بياتي

ومن التجريد الصرف إلى التجريد التعبيري، كما في معرض الفنان هاني عبد البديع، الذي اتخذ من المقام الموسيقي الشرقي الشهير «البياتي» عنواناً لمعرضه الذي أقامه بغاليري النيل. ومن خلال عدة لوحات ارتبطت ببعض الآلات الموسيقية أو بحالة من حالات الرقص يجسد الفنان إيقاعاً لحركة الأجساد، فالشخوص إما في حالة عزف أو رقص، لنجد الطبلة، الأوكورديون، التشيللو، وصولاً إلى الرقص. كذلك طغت الألوان الحارة على جميع اللوحات، لتجسد حالة تفاعل الجسد مع الفعل نفسه، حتى أن الجسد يصبح متماهياً سواء من الآلة التي يتم العزف عليها، أو من خلال رقص رجل وامرأة، يصبح كل منهما آلة الآخر الموسيقية، هذا التداخل أو التماهي نفسه أكدته الألوان التي لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فهناك تداخل وتناغم تام، يؤكد اللون من خلالها الحالة التي تعيشها شخوص اللوحات. فكرة العزف والموسيقى ليست بجديدة، لكن هناك حالة وطاقة إيجابية تشع من هذه الشخوص، من خلال إيقاع يمكن سماعه والإحساس به في كل لوحة من اللوحات.

بالونات

وأخيراً ناتي لمعرض الفنانة ثريا فهمي، التي أقامته في غاليري بيكاسو، لتصبح البالونات مدخلاً لعالم الطفولة السحري بكل مفارقاته وتناقضاته، فالحس الطفولي هو ما يجعل الخيال مخلقاً، من دون التقيد بأية مرجعيات واقعية، حتى وأن كانت طفولة بعيدة، فالمرأة هنا في جميع مراحلها العمرية، طفلة وشابة وامرأة وأم، لم تزل تحلم ولم تزل تسجل لحظاتها الهامة في حياتها، دونما افتعال أو تعالي، في بساطة شديدة قد تقترب في تكويناتها من رسومات الأطفال، وهو أمر ليس بالهين الحفاظ عليه. قد تطير في السماء لترافق الطيور والأسماك، وقد تستلقي على أريكة بين النجوم، وقد تتباين ملابسها، ما بين فتاة بضفائر، وأمرأة من حي شعبي، وأخرى ريفية، وأخيرة تميل إلى فئة أعلى. هناك أجواء احتفالية في جميع اللوحات، حتى المرأة التي يجاورها طفلها، تعيش طفولتها بدورها. ولكن هناك لوحة واحدة تكشف حالة من الحزن والحنين إلى طفولة ضائعة أو على وشك الفقد، عروس باكية وسط صخب صديقاتها، وقت تجميلها، لكنها تتذكر ألعاب الطفولة في أسى، وكأنها بالون سيصعد إلى السماء ولن يعودة مرّة أخرى. الأعمال في مجملها ـ رغم حالة البهجة ـ تتأسى على عالم تستمده من الذاكرة، والتي تصبح بدورها هي كنز الفنانة ومنبع سعادتها الوحيد.

من اعمال ثريا فهمي

تحقيقات

الانتخابات التشريعية بعيون فلسطينية وإسرائيلية بين الاستحقاق الديمقراطي والتمسك بالقدس والحسابات الحزبية والشخصية

الناصرة-«القدس العربي»: وديع عواودة

فيما قال الناطق بلسان الرئاسة الفلسطينية نبيل أبو ردينة إن الانتخابات الفلسطينية ستجري في موعدها، قال مستشار الرئيس نبيل شعث في اليوم التالي إن هناك علامات سؤال حولها بسبب العراقيل الإسرائيلية خاصة في القدس التي تشهد تصعيدا وتوترا كبيرين لا يمكن فصلهما عن الانتخابات في الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني. ومن جهتها تواصل حركة حماس التحذير من إلغاء أو إرجاء الانتخابات. وكرر الرئيس الفلسطيني محمود عباس أمس قوله إنه يجري اتصالات مكثفة مع العديد من الدول والأطراف من أجل الضغط على إسرائيل بشأن عقد الانتخابات في الأراضي الفلسطينية كافة، بما فيها مدينة القدس المحتلة. كما أطلع عباس بقية قيادات السلطة الفلسطينية وأعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح على اتصالات إدارته بالأطراف الدولية، خاصة اللجنة الرباعية الدولية، بما يضمن إطلاق عملية سياسية قائمة على قرارات الشرعية الدولية ومبادرة السلام العربية على أساس حل الدولتين.

رسميا يشدد الرئيس الفلسطيني على الالتزام بإجراء الانتخابات في المواعيد المعلن عنها في الأراضي الفلسطينية بما فيها القدس الشرقية ترشحا ودعاية وانتخابات. وقال عباس إن القيادة تحافظ على اتصالات مكثفة مع الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي من أجل الضغط على الحكومة الإسرائيلية للالتزام بالاتفاقيات الموقعة فيما يخص العملية الانتخابية. موضحا أنه حتى الآن لم يصل أي رد من الجانب الإسرائيلي حول عقد الانتخابات في القدس المحتلة، مؤكدا التزامه بالمضي قدما في إجراء الانتخابات حسب المواعيد التي أعلن عنها وفق المراسيم الرئاسية. يشار إلى أن اللجنة المركزية لحركة فتح سبق وأكدت في بيان صدر عقب الاجتماع إن الشعب الفلسطيني لن يقبل بأن يكون هناك أي فيتو للاحتلال بأي شكل من الأشكال على العملية الانتخابية، وتحديدا في مدينة القدس. وأضافت أن القدس وأهلها خط أحمر لن يقبل المساس به أو التلاعب فيه. فالقبول بالانتخابات بدون مشاركة المقدسيين يعني الرضوخ لخطط إسرائيل اعتبار المدينة عاصمتها الموحّدة.

من جانبه، قال الناطق باسم حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» حسين حمايل إن حركته – كما القيادة الفلسطينية– تصر على المضي قدما في عقد الانتخابات في كافة الأراضي الفلسطينية المحتلة، بما فيها مدينة القدس الشرقية. ويوضح أن «القضية ليست تأجيل الانتخابات، بل أننا نرفض أي انتقاص من سيادتنا على القدس» واتهم حمايل إسرائيل بالعبث بالانتخابات الفلسطينية عبر أساليب عديدة، ومنها اعتقال مرشحين. وتابع «لا ننتظر ردا من إسرائيل، بل ننتظر ضمانات من المجتمع الدولي بعدم إعاقتها العملية الانتخابية». في وقت سابق، قال عباس إنه أجرى أمس سلسلة اتصالات دولية للضغط على إسرائيل للالتزام بالاتفاقيات الموقعة بشأن مشاركة الفلسطينيين في القدس في الانتخابات.

تسريبات وتقديرات

في المقابل تكثر تسريبات وتقديرات فلسطينية أن الرئيس عباس وحركة فتح ترى بالعراقيل الإسرائيلية في القدس فرصة لتأجيل الاستحقاق الديمقراطي والانتخابات خاصة بعد المشاكل التي واجهتها الحركة وتمرد اثنين من أعضاء لجنتها المركزية. يشار أن الرئيس عباس كان قبل بضعة شهور هو من بادر للإعلان عن القرار بإجراء انتخابات للمجلس التشريعي وللرئاسة وللمجلس الوطني الفلسطيني بهدف تجديد النظام السياسي الفلسطيني المتآكل ووضع الحياة فيه وتعزيز شرعيته في ظل انتخابات معطلة منذ فترة طويلة جدا. ووفقا لهذه التقديرات والتشكيكات فقد اختارت حركة «فتح» إجراء الانتخابات في ثلاث جولات تكون انتخابات المجلس التشريعي أولاها وعلى ضوء نتائجها يدرس الرئيس خياراته بالنسبة لانتخابات الرئاسة حيث يستعد النائب الأسير مروان البرغوثي لطرح نفسه كمرشح مقابل عباس. وحسب استطلاعات رأي فلسطينية فإن البرغوثي يحظى بشعبية أوسع من الرئيس عباس، بينما قررت حماس عدم طرح مرشح من قبلها للرئاسة بسبب اعتبارات وحسابات خاصة بها وبمسؤولياتها محليا وعالميا وهي تركز في انتخابات المجلس الوطني الفلسطيني وعينها على زيادة نفوذها في منظمة التحرير الفلسطينية وربما السيطرة عليها في ظل ضعف وانقسامات حركة «فتح» الداخلية. وبهذا المضمار يوضح أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة بيرزيت دكتور بدر الأعرج إن الضغوط الإسرائيلية قد تؤدي إلى عرقلة الانتخابات الفلسطينية، على الرغم من تصريحات تل أبيب التي ترحب بالعملية الديمقراطية. معتبرا أن القرار حول القدس متأثر بمدى تصميم القيادة الفلسطينية على إجراء الانتخابات بما في ذلك داخل مدينة القدس، فيما يدعو مراقبون محليون لحلول خلاقة للعراقيل الإسرائيلية في القدس كي لا يتم التفريط بالانتخابات الفلسطينية التي يحتاجها كل الشعب الفلسطيني.

تحذير حماس

ولذا تحذر حركة حماس على لسان رئيس كتلتها الانتخابية خليل الحية من «المجهول» في حال تأجيل الانتخابات. وقال في مقابلة مع وكالة الصحافة الفرنسية «لا نقبل ولو ليوم واحد التأجيل، التأجيل يدفع بالشعب الفلسطيني إلى المجهول». وأشار إلى أن أي تأجيل «سيولّد إحباطا كبيرا لدى الجماهير والشباب، ونتوقع ردّات فعل ستكون الأسوأ» محذرا من أن التأجيل سيعقّد الوضع وسيكرّس الانقسام والفرقة.

وفي نهاية الأسبوع واصل وزير الخارجية رياض المالكي في يومه الأخير من زيارته لبريطانيا تحركاته، فالتقى نظيره دومنيك راب، ووزير الدولة لشؤون الشرق الأوسط جيمس كليفري وبحث معهما إمكانيات الضغط على حكومة الاحتلال لوقف كل اجراءاتها في القدس والسماح بمشاركة أهلها في الانتخابات، والتقى المالكي مع نحو 50 نائبا بريطانيا وحثهم على الضغط على الحكومة.

الانتخابات الفلسطينية تاريخيا

وسبق للمقدسيين أن شاركوا في الانتخابات الفلسطينية في الأعوام 1996 و2005 و2006 ضمن ترتيبات خاصة متفق عليها بين الفلسطينيين والإسرائيليين ضمن اتفاق أوسلو جرى بموجبها الاقتراع في مقرات البريد الإسرائيلي وإن كان ذلك قد تم في المرة الأخيرة بضغط أمريكي على حكومة الاحتلال. ومن المقرر أن تجرى الانتخابات الفلسطينية على ثلاث مراحل: تشريعية في 22 أيار/مايو، رئاسية في 31 تموز/يوليو، والمجلس الوطني في 31 آب/اغسطس المقبل. وفيما يؤكد الرئيس عباس انه يجري سلسلة اتصالات دولية على إسرائيل للتزام بالاتفاقيات الموقعة بشأن مشاركة الفلسطينيين في القدس في الانتخابات التشريعية، تلتزم إسرائيل الصمت حيال الانتخابات في القدس فيما تقوم على الأرض بملاحقة كل من يشارك في أي تحضيرات خاصة بالانتخابات داخلها ومن أجل تغطية ذاتها أمام العالم ترحب إسرائيل بالعملية الديمقراطية بشكل عام في الجانب الفلسطيني. على خلفية ذلك يوضح نبيل شعث الممثل الخاص للرئيس الفلسطيني محمود عباس إن تأجيل الانتخابات وارد جدا، في ظل استمرار عدم رد إسرائيل على طلب فلسطين بإجرائها في مدينة القدس المحتلة. وأضاف شعث لصحيفة «النهار» اللبنانية، أن الانتخابات لن تتم من دون القدس؛ لأن هذا يكرس ما تريده إسرائيل بفصل المدينة عنّا. وتعتبر إسرائيل القدس بشطريها الشرقي والغربي عاصمة موحدة وأبدية لها، في حين يتمسك الفلسطينيون بالقدس الشرقية عاصمة لدولتهم المأمولة، استنادا إلى قرارات الشرعية الدولية، التي لا تعترف باحتلال إسرائيل للمدينة عام 1967 ولا بضمها في 1981.

إسرائيل تتجاهل طلبا أوروبيا لمراقبة الانتخابات

يشار أيضا أنه سبق وأعلن الاتحاد الأوروبي أن إسرائيل لم ترد على طلب دخول بعثة تابعة له إلى فلسطين لمراقبة الانتخابات التشريعية المقبلة وجاء ذلك بعد يوم من اعتقال شرطة الاحتلال عددا من المرشحين المقدسيين لانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني. وقال مسؤول الإعلام في مكتب ممثل الاتحاد الأوروبي بفلسطين شادي عثمان إن «المطلوب من إسرائيل –حسب الاتفاقيات الموقعة مع الفلسطينيين ومنها اتفاق أوسلو عام 1995– تسهيل إجراء الانتخابات، بما يشمل وصول المراقبين وحركتهم كما هو منصوص عليه». وأضاف أن إسرائيل لم ترد على طلب لدخول بعثة تحضيرية أوروبية، استعدادا لمراقبة الانتخابات الفلسطينية المقررة في أيار/مايو المقبل. وأوضح أن مهمة البعثة التحضيرية هي الإعداد اللوجستي والترتيبات المطلوبة لحضور بعثة أخرى موسعة لم يتم حتى الآن تقديم طلب لحضورها.

علامات استفهام تزيد التوتر

رسميا ترحب إسرائيل بالعملية الديمقراطية الفلسطينية وفعليا تعيق سيرورتها في مدينة القدس وتضع العصي في دواليبها وهي تسعى وفق تقديرات فلسطينية وحتى إسرائيلية لمنعها من أجل تحقيق عدة مآرب بنفس الوقت. إسرائيل تخشى أولا أن تنهي هذه الانتخابات حالة الانقسام الداخلية فيما هي معنية بتكريس الانشقاق السياسي والجيوسياسي بين الضفة والقطاع في سبيل إضعاف الفلسطينيين واستبعاد خيار تسوية الصراع بحل الدولتين الذي تعمل على قتله بالتهويد والاستيطان وغيرهما. وينوه المراقبون المحليون أن إسرائيل تدرك القيمة الدعائية الهائلة في استمرار الانقسام الفلسطيني كونه يصب الماء على طاحونتها الإعلامية ومزاعمها بأن الفلسطينيين غير ناضجين لدولة مستقلة. كذلك تخشى إسرائيل من فوز حركة «حماس» ومن تبعات ذلك أمنيا على الضفة الغربية المحتلة التي يستفيد الاحتلال فيها من تنسيق أمني حيوي لها منذ سنوات. كما تخشى أن يؤدي فوز «حماس» إلى تعاطي العالم معها وفتح حوار مع قادتها وبالتالي قبولها. وفي هذا المضمار يربط المحلل العسكري في صحيفة «هآرتس» عاموس هارئيل بين الانتخابات الفلسطينية في القدس وبين المواجهات فيها منذ مطلع رمضان. ويقول هارئيل إنه بينما يرتكز اهتمام إسرائيل الاستراتيجي على إيران، ويكرس السياسيون ساعات يومهم لمناورات يائسة من أجل البقاء، يتشكل في الأيام الأخيرة خليط متفجر جديد في القدس حول الساحة الفلسطينية. ويرى إنه مزيج إشكالي من الحوادث المحلية، والتوتر في أيام شهر رمضان، وتأثير شبكات التواصل الاجتماعي، وصحوة نشطاء يهود من اليمين وفي الخلفية تختمر أزمة سياسية بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية تتعلق بمسألة الانتخابات البرلمانية الفلسطينية في القدس الشرقية.

حسابات القيادة الفلسطينية

وفي رأيه ساهمت في دائرة الهجمات والانتقامات توترات معينة لها علاقة بشهر رمضان، وخصوصاً التوتر الذي ساد شرقي المدينة جرّاء قرار الشرطة الإسرائيلية منع التجمعات على مدرجات ساحة بوابة نابلس لاعتبارات أمنية. بعد استعراض أسباب أخرى للتوتر في القدس يتابع هارئيل «في الخلفية يستمر المأزق السياسي الذي يواجه السلطة الفلسطينية، وهو من صنع يدي رئيس السلطة محمود عباس. لقد فاجأ عباس إسرائيل، وربما فاجأ نفسه عندما قرر في العام الماضي إجراء انتخابات عامة في الضفة الغربية وقطاع غزة للمرة الأولى منذ 15 عاماً». ويقول المعلق الإسرائيلي إن «حماس» تتعاون معه في هذا الشأن، وأيضاً داخل «فتح» كان هناك في البداية تأييد واسع نسبياً للقرار، سواء على خلفية الحاجة إلى شرعية لاستمرار سلطتها، أو بسبب اعتقاد جزء من المسؤولين الرفيعي المستوى المحيطين بعباس أن الانتخابات ستساعدهم في ترسيخ مكانتهم في مواجهة الصراع على خلافة الزعيم البالغ من العمر 85 عاماً. ويضيف «لكن في هذه الأثناء ازداد تخوف قيادة السلطة من نتائج الانتخابات، بالإضافة إلى الصعوبة في لجم لاعبين مستقلين، مثل مروان البرغوثي، رجل فتح المسجون في إسرائيل منذ 20 عاماً، الذي يبدو مصراً على فحص ما إذا كانت شعبيته في الضفة ستُترجَم في فوزه كمرشح للرئاسة. لقد جرى تحذير عباس أكثر من مرة من طرف محاوريه الإسرائيليين من أن الرهان على الانتخابات يمكن أن ينتهي بهزيمة تحمل حماس إلى السلطة في الضفة، ولن يكون في استطاعة فتح التعافي منها». ووفقا لادعاءات هارئيل يجس مسؤولون رفيعو المستوى في السلطة الفلسطينية في المدة الأخيرة النبض بشأن إمكان أن تنقذهم إسرائيل من الورطة. وبرأيه الفكرة المطروحة كانت تضخيم الأزمة بشأن تصويت سكان القدس الشرقية، وسيكون من الصعب على حكومة إسرائيلية يمينية وضع صناديق اقتراع للسلطة الفلسطينية في القدس الشرقية، على الرغم من أن هذا الأمر حدث في الماضي خلال ولاية حكومات بيرس وشارون وأولمرت، في الانتخابات التي جرت في السلطة في 1996 و2005 و2006.

حسابات نتنياهو الشخصية

زاعما أن رفضا إسرائيليا لمشاركة سكان القدس الشرقية في الانتخابات، يمكن أن يزود عباس بذريعة لتأجيل الانتخابات بحجة أن الإسرائيليين لا يسمحون له بإجراء عملية ديمقراطية نظيفة، وأنه لا يستطيع التخلي عن أبناء شعبه في القدس. ويضيف «لكن في هذه الأثناء تبعث إسرائيل إلى عباس برسائل واضحة في هذا الشأن. إذ بيّنت له من خلال قنوات غير رسمية أنه في ضوء الوضع السياسي الفوضوي السائد في الجانب الإسرائيلي، من غير الممكن تقديم رد متفق عليه في موضوع القدس الشرقية في وقت قريب. الكرة لا تزال في الملعب الفلسطيني، وذلك قبل شهر من الموعد المحدد للانتخابات البرلمانية». وينقل المحلل الإسرائيلي عن إسرائيليين على علاقة بالمقاطعة في رام الله لديهم شعور بأن الأمر قد قُضي. فبحسب كلامهم، استوعب عباس متأخراً حجم الورطة، وهو يبحث اليوم عن سلّم للنزول بسرعة عن الشجرة. ويتابع «في قيادة السلطة يشعرون بالقلق، وخصوصاً إزاء قائمة المرشحين الجذابة التي بلورتها حماس (قائمة واحدة)، بينما فتح متخاصمة ومنقسمة (ثلاث قوائم). في مثل هذه الظروف تزداد، في رأيهم، الفرص لإعلان عباس قريباً تأجيل الانتخابات، أيضاً من دون ذريعة إسرائيلية. وكلما جرى تأجيل هذا الإعلان حتى موعد الانتخابات، فإنه يمكن أن يستقبَل بصورة عاصفة جداً في المناطق».

وبشأن التوتر في القدس يتوافق هارئيل مع محللين إسرائيليين آخرين بالقول إن هناك شكا كبيرا في أن هذه المناورات المعقدة تشغل بال الشبان الفلسطينيين الذين يتعاركون مع الشرطة في الليالي، لكن عدم الوضوح المحيط بالانتخابات في السلطة يزيد من احتدام الوضع في القدس، ويمكن أن يقدم ذرائع إضافية للعنف في الأيام المقبلة. ويرى أيضا أنه في ضوء الحساسية السياسية في الجانب الإسرائيلي، ليس من المستغرب الاكتشاف أن أحداث العنف في المدينة يجري تجنيدها في خدمة مناورات بقاء نتيناهو في الحكم وهو الذي يحتاج إلى تأييد أحزاب يمينية إضافية في محاولاته الاحتفاظ بالسلطة.

توتر في القدس وغارات إسرائيلية على غزة

تصاعدت حدة التوتر في قطاع غزة السبت مع تبادل فصائل فلسطينية وإسرائيل هجمات صاروخية غير مسبوقة منذ عامين على خلفية توتر في شرق القدس.

وذكرت مصادر فلسطينية أن طائرات حربية إسرائيلية شنت سلسلة غارات على مواقع عسكرية وأرض زراعية في مناطق متفرقة في قطاع غزة ما خلف أضرارا مادية دون وقوع إصابات.

وجاءت هذه التطورات عقب حوادث توتر بين متظاهرين فلسطينيين والشرطة الإسرائيلية في شرق القدس منذ بداية شهر رمضان تصاعدت الجمعة عقب مسيرة للمستوطنين ما أدى إلى إصابة نحو 100 فلسطيني بجروح.

وصرح الناطق باسم حركة حماس فوزي برهوم بأن «التصعيد الإسرائيلي على غزة وقصف مواقع المقاومة، وما يقوم به من جرائم وانتهاكات بحق أهلنا في القدس، يأتي ضمن سياسته العدوانية الشاملة على الشعب الفلسطيني».

وأضاف أن «ما تقوم به المقاومة الفلسطينية الباسلة من رد على هذا العدوان، هو في إطار القيام بواجبها الوطني والقيمي في حماية مصالح شعبنا والدفاع عنه وكسر معادلات الاحتلال، الذي يتحمل كل تداعيات ونتائج استمرار هذا التصعيد».

وكانت الأجنحة العسكرية للفصائل الفلسطينية في قطاع غزة هددت مساء أمس إسرائيل من «المساس بالقدس» مؤكدة أن المدينة «خط أحمر».

مجزرة رابعة تعود إلى واجهة الجدل في مصر بسبب مسلسل «الاختيار 2»

لندن – «القدس العربي»:

عادت مجزرة رابعة والأحداث التي رافقتها بمصر في أعقاب الإطاحة بحكم الإخوان المسلمين سنة 2013 إلى الواجهة مجددا بعد أن بثت عدد من القنوات المصرية المقربة من النظام مسلسل «الاختيار 2» والذي أثار موجة واسعة من ردود الأفعال بسبب استعراضه لأحداث اعتصام رابعة وفض قوات الأمن المصرية له، حيث انتقد العديد من النشطاء الرواية التي جاء بها المسلسل واعتبروا أنه «تزوير للتاريخ».

وأورد المسلسل الذي بدأ عرضه خلال شهر رمضان المبارك العديد من المزاعم بشأن الأحداث التي شهدتها مصر في العام 2013 بما فيها مجزرة رابعة التي قتل فيها مئات وربما آلاف الشباب المعتصمين.

ومن بين المزاعم أن سيدة تدعى «سامية شنن» وهي محكومة بالمؤبد بقضية اقتحام قسم شرطة «كرداسة» كانت قد أعطت آنذاك، مادة كيميائية حارقة (ماء نار) لضباط الأمن، حيث قال ناشطون إن هذه الرواية التي كانت شائعة آنذاك قد كذبها القضاء نفسه وحذر من تناقلها بحسب ما نقلت وسائل إعلام النظام نفسه.

كما عرض «الاختيار 2» مشهدا تمثيليا لعسكري يقوم بحمل زميله المصاب ويحاول إنقاذه، قبل أن يُصاب هو الآخر برصاص المتظاهرين، إلا أن النشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي سرعان ما استحضروا المشهد الأصلي من ميدان رابعة خلال فض الاعتصام، والذي يظهر فيه رجل يحمل مصابا برصاص قوات الأمن قبل أن تقوم القوات الحكومية بإطلاق النار عليه.

وتصدر وسم «#رابعة» ووسم «#رابعة_مذبحة» مواقع التواصل الاجتماعي في مصر على مدار نحو يومين أو أكثر، وعرض خلاله نشطاء شهاداتهم ومقاطع فيديو وصورا لجرائم القتل التي حصلت في الميدان، إضافة إلى الوسم «#الاختيار 2» والوسم «#حفظ_الله_مصر» وغيرها من الوسوم المتعلقة بالمسلسل.

وذكرت الناشطة الحقوقية أسماء خيري، إحدى المعتصمات، كيف قُتل المعتصم أحمد عمار، عند «طيبة مول» الساعة السادسة والثلث صباح يوم الفض، مؤكدة أنه عندما قال للضباط: «احنا عزل» رد الضابط عليه بـ 4 طلقات في صدره.

وقالت خيري، عبر صفحتها في «فيسبوك» إنها تتمنى أن لا يُذاع المسلسل حتى لا تتذكر المستشفى التي مات فيه المعتصمون بإصابات حروب، مثل الصحافية أسماء صقر التي ماتت برصاصة في رأسها، وزوجها الصحافي أصيب برصاصة في قدمه.

كما أشارت خيري إلى قتل الناشطة أسماء البلتاجي، وحبيبة أحمد عبدالعزيز، وعمليات قنص المعتصمين الذين كانوا يحملون المصابين، ثم حرق مستشفى الميدان بما فيه من جثث.

وختمت تدوينتها بالقول: «شهدنا 12 ساعة من استخدام القوة المفرطة ضد مدنيين» مضيفة: «شهدنا على فض رابعة؛ ولسه عايشين ومنسيناش».

وكتب الناشط عبد الله الشريف: «هتفضلوا طول عمركم مهزأين وناقصين وقليلين أوي في عيون نفسكم قبل عيون الخلق بتزوروا التاريخ واللي عاصروه لسة عايشين يا فجرة! بتقولهم مرتين؟ نشهد الله أن رابعة مذبحة وأنكم قتلة ولنا مع أول خميس بعد رمضان حلقة أولى بعنوان الاختيار 2 لنرى أمليارات الباطل أم بساطة الحقيقة؟».

وغردت الناشطة الحقوقية منى سيف على «تويتر» تقول: «مش قادرة استوعب ان فيه حد كبير مسؤول عنده مخ اختار يستحضر كل الغضب والعنف والتشاحن والتروما الجماعية دي ويخلي نفس الكلام المعفن اللي بيستسهل فرم مئات من الناس في ثانية، ونفس الغل في الهجوم والرد، ونفس العنف اللي دمر صداقات وعلاقات يطفوا للسطح من تاني، شيء في منتهى الانحطاط والقسوة».

وقال الناشط عيد المرزوقي: «في رجل من قبيلة في سيناء قرر يعتصم في ميدان رابعة، هذا الرجل قتل في الصباح في أول فوج، زوجته أستطاعت حمله والخروج به من الميدان في أثناء خروجها تحمل جثة زوجها كان ضباط الشرطة بيقولوا ليها ما تقلقش يا مدام بكرا الإخوان يجوزوكي واحد أحسن منه، إنسانية ولا ماش إنسانية من شرطة مصر؟».

أما محمد الشامي فيقول: «هو الظاهر حسوا ان يمكن يكون في ارهاصات بوادر توافق تلوح في الأفق قالك الحق أرجع فرق تسد تاني بسرعة» في اشارة إلى أن توقيت عرض المسلسل يأتي متزامناً مع أحاديث عن وساطات لتحقيق انفراجة في الوضع السياسي بمصر.

وعلقت الصحافية رشا عزب على قرار الشركة المنتجة للمسلسل عرض الحلقات بدون فواصل إعلانية بالقول: «ده استثناء مش بيتعمل عشان حق المواطن في المشاهدة لا سمح الله.. ده مخصوص عشان تاخدوا الجرعة الوطنية الكاملة للمذبحة».

أما الإعلامي أسامة جاويش فكتب يقول: «واللي عاش 12 ساعة متواصلة بدون فواصل.. احنا عشنا 12 ساعة من القتل والذبح وجرف الجثث والقنص والحرق من غير فواصل، احنا عشنا 12 ساعة من صوت الرصاص والصريخ والعياط من غير فواصل، احنا عشنا 12 ساعة من الدم وفقدان اخواتنا وأصحابنا من غير فواصل.. احنا عشنا رابعة».

ونشر الإعلامي أحمد البقري مشاهد من مجزرة رابعة على حسابه على «تويتر» وكتب معلقا يقول: «مشاهد حية بثت على الهواء مباشرة ووثقتها كاميرات العالم أبشع مجزرة حدثت في التاريخ المعاصر.. رابعة، لا مشاهد صورها كومبارس في محاولة رخيصة لمحو عارهم.. رابعة مذبحة.. رابعة مجزرة أبرياء.. العسكر قتلة».

وغرد سيف الإسلام عيد: «رابعة هي الحد الفاصل بين الإنسانية واللاإنسانية» فيما كتب حسام يحيى: «الحقيقة الوحيدة أن رابعة مجزرة».

وكتب محمد وفيق زين العابدين: «فض رابعة لحظة حاسمة فرقت بيني وبين كل من رضي بها بالفعل أو القول فُرقةً لا أرجو بها إلا رضا الله.. رابعة هي التي راح فيها وعلى إثرها خيارنا.. رابعة هي الفاصلة الفارقة الواضحة الفاضحة».

وغرد فراس أبوهلال على تويتر: «رابعة هي مجزرة مع سبق الإصرار والترصد، ولن يغير من حقيقتها مسلسل يشارك من خلاله فنانون يحصلون على الملايين لتغيير تاريخ لا يزال حديثا.. دماء الضحايا أقوى من تزوير الدراما».

وكتب أيمن عزام قائلاً: «شكرا لنظام السيسي، فقد أحيا بغبائه روح قضية رابعة، كنا نخشى أن يطول الأمد فينسى الناس حق الدماء الزكية التي سالت على أرض صلوا عليها وتهجدوا فيها 48 ليلة منها 30 ليلة في رمضان المبارك 2013.. الآن تأتيكم الرياح على غير ما اشتهى جنراكم السّفاح، الآن تنتفض ثارات الدماء في العروق، وتحيا رابعة».

يشار إلى أن مسلسل «الاختيار 2» الذي يثير الجدل الواسع حول رابعة وأعاد الاهتمام بها من جديد على شبكات التواصل هو من إنتاج شركة «سينرجي» التابعة لجهاز المخابرات العامة المصرية، وتأليف هاني سرحان، وإخراج بيتر ميمي وبطولة كريم عبد العزيز.

أزمة تعصف بصحافيي الأردن وتدفع نقيبهم إلى الاستقالة

لندن – «القدس العربي»:

انتقلت أزمة صامتة في الوسط الإعلامي في الأردن إلى العلن بعد أن أعلن نقيب الصحافيين الأردنيين راكان السعايدة استقالته من منصبه يوم الأربعاء الماضي، فيما أكد أنه لن يترشح لهذا المنصب مرة أخرى ووجه انتقادات لاذعة للنقابة، فيما تمكنت «القدس العربي» من الوصول إلى بعض التفاصيل التي أدت إلى إغضاب النقيب وإيصاله إلى هذه الاستقالة العلنية الاحتجاجية.

وأعلن السعايدة استقالته من منصبه كنقيب للصحافيين بعد أربع سنوات أمضاها في هذا الموقع مؤكداً عدم نيته الترشح لهذا المنصب مرة أخرى، وكتب في منشور على صفحته بموقع «فيسبوك»: «أبلغكم استقالتي من موقع نقيب الصحافيين وعدم نيتي الترشح له مستقبلا» مضيفا: «لقد اكتفيت من الظلم والإنكار والجحود والإساءات».

وكان السعايدة يشغل منصب رئيس تحرير جريدة «الرأي» التي تملك الحكومة أغلب أسهمها لكنه استقال من هذا المنصب مؤخراً، كما أنه يشغل أيضا منصب نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، فيما قالت مصادر لـ«القدس العربي» إن استقالته تأتي في أعقاب خلافات بين إدارات هاتين المؤسستين مع وقوف النقابة على الحياد من دون أي تحرك لما يجري في هذه المؤسسات.

وهاجم السعايدة مجلس نقابة الصحافيين في منشور على «فيسبوك» حيث قال: «واجب مجلس نقابة الصحافيين محاربة الفساد والتصدي للترهل، لا حماية الفاسدين والمترهلين في مؤسساتهم لأسباب انتخابية، الأصل أن تحمي النقابة أصحاب الحق لا أصحاب الباطل». وتابع: «الأصل أن لا تجيّر النقابة لحماية من يأكلون كل حرام وسحت، ولا تكون حاضرة لمن يريدونها شبكة لحماية باطلهم وفسادهم، ويريدون الاختباء خلف سلطتها كي لا يتم سؤالهم عن تقصيرهم في واجباتهم الوظيفة وغيابهم عن مواقع عملهم بالأشهر».

وأضاف: «أي مجلس نقابة يمارس مثل هذه الأعمال، ويوفر مثل هذه الحماية لكل فاسد ومترهل هو خائن لوطنه ولدوره ومهمته ومهنته ومجرم بحق المؤسسات» مشدداً على أنه «من المعيب أن تجعلنا مصلحة انتخابية زائلة غطاء للفساد وصناعه».

وكتب أيضا «بئس العمل النقابي الذي نقوم به، والحكومة التي تخضع لابتزاز أي نقابة ولا تقوم بما يجب القيام به بالعدل والحق وعدم الظلم حكومة لا تستحق أن تبقى».

وجاءت استقالة السعايدة بعد يوم واحد من إصدار مجموعة من العاملين في التلفزيون الأردني بيانا انتقدوا فيه موقف النقابة من عملية هيكلة تعتزم الحكومة تنفيذها في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، وتتضمن الاستغناء عن عدد من العاملين.

واجتمع وزير الإعلام الأردني صخر دودين بالعاملين في التلفزيون وأبلغهم أن الحكومة جمدت قرارات الاستغناء عن بعضهم وقرارات أخرى بنقل عاملين إلى مواقع أخرى لحين الإطلاع عن مضمون القرارات.

وقال الصحافيون في بيان لهم الأسبوع الماضي إنه «استكمالاً لاجتماع وزير الإعلام بعدد من العاملين في المؤسسة، الذي أسفر عن تجميد القرارات المتخذة، فإن الحكومة مدعوة لإعلان صريح يفيد بإلغاء القرارات». وطالب البيان، الذي حمل 50 توقيعاً، الجهات الحكومية بـ «إعلان تفاصيل الهيكلة، سواء المتعلقة بالمؤسسة أو بالإعلام الرسمي، وإخضاعها للنقاش على المستويين المؤسسي والوطني».

وقبل يوم واحد من استقالته من منصب النقيب اجتمع السعايدة مع الوزير دودين ورئيس مجلس إدارة التلفزيون الأردني غيث الطراونة والمدير العام محمد بلقر.

وحسب مصدر إعلامي أردني طلب من «القدس العربي» عدم نشر اسمه فإن الاجتماع المتعلق بإعادة هيكلة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون نشبت فيه خلافات واسعة، وكان السبب المباشر والأخير لاستقالة السعايدة، إلا أن المصدر يؤكد بأنه «لم يكن السبب الوحيد».

وأضاف المصدر إن موقف النقابة مما يجري في الصحف اليومية الكبرى، وخاصة «الرأي» و«الدستور» وعدم التحرك من أجل حل الأزمات التي تعاني منها كان له دور أيضاً في اتخاذ النقيب قرار الاستقالة، خاصة وأنه استقال أيضاً قبل أسابيع قليلة من منصبه كرئيس تحرير جريدة «الرأي» التي تعاني من أزمة مالية كبيرة.

وبحسب المعلومات فقد تقدم ثلاثة من الصحافيين بشكاوى رسمية قبل أيام لنقابتهم تتحدث عن «إجراءات تعسفية» من قبل الحكومة بحق العاملين في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، وطلبوا من النقابة «التدخل العاجل لدى الجهة المعنية لإلغاء قرارات الانتداب أولا، وتوفير الحمايات اللازمة للزملاء من أية إجراءات تعسفية لاحقة قد تؤثر على مسارهم الوظيفي والمهني».

صحافي عُماني يواجه الاعتقال المتكرر بسبب الديون بعد ثلاث سنوات في السجن

لندن – «القدس العربي»:

يواجه صحافي عُماني السجن المتكرر بسبب الديون المتراكمة التي تلاحقه والذي تسبب بها القرار القضائي بإغلاق صحيفته في العام 2016 فيما يواصل زملاؤه جهودهم لحل الأزمة التي يعاني منها منذ خروجه من السجن بعد قرار بحبسه وإغلاق الصحيفة التي يمتلكها.

وتعرض الصحافي العُماني إبراهيم المعمري للتوقيف أكثر من مرة بسبب الديون المتراكمة التي تلاحقه وتلاحق صحيفته الموقوفة «الزمن» والتي صدر قرار بإغلاقها في العام 2016 بشكل نهائي.

وكانت السلطات العمانية قد أغلقت صحيفة «الزمن» في شهر آب/أغسطس 2016 بعدما نشرت على صفحتها الأولى ملفاً صحافياً تناول انتقادات حادة لنائب رئيس القضاء الأعلى في السلطنة، ورئيس المحكمة العليا، إسحاق البوسعيدي، واتهامات له بالفساد، وهو ما أودى أيضاً إلى صدور حكم بسجن الصحافي المعمري، لكنه أمضى العقوبة المحكوم بها، والديون المالية تلاحقه منذ خروجه من السجن.

وأصدرت محكمة في سلطنة عُمان حكماً بسجن رئيس تحرير صحيفة «الزمن» إبراهيم المعمري وصحافي آخر يدعى يوسف البلوشي لمدة ثلاثة أعوام، كما قضت بحبس صحافي ثالث لمدة عام واحد.

وأعلنت جمعية الصحافيين العمانية إنها «تتابع باهتمام كبير ملف الزميل إبراهيم المعمري، رئيس تحرير جريدة الزمن، منذ فترة، حول موضوع القضايا المالية المترتبة عليه» مشيرة إلى توصلها إلى حلحلة بعض القضايا العالقة بحقه.

وأطلق زملاء المعمري حملة إلكترونية على الإنترنت للتضامن معه والكف عن ملاحقته، معتبرين إن «السجن من أجل المطالبات المالية ليس سوى شمّاعة للاحقة الصحافي المعمري».

وأطلق نشطاء وصحافيون في عمان وسم «#اطلاق_سراح_ابراهيم_المعمري» على «تويتر» أعلنوا فيه دعمهم للمعمري.

وكتب الإعلامي نصر البوسعيدي: «من العار حتى الآن استمرار سجن الأستاذ إبراهيم المعمري بسبب ديون إغلاق جريدة الزمن بقرار حكومي! المؤلم أكثر بأن كل مساعي الخير في هذا الوطن العزيز لم تستطع حتى الآن مساعدته لتسديد كل الديون التي تراكمت! والأكثر عيبا أن بعض موظفيه قدموا الشكوى ضده!».

وغرد الناشط علوي المشهور: «أعتقد أن الواجب على الحكومة ليس مجرد اطلاق سراح إبراهيم_المعمري، بل يجب رد الاعتبار له وتعويضه، وإعادة فتح صحيفة الزمن كذلك. نعم القضية ظاهرها مالي ولكن سببها إغلاق الصحيفة مما أدى للتخلف عن دفع المستحقات وتفاقم الديون. نتمنى من الحكومة تمكين الإعلام وإدراك أهميته كسلطة رابعة».

أما الكاتب والطبيب زكريا المحرمي فكتب يقول: «لم يكن لإبراهيم ذنب في ضبابية قانون النشر وليس جريمة قيام صحيفته بنشر خلافات بعض القضاة ودعاواهم ضد بعض، والأليق بعمان وسلطانها الكريم أن تتعامل مع الرجل من مبدأ العفو والإحسان وجبر المصاب وإسقاط جميع المطالبات المالية، (فمن عفى وأصلح فأجره على الله)».

وعلق أحد الناشطين بالقول: «أما آن لأغلال إبراهيم أن تنكسر، ويعود لأهله وبيته؟ رجل وهب حياته وماله ليظهر قضايا الفساد للعلن، ويكشف عبر جريدته الزمن أقنعة في ظاهرها العفة والنزاهة وفي باطنها الدناءة والخساسة. حاولوا بما يملكون من سلطة سقوطه، ولكن إبراهيم لن يسقط فالحق سيعود يوما».

ووجه أحمد بخيت نداء إلى السلطان قائلا: «نداء واستغاثة لسلطان البلاد المعظم هيثم بن طارق حفظه الله ورعاه، الإفراج وإسقاط كل القضايا عن هذا المواطن العماني الأصيل، نسأل الله تعالى سميع الدعاء أن يمن عليه بالفرج العاجل يارب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

وغرد خليفة اليافعي قائلاً: «الوطني الذي لا يجامل على حساب المصلحة الوطنية يجب أن يكرم لا أن تغل أياديه بالسلاسل ولا ان يكون خلف القضبان، كلنا مع إطلاق سراح إبراهيم المعمري وإعطاء الإعلام الحر الوطني الدعم اللازم، هؤلاء هم من يبنوا العدالة المجتمعية وهم من يحافظوا على تراب هذا الوطن الكبير».

يشار إلى أن سلطنة عمان تحتل المرتبة الـ133 من أصل 180 دولة على مؤشر التصنيف العالمي لحرية الصحافة لعام 2021 الذي أصدرته منظمة «مراسلون بلا حدود» مؤخراً.

علوم وتكنولوجيا

نقص النوم يؤدي إلى أمراض عقلية في آخر العُمر

لندن – «القدس العربي»:

انتهت دراسة علمية حديثة إلى إطلاق تحذير من التعثر في النوم بعد أن وجدت بأن نقص النوم المتكرر في مقتبل العمر يؤدي إلى أمراض عقلية مثل الخرف والزهايمر في وقت لاحق من الحياة.

ووجدت الدراسة التي قام بها باحثون من جامعة باريس، أن الأشخاص الذين ينامون أقل من ست ساعات يومياً هم أكثر عرضة من غيرهم للإصابة بالخرف والأمراض العقلية من غيرهم عندما يتقدم بهم العمر.

وحسب الدراسة التي نشرت نتائجها جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليها «القدس العربي» فقد جاءت هذه النتائج بعد تحليل بيانات حول صحة 7959 فرداً في بريطانيا منذ عام 1985.

ووجد الفريق البحثي أن أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين 50 و70 عاما والذين كانوا ينامون أقل من ست ساعات في الليلة في منتصف العمر كان لديهم خطر أعلى بنسبة 30 في المئة للإصابة بالخرف المتأخر.

ويُعتبر الخرف واحداً من الأمراض السائدة في العالم في أوساط كبار السن، حيث يعاني حالياً حوالي 50 مليون شخص من الخرف في مختلف أنحاء العالم، وهناك ما يقرب من 10 ملايين حالة جديدة كل عام، وفقاً لمنظمة الصحة العالمية.

وتقول الدكتورة سيفيرين سابيا، التي قادت الفريق البحثي الذي نفذ الدراسة، إن «النوم قد يكون مهماً لصحة الدماغ في منتصف العمر، وأن الأبحاث المستقبلية يمكن أن تحدد ما إذا كان تحسين عادات النوم يمكن أن يمنع الخرف».

ومن الأعراض الشائعة للخرف «النوم المتغير» إلا أن الباحثين يقولون إن هناك أدلة على أن أنماط النوم قبل ظهور الخرف قد تسهم في المرض.

وفي هذه الدراسة، فحص الباحثون البيانات التي تم جمعها على مدار الـ36 عاماً الماضية منذ عام 1985 على آلاف الأشخاص الذين أبلغوا بأنفسهم عن عادات نومهم ومدته، مع ارتداء البعض لمقاييس التسارع أثناء الليل للتأكد من أن هذا كان تقديراً دقيقاً.

ووفقاً للدكتورة سابيا وزملائها فإن «ما إذا كانت معايير النوم تؤثر أيضاً على الخرف في أواخر العمر تظل موضع نقاش». ووجدوا أن من المعروف أن الخرف يؤثر على دورات النوم والاستيقاظ، لكن مدى ارتباط مدة النوم كشخص بالغ بالخرف لم يكن واضحاً. وذلك لأن معظم الدراسات لم تأخذ بعين الاعتبار العمر بشكل صريح عند تقييم مدة النوم أو مدة المتابعة.

وأوضح الفريق: «إن نهجنا يهتم بكلا هذين الجانبين إلى جانب تضمين مجموعة واسعة من المتغيرات المشتركة لإظهار أن قصر مدة النوم في منتصف العمر يرتبط بزيادة خطر الإصابة بالخرف».

ويقول الباحثون إنه أثناء النوم يتم التخلص من السموم من الدماغ وأجزاء أخرى من الجسم، مما يحمي من مجموعة من الأمراض بما في ذلك أمراض القلب والسرطان.

وقالت الدكتورة سابيا: «هناك فرضيات بيولوجية معقولة لشرح الصلة بين مدة النوم والخرف، يتعلق أحدها بدور النوم في التخلص من نفايات البروتين في الدماغ. وخلال فترة الاستيقاظ، يزيد نشاط الخلايا العصبية من إطلاق بروتينات بيتا أميلويد، ثم يتم غسل هذه البروتينات بعيدا عن الدماغ أثناء النوم».

وتشير سابيا إلى أنه «في حالة النوم القصير، قد يتم تغيير تصفية هذه البروتينات مما يؤدي إلى تراكم أميلويد بيتا في الدماغ» بحسب ما نقلت «دايلي ميل».

ولاحظ الباحثون تراكم هذه البروتينات في مرض الزهايمر، حيث قد تتضمن الآليات الأخرى أيضاً دور النوم في التهاب الأعصاب وتصلب الشرايين.

وتقول هيئة الخدمات الطبية البريطانية «NHS» إن معظم البالغين يحتاجون إلى ما بين ست إلى تسع ساعات من النوم كل ليلة، فيما تنصح السلطات الصحية في الولايات المتحدة من سبع إلى ثماني ساعات وخاصة لمن هم أكبر من 65 عاماً.

ويعاني أكثر من 920 ألف شخص في بريطانيا حالياً من الخرف، وهو رقم يُتوقع أن يرتفع إلى مليوني شخص بحلول عام 2050 بسبب شيخوخة السكان.

وتقول «دايلي ميل» إنه «مع عدم وجود علاج فهناك تركيز متزايد على تغييرات نمط الحياة التي يمكن أن تساعد في الحماية منه. وفي بريطانيا يعترف ستة من كل عشرة بالغين بأنهم لا يحصلون على قسط كافٍ من النوم.

وقالت الدكتورة سارة إيماريسيو، رئيسة الأبحاث في مركز أبحاث الزهايمر في المملكة المتحدة: «نحن نعلم أن الأمراض التي تسبب الخرف تبدأ قبل عقدين من بدء ظهور أعراض مثل فقدان الذاكرة، لذا فإن منتصف العمر هو وقت حاسم للبحث في عوامل الخطر».

وأوضحت أنه «في هذه الدراسة، تم قياس مدة النوم إلى حد كبير من خلال قيام متطوعين في الدراسة بالإبلاغ الذاتي عن مدة نومهم».

وأضافت: «وعلى الرغم من أن هذه المجموعة من المتطوعين لم تكن تعكس سكان بريطانيا، إلا أنها تقدم نظرة ثاقبة للعلاقة مع النوم والخرف في منتصف العمر إلى وقت لاحق».

وقالت إن الدراسة لم تستطع «استبعاد» السبب والنتيجة الفعليين، لكنها أشارت إلى أن استمرار انخفاض مدة النوم مرتبط بزيادة خطر الإصابة بالخرف.

وقالت إنه في العقد «لم تجد علاقة بين مدة النوم الأطول من المتوسط وخطر الإصابة بالخرف».

وعلى الرغم من عدم وجود طريقة مؤكدة للوقاية من الخرف، إلا أن هناك أشياء ضمن سيطرتنا يمكن أن تقلل من مخاطرها.

وتشير الدلائل الأولية إلى أن الامتناع عن التدخين والبقاء نشطين عقلياً وجسدياً، وتناول نظام غذائي متوازن، والحفاظ على مستويات الكوليسترول وضغط الدم تحت السيطرة، يمكن أن تساعد جميعها في الحفاظ على صحة أدمغتنا مع تقدمنا في العمر.

وقالت الدكتورة إليزابيث كولتهارد، أخصائية أمراض الخرف في جامعة بريستول إن الفريق البحثي قدم معلومات جديدة عن النوم والخرف.

وأوضحت أن «هذا يعني أن على الأقل بعض الأشخاص الذين أصيبوا بالخرف ربما لم يكونوا مصابين به بالفعل في بداية الدراسة عندما تم تقييم نومهم لأول مرة» استنادا إلى الـ30 عاما من بيانات التتبع. لذلك، فإن هذه النتائج تعزز الأدلة على أن قلة النوم في منتصف العمر يمكن أن تسبب أو تزيد من الخرف في وقت لاحق من الحياة.

علماء يحققون اكتشافاً ثورياً يحمي القهوة من الانقراض

لندن – «القدس العربي»:

تمكن علماء متخصصون في عالم النباتات من التوصل إلى اكتشاف ثوري كبير وهم من شأنه أن يحمي القهوة، وهي المشروب العالمي الأوسع انتشاراً، من الانقراض، حيث تواجه حالياً تحديات صعبة بسبب التغيرات المناخية التي تهدد بانقراضها واختفائها من العالم بشكل كامل.

ونظرا لأن أزمة المناخ تسبب فوضى في أنماط درجات الحرارة وهطول الأمطار في جميع أنحاء العالم، فإن أحد المحاصيل العديدة المهددة هو البن النقيس للبشرية.

وحسب تقرير نشره موقع «ساينس أليرت» واطلعت عليه «القدس العربي» فقد حدد العلماء أخيرا نباتا لإنتاج القهوة يمكن أن يكون أكثر قوة في مواجهة قسوة المواسم المتغيرة، وهو ما يعطي أملاً بحماية هذا المشروب العالمي من الانقراض أو الشح خلال الفترة المقبلة بسبب التغيرات المناخية.

والنبات المكتشف عبارة عن «بنّ ستينوفيلا» وهي من الأنواع البرية النادرة نسبيا الموجودة في غرب أفريقيا العليا، وبالمقارنة مع نباتات القهوة الأكثر استخداما، فهي مجهزة بشكل أفضل للتعامل مع التغيرات المناخية.

وعلاوة على ذلك فإن النبات الجديد له نكهة مماثلة لنكهة «قهوة أرابيكا» عالية الجودة المصنوعة من نبات أرابيكا «سي أرابيكا» لذلك يجب أن تحافظ على رضا خبراء المشروبات الساخنة أيضا.

وتعد «أرابيكا» – التي تهيمن حاليا على 75 في المئة من سوق القهوة العالمي أحد الأصناف المهددة بشكل خاص من تغير المناخ، حيث يحتاج النبات إلى ظروف محددة جدا للنمو.

وكتب الباحثون في ورقتهم البحثية: «توسع هذه الأنواع إلى حد كبير الغلاف المناخي للقهوة عالية الجودة، ويمكن أن توفر موردا مهما لتطوير نباتات محاصيل البن المقاومة للمناخ».

وكان يُعتقد سابقا أن نبات الستينوفيلا تلاشى في كل مكان باستثناء ساحل العاج، مع القليل جدا من المعلومات المنشورة عنه لعدة عقود. ومع ذلك، اكتشف التنوع مؤخرا في سيراليون.

واختبر العلماء عينات من النبات لمعرفة مذاقها، وأجروا نماذج لتقييم الظروف التي يمكن أن تنمو في ظلها. حيث تبين أنه يمكنها النمو في درجات حرارة تصل إلى 24.9 درجة مئوية أو 76.8 درجة فهرنهايت وهي ظروف أكثر دفئا من الأنواع الأخرى.

وتشير الأبحاث السابقة إلى أن نبات الستينوفيلا يمكن أن يتحمل فترات الجفاف كما أنه مقاوم جزئيا لصدأ أوراق البن، لذلك لديه العديد من المؤهلات التي تجعله خيارا محتملا لإنتاج القهوة في ظروف أكثر صعوبة إذا استطعنا زراعة ما يكفي منه.

وأضاف الباحثون: «اعتُبر ضعف المحصول هو السبب الرئيسي لفشل الستينوفيلا في أن يصبح أحد أنواع محاصيل البن العالمية الرئيسية، على الرغم من أن المنافسة من قهوة (robusta) التي يتزامن تقدمها المبكر نحو أن تصبح سلعة عالية مع تراجع زراعة الستينوفيلا، عامل رئيسي مساهم».

وأفاد الباحثون أن قهوة الستينوفيلا أثبتت أيضا شعبيتها لدى خبراء تذوق القهوة في اختبارات الذوق الأعمى التي أجريت خلال العام الماضي. وعلاوة على ذلك، يمكن تهجين النبات لإضافة المزيد من المرونة المناخية للأنواع الأخرى.

ويعد التحول إلى أنواع القهوة الأكثر صلابة خيارا واحدا فقط تبحثه الصناعة: نقل زراعة حبوب البن وتكييف جوانب مختلفة من إنتاج حبوب البن، هي أفكار يتم أخذها في الاعتبار أيضا، على الرغم من أن أفضل طريق للجميع هو معالجة السبب الجذري من كل ذلك – الآثار المدمرة لتغير المناخ.

وتُزرع الشتلات الآن لتقييم جدوى ستينوفيلا كمصدر عالي الجودة للقهوة في المستقبل.

وقال آرون ديفيس، رئيس أبحاث القهوة في الحدائق النباتية الملكية في المملكة المتحدة: «لن يكون في المقاهي في العامين المقبلين، لكنني أعتقد أنه في غضون خمس إلى سبع سنوات سنراه يدخل السوق كقهوة متخصصة، كقهوة عالية القيمة، وبعد ذلك أعتقد أنه سيكون أكثر شيوعا».

سيارة طائرة كهربائية تحمل ستة أشخاص تبدأ التحليق العام المقبل

لندن – «القدس العربي»:

شرع الصندوق الروسي للدراسات المتقدمة في تطوير سيارة طائرة مبتكرة «سيكلوكار» مع مراوح دوارة، مصممة لحمل ستة أشخاص.

وقال الصندوق في بيان صحافي إن «رحلات أول نموذج مبدئي بالحجم الكامل للسيكلوكار، المجهزة بمحطة طاقة كهربائية بالكامل، من المقرر أن تجري في عام 2022» بحسب ما نقلت وكالة «نوفوستي» الروسية.

وستكون المركبة الطائرة قادرة على رفع 600 كيلوغرام من البضائع، أو نقل ستة أشخاص. وينفذ هذا المشروع بشكل رئيس معهد الفيزياء الحرارية التابع للأكاديمية الروسية للعلوم، فرع سيبيريا.

وأفيد بأنه تم بالفعل تنفيذ التصميم الأولي للمركبة الطائرة، وتم إجراء الاختبارات الأرضية لجهاز الدفع الدائري بقطر متر ونصف المتر، وقد نُفذت رحلة تجريبية لنموذج أولي وزنه 60 كيلوغراما.

وسيتمكن السيكلوكار من الوصول إلى سرعة قصوى تصل إلى 250 كيلومترا في الساعة، فيما يصل مدى الرحلة إلى 500 كيلومتر. وأوضح الصندوق أنه «بالإضافة إلى أبعاده المدمجة، مقارنة بالطائرات المروحية، فإن السمة المميزة لهذه المركبة الطائرة هي القدرة على الهبوط على سطح مائل – حتى 30 درجة، والرسو على الأسطح الرأسية».

كما سيجري تجهيز عربة السيكلوكار بوحدة طاقة تعتمد على محرك بنزين دوار أو نسخة أكثر قوة من محطة طاقة هجينة تعتمد على محرك توربيني.

يشار إلى أن «سيكلوكار» هي عبارة عن سيارة طائرة يتم حملها وتحريكها في الهواء بفضل المراوح الدورية. ومن بين المزايا الرئيسة لهذه المراوح التحكم السريع في ناقل الدفع من خلال 360 درجة، ومستوى ضوضاء منخفض.

وتعد المروحة الدوارة في الوقت ذاته، واحدة من أكثر الأجهزة الديناميكية الهوائية تعقيدا من جهة التصميم. وأفاد يان تشيبيسوف، رئيس مجموعة مشروع صندوق الأبحاث المتقدمة بأن علماء ومهندسي معهد نوفوسيبيرسك للفيزياء الحرارية وفرع كراسنويارسك التابع له نجحوا في حل هذه المشكلة في إطار المشروع.

تكنولوجيا روسية لتدريب الـ«روبوت» على المهارات البشرية

لندن – «القدس العربي»:

ابتكر علماء روس تكنولوجيا جديدة لتقييم مستوى الذكاء لدى الشباب، كما يمكن لهذه التكنولوجيا أيضا أن تقوم بتدريب الإنسان الآلي «روبوت» على مهارات بشرية، وبالتالي التطوير من أدائه باستخدام الذكاء الاصطناعي. وأجرى العلماء تجربة على المتطوعين أظهرت أن التكنولوجيا الجديدة تقدم نتائج أفضل لتحديد مستوى الذكاء مقارنة بسبل كلاسيكية لتحديد الذكاء، بحسب تقرير نشرته وكالة «تاس» الروسية. وقال العلماء إن التكنولوجيا يمكن استخدامها مستقبلا في تدريب الروبوتات.

وقضت التكنولوجيا بأن يرتدي المشارك في التجربة على رأسه قبعة مزودة بمستشعرات موصولة بجهاز يسجل النشاط الكهربائي الحيوي على الورق على شكل مخطط للموجات.

وقام العلماء في مختبر الدراسات الوراثية الجزيئية في جامعة جنوب الأورال وزملاؤهم في أكاديمية العلوم بتحليل كيفية إظهار الاتصال بين مختلف أقسام الدماغ باستخدام مخطط الدماغ الكهربائي.

واتضح أن المخطط الكهربائي للدماغ يعطي معلومات عن مستوى الذكاء اللفظي (القدرة على العمل بالمواد اللفظية) أو غير اللفظي (القدرة على العمل بالصور المرئية والتمثيل المكاني).

وقالت رئيسة مختبر الدراسات الوراثية والجزيئية في الجامعة إينا فكليتشيفا «إن المشاركين في التجربة أخضعوا لاختبارات الذكاء الكلاسيكية. وسجلنا في الوقت نفسه المخطط الكهربائي لأدمغتهم. وقمنا بتحليل الترابط بين مختلف أقسام الدماغ وتوصلنا إلى استنتاج مفاده بأن هناك علاقة مباشرة بين مستوى الذكاء وقوة النبضات التي يرسلها المخطط الكهربائي للدماغ».

واستطردت قائلة إن إدراك كيفية الترابط بين مختلف مناطق الدماغ في أوقات مختلفة يمكن أن يلقي الضوء على أحد الألغاز الهامة للبشرية وهي العلاقة بين العاملين الجسدي والنفسي لدى الإنسان.

وقد تساعد نتائج التجربة العلماء، حسب رئيسة المختبر، في عملية تدريب الذكاء الاصطناعي، فضلا عن تقييم مستوى الذكاء لدى الشباب وغيرهم من فئات المجتمع الروسي.

وداعا لضياع المفاتيح: قطعة ذكية من «آبل» تجعلك تعثر على المقتنيات المفقودة

لندن – «القدس العربي»:

تمكنت شركة «آبل» الأمريكية من التوصل لأول مرة إلى حل لمشكلة ضياع المفاتيح والأشياء الأخرى المشابهة التي يعاني منها أغلب الناس، وصار بمقدور الشخص الاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة من أجل العثور على هذه المفقودات الصغيرة.

وكشفت «آبل» رسمياً عن قطعة أطلقت عليها اسم «AirTags» وهي عبارة عن قطعة صغيرة يتم استخدامها في تعقب العناصر المفقودة باستخدام تطبيق «Find My» الموجود على كافة هواتف «آيفون». أي أن هذه القطعة يتم وضعها مثل «الميدالية» مع المفاتيح، ومن ثم في حال ضياع المفاتيح يتم الاستعانة بالهاتف المحمول الذكي من أجل العثور عليها. وبحسب المعلومات التي نشرتها تقارير غربية، وجمعتها «القدس العربي» من مصادر متعددة، فانه يمكن إرفاق قطعة «AirTags» بالمفاتيح أو المحفظة أو غيرها من المنتجات حيث يمكن بواسطتها الوصول إلى الشيء المطلوب، وفي حال انفصلت عنه تقوم فورا بارسال إشعارات إلى الهاتف المحمول المرتبطة به.

وتوصف القطعة الجديدة التي كشفت عنها «آبل» بأنها جهاز دائري صغير يحمل شعار التفاحة في المنتصف ومجهز باتصال بلوتوث للإقتران بجهاز الهاتف أيفون أو جهاز الكمبيوتر اللوحي من نوع «آيباد».

وباستخدام تطبيق «Find My» يوفر النظام توجيهات خطوة بخطوة لتحديد مكان العلامة والشيء المفقود.

وسرعان ما طمأنت شركة «آبل» المستخدمين بأن هذا الجهاز لا يمكن استخدامه في تتبع الأشخاص ولا التجسس عليهم ولا معرفة أماكن تواجدهم، حيث أكدت «آبل» أن الجهاز الجديد ليس مخصصاً لتتبع الأشخاص وقد أضاف ميزات خصوصية لضمان عدم استخدامه لأي شيء سوى العثور على كائنات غير حية.

وكانت الشائعات قد انتشرت في أواخر العام 2019 عن هذه القطعة الجديدة من شركة «آبل» كما أن المعلومات بدأت تتسرب منذ ذلك الحين عن عملية تطويرها، إلا أن الشركة أعلنت أخيرا الأسبوع الماضي عن هذا المنتج الجديد، حيث استغرق الأمر 18 شهراً قبل أن يتم تأكيد وجود هذه الأداة الذكية أخيراً من قبل عملاق التكنولوجيا.

ويبلغ ثمن هذا الجهاز الجديد 29 دولاراً، لكنه يأتي أيضا ضمن حزمة من أربع حزم مقابل 99 دولاراً، على ان جهاز «Air-Tags» سيتوفر في الأسواق اعتباراً من يوم 30 نيسان/أبريل الحالي.

وقالت كايان دراتس، نائبة رئيس شركة آبل لتسويق المنتجات: «نحن متحمسون لتقديم هذه الإمكانية الجديدة المذهلة لمستخدمي آيفون لمساعدتهم على تتبع والعثور على العناصر المهمة في حياتهم».

وستوفر «AirTag» للمستخدمين طريقة أخرى للاستفادة من قوة نظام آبل البيئي وتعزيز تعدد استخدامات آيفون من خلال تصميمها وتجربة العثور التي لا مثيل لها وميزات الخصوصية والأمان المضمنة.

وتقول شركة «آبل» في المواصفات المعلنة عن هذا الجهاز إنه عبارة عن قرص صغير مقاوم للماء والغبار ويمكن تخصيصه برسالة أو رمز تعبيري على هيكله المصنوع من الفولاذ والمقاوم للصدأ والمحفور بالليزر.

ويوجد مكبر صوت مدمج يقوم بتشغيل الأصوات للمساعدة في تحديد موقع «AirTag» بينما يسهّل الغطاء القابل للإزالة على المستخدمين استبدال البطارية.

ويمكن للمستخدمين أيضاً تعيين «Air-Tag» لعنصر ما وتسميته باسم افتراضي مثل «Keys» أو «Jacket» أو وضع أي اسم مخصص من اختيارهم.

وبالتزامن مع الكشف عن القطعة الذكية الجديدة، أعلنت شركة «آبل» عن جهاز «iPad Pro» جديد وقالت إنه «الأقوى والأكثر تقدماً حتى الآن».

والجهاز هو الأول من نوعه الذي يتضمن معالج البيانات «M1» الخاص بشركة «آبل» مما يوفر له أداءً مشابهاً لجهاز كمبيوتر مكتبي عادي.

وتقول الشركة إن أداء الرسومات أسرع بأكثر من 1500 مرة كما أن الكمبيوتر اللوحي الجديد لديه بطارية تستطيع تشغيله بشكل متواصل لمدة تصل إلى 10 ساعات.

وقال غريغ غوسويك، نائب الرئيس الأول للتسويق العالمي في شركة آبل «لقد كانت شريحة M1 الثورية بمثابة اختراق للجهاز المكتبي، ونحن متحمسون للغاية لتقديمها في الكمبيوتر اللوحي الجديد».

اقتصاد

بعد الانتكاسات التي شهدها هل يتجه نحو الانتعاش؟

اقتصاد ليبيا الريعي بين مشاكل متعددة ومطالبات بالإصلاح

طرابلس – «القدس العربي»:
نسرين سليمان

انتكاسات عديدة مر بها اقتصاد ليبيا الريعي منذ عام 2011 وحتى يومنا هذا، ما أثر سلبا على حياة المواطنين البسطاء خاصة، وعلى ما تمتلكه الدولة من احتياطيات أطلقت صفارات الإنذار منذرة بكوارث إن لم توضع الحلول.

أسباب عدة كان أولها في القائمة الطويلة، الانقسام السياسي الذي ضرب أركان الدولة الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية، فضلا عن الحروب الدامية والمسلحة والفساد الذي استشرى في مفاصل الدولة.

ولكن وبمقارنة الفترة الاقتصادية الحالية بما سبقها من فترات أسوأ نجد أن انتعاشا بدأ ينهض بالمؤشر الاقتصادي للدولة منذ اعتماد الإصلاحات الاقتصادية في ليبيا في عام 2017 وانتهاء بتعديل سعر الصرف خلال العام الجاري.

حبل النجاة

هيكل اقتصادي اعتمدته ليبيا منذ الأزل فساهم في تدمير القطاع يوماً بعد يوم، نظراً لعدم جدواه الذي أثبت على مر الزمن، حيث كان الاقتصاد من سنوات عديدة كالمبنى الذي يقف على عمود واحد ان سقط ، دمر المبنى بأكمله.

اقتصاد ريعي يعتمد بشكل شبه كلي على النفط في تمويله، حيث يستحوذ النفط على نسبة 95 في المئة في الإنتاج المحلي، في أرض تتنوع مواردها، وتزدهر بخيرات لا تعد ولا تحصى، وأمامها العديد من الخيارات التي تفتقدها دول أخرى لتنويع مصادر دخلها، ولكنها فضلت التعلق بهذا المصدر الوحيد، لربما بسبب الأزمات التي واجهتها.

80 في المئة من إجمالي تمويل الخزانة العامة للدولة يغطيه النفط، الأمر الذي أصبح يشكل تهديداً للاقتصاد الليبي بشكل عام في حال توقفه أو تعثره كما حدث في عام 2016 عند إقفال النفط من قبل المدعو حِفْتر، وكما حدث الآن بعدما أقفل من قبل حفتر.

أراض شاسعة تمتلكها ليبيا تمكنها من احتلال مرتبة عليا بين الدول النشطة اقتصادياً، خاصة مع الخصوبة والجودة التي تمتلكها أرضها فضلاً عن الموارد المائية والثروات التي تكتنزها داخل مياهها والتي تتعرض للإهمال حتى اليوم، ناهيك عن المعادن التي تتقاتل الدول للحصول عليها والشواطئ التي تستطيع الدولة استغلالها في السياحة.

كل هذه الموارد تجعل النداءات بتنويع مصادر الدخل تتصاعد، في ظل غياب المبادرات الجدية والواقعية لذلك، ويبقى القطاع الخاص هو الأمل الوحيد للدولة الليبية، حيث أن هذه المشاكل تستدعي إتاحة الفرصة لهذا القطاع وخلق شراكات معه، لتنفيذ ما لم تستطع الدولة تنفيذه، ولتتخلى ليبيا عن حبل النجاة الوحيد الذي تتمسك به قبل السقوط في الهاوية.

مشاكل قطاع النفط

ونتيجة للحروب الدامية التي شهدتها البلاد وللتوقف المستمر لصادرات النفط مرارا وتكرارا، تأثرت البنية التحتية لقطاع النفط بشكل كبير إلا أن المؤسسة الوطنية للنفط استطاعت أن تنقذ هذا القطاع وتصل بالإنتاج مجددا إلى 1.3 مليون برميل يوميا، لتنذر بكارثة أكبر. فقبل يومين أعلنت المؤسسة الوطنية للنفط عن حالة القوة القاهرة على صادرات ميناء الحريقة النفطي، نتيجة للديون المتراكمة على الشركات ولرفض المصرف المركزي تسييل ميزانية القطاع ما أثر بشكل سلبي عليه.

فقد أعلنت شركة الخليج العربي للنفط اضطرارها لإيقاف عملياتها وتخفيض إنتاجها بعد عجزها عن الوفاء بالتزاماتها المالية، ما أدى إلى تخفيض إنتاج البلاد بحوالي 280 ألف برميل من النفط يوميا، مشيرة إلى أن الخسائر اليومية لهذا الايقاف تقدر مبدئيا بـ118 مليون دينار ليبي.

ورغم إصدار حكومة الوفاق الوطني المعترف بها دوليا لقرار يقضي بتمويل قطاع النفط بميزانية تبلغ مليار دينار إلا أن محافظ المصرف المركزي رفض تنفيذ القرار بدون أي أسباب منطقية تذكر، ما أثر على قطاع النفط وهدد استمراره، وهذا ما يدفعنا للحديث عن أهمية حسم باب المناصب السيادية.

المؤسسة الوطنية للنفط أعلنت أيضا عن انخفاض إنتاج البلاد من 1.3 مليون برميل يوميا إلى مليون فقط، بسبب قيام الشركات بتخفيض إنتاجها لغياب التمويل اللازم، ورغم مطالبة رئيس مجلس إدارة المؤسسة الوطنية للنفط بتوفير الميزانية بشكل متكرر ومنذ عام 2018 إلا أن التنفيذ بقي مرهونا في يد المصرف المركزي الذي رفض مرارا رغم استناد الدولة على النفط .

شركة سرت لإنتاج وتصنيع النفط والغاز قالت أيضا أنها ستضطر لتخفيض إنتاجها بسبب غياب الميزانيات اللازمة لذلك، حيث وجه رئيس مجلس إدارتها رسالة عاجلة لرئيس المؤسسة الوطنية للنفط بخصوص عدم قدرة الشركة على الاستمرار بعمليات التشغيل واضطرارها مرغمة لتخفيض الإنتاج وخروجه عن الخدمة.

رئيس مجلس إدارة المؤسسة الوطنية للنفط اتهم محافظ مصرف ليبيا المركزي بالتصرف بعائدات النفط كسلعة يمنحها لمن يشاء، وأنه يستأثر بصرفها على الاعتمادات الوهمية للسلع غير الضرورية استنادا إلى منشوراته بالخصوص، محملا إياه المسؤولية القانونية.

المصرف المركزي

رغم كون مصرف ليبيا المركزي من أهم المؤسسات السيادية في الدولة إلا أنه انقسم بين شرق وغرب ما أدى إلى انقسام القرارات، وتشتت الهدف. فمحافظ المنطقة الشرقية قام بالاستدانة من مصارف المنطقة حتى تجاوز الدين العام للدولة 50 مليارا، وارتفع بنسبة 270 في المئة من إجمالي الناتج المحلي، وغذى أيضا حروب حفتر وصفقات أسلحته.

المصرف الموازي قام أيضا بطباعة مليارات من العملة في روسيا ظنا منه أنه سيعمل على حل مشكلة السيولة بهذه الطريقة ما أدى إلى تهاوي القيمة الشرائية للعملة الليبية وحدوث تضخم كبير في الكتلة النقدية الموجودة خارج المصرف، حيث طبع الأخير بالتعاون مع روسيا أكثر من 4.5 مليار دينار ليبي.

ومع تعطل المسار الاقتصادي الذي قادته بعثة الأمم المتحدة في البداية، بقيت هذه المؤسسة السيادية غير موحدة حتى الآن بسبب مشاكل شخصية بين محافظ المصرف المركزي في طرابلس الصديق الكبير، ونائبه الذي سمي محافظا للمنطقة الشرقية علي الحبري.

ومع انقسام مجلس النواب الذي يعتبر السلطة العليا على المصرف المركزي لم يتمكن الأخير من وضع حلول، بل ورغم عقد المؤسسة اجتماع لمجلس إدارتها بشكل كامل، إلا أن النتيجة كانت اتخاذ قرار واحد وهو تعديل سعر الصرف واستمرت القطيعة واستمر كل فرع يتصرف وكأنه الرئيسي.

محافظ مصرف البيضاء علي الحبري قدم استقالته بشكل رسمي لرئيس مجلس النواب الليبي عقيلة صالح إلا أن الأخير رفضها، واستمر الحبري في ممارسة مهامه من البيضاء، واستمر الصديق في ممارسة مهامه من طرابلس.

وبغض النظر عن الانقسام المستشري في هذه المؤسسة إلا أن الرئيسية منها والموجودة في طرابلس، ليست بأفضل حال من نظيرتها، فمنذ عام 2011 كان على رأسها الصديق الكبير ورغم مرور عشر سنوات على توليه لهذا المنصب، إلا أنه استمر فيه حتى الآن.

الصديق الكبير انفرد بشكل متكرر بالقرار، واندلعت العديد من المشاكل بينه وبين فائز السراج رئيس حكومة الوفاق الوطني سابقا ورئيس المؤسسة الوطنية للنفط مصطفى صنع الله، وحتى الوزراء بسبب اتخاذه للقرار بشكل منفرد ووحيد.

ولعل آخرها ما حدث بينه وبين رئيس المؤسسة الوطنية للنفط من رفضه لتسييل ميزانيات صادرة عنها قرارات من الحكومة التي تفوقه في السلطة.

سعر الصرف

عقب إصدار مجلس إدارة مصرف ليبيا المركزي لقرار يقضي بتعديل سعر صرف العملة الليبية إلى 4.48 دينار للدولار الواحد، شهد الوضع المعيشي تقلباً وانتكاسة، لما تسبب به هذا القرار من ارتفاع في أسعار المواد الأساسية.

ورغم صحة الإجراء وضرورته إلا أن إهمال اتخاذ الإجراءات المصاحبة لهذا القرار تسبب في انعكاسات سلبية ضربت المواطن بشكل مباشر، فللقرار العديد من الإيجابيات التي كان من المنتظر أن يراها المواطن على أرض الواقع أولها توفير السيولة بشكل كلي، ومضاعفة إيرادات النفط لتحسين الحياة المعيشية للمواطنين، والقضاء على التضخم، وزيادة احتياطيات الدولة من العملة الأجنبية.

إيجابيات بسيطة لمسها المواطن دون انعكاسها مباشرة عليه وهي انخفاض سعر الصرف في السوق الموازي إلى ما فوق خمسة دنانير، رغم أن المصرف قد قطع وعودا بالإبقاء على فرق بسيط جدا بين سعر المصرف والسوق الموازي قبل تنفيذ قرار تعديل سعر الصرف.

كما أن آلية إعطاء العملة الأجنبية بسياسة المحاصصة والاعتمادات حافظت على قوة السوق الموازي، والذي يعتبر المصدر الأول للعملة الأجنبية في ليبيا، والذي سيطر على سعر الصرف لسنوات عديدة ووصل على أيديه إلى عشرة دنانير مقابل الدولار الواحد في أوقات سابقة.

هي ذات المشكلة التي وقعت فيها حكومة الوفاق الوطني سابقا عند اعتمادها لمجموعة من الإصلاحات الاقتصادية دون استكمالها ما جعل آثارها العائدة على المواطنين جزئية وبسيطة واعتبرت بمثابة مسكنات آلام، ولم تحمل حلا جذريا للأزمة.

فتوحيد سعر الصرف وتعديله أمر إيجابي للقضاء على سياسة التعدد في السعر ولكن يحتاج لمؤسسة سيادية قوية وموحدة تقود القرار بشكل جيد وتتصدى إلى تبعاته السلبية، وتصدر إيجابياته العديدة، إلا أن المؤسسة الليبية منقسمة حتى في الإجراءات بين المصارف، فالمقاصة معقلة منذ سنوات بين الشرق والغرب.

أزمة المقاصة

بسبب الانقسامات التي ضربت مؤسسة ليبيا السيادية البنكية، انفصلت المنظومة المصرفية بين شرق ليبيا وغربها وأغلقت المقاصة بينهما ما جعل التعاملات المالية تتوقف بين الشرق والغرب من سنوات عديدة.

ورغم عقد مجلس إدارة مصرف ليبيا المركزي للعديد من الاجتماعات بهدف وضع حلول للأزمات الاقتصادية التي أرهقت الدولة إلا أن مشكلة المقاصة ظلت دون حلول وكانت موضع خلاف بين المركزين، بل وأشارت المصادر أن محافظ المصرف المركزي بطرابلس رفض فتح المقاصة خوفا من استخدام الأموال في دعم حفتر مجددا.

انقسام تشهده المنظومة المصرفية بين شرق ليبيا وغربها، جعلت المرجو من تعديل سعر الصرف لا يتحقق بشكل كلي، نظراً للانقسام في الإجراءات، ولإقفال المقاصة لأكثر من ست سنوات متتالية ما ضاعف من معاناة المواطنين.

المحلل الاقتصادي ومؤسس سوق الأوراق المالية سليمان الشحومي قال في هذا الإطار «للأسف استمرت عمليات المقاصة متعثرة وتوقفت على العديد من المصارف الرئيسيّة بشرق البلاد ما أربكت عمليات فتح الاعتمادات فلا يمكن فتح اعتمادات بالمصارف المختلفة إلا عبر اشتراطات محددة زادت من الأمر تعقيدا وبسقف محدد كإيداع القيمة نقدا بالحساب أو أن يكون لديك صك إلكتروني وانحسار عمليات فتح الاعتمادات والحصول على النقد الأجنبي لمن لديه القدرة على العمل من منطقة محددة من البلاد».

وتابع الشحومي حديثه عن هذه القضية «إذا كنّا ندعي أن سعر الصرف تم توحيده، فيجب أن يتمكن الجميع من الحصول على حقوقهم والوصول إلى إنجاز معاملاتهم المتعلقة بالتجارة الخارجية في أي مكان بالبلاد، وعلى مصرف ليبيا المركزي أن يقود عمليات التسوية ويسهلها فذلك أهم أدواره على الإطلاق، فهو مصرف المصارف ولابد أن ترفع القيود المجحفة التي قد تزيد من الاحتقان الجهوي وتسبب في تعثر حكومة الوحدة الوطنية بعد ولادتها القيصرية».

وختم الشحومي حديثه بأن الأوان قد حان للنظام المصرفي الليبي بأن يعمل بعدالة وأن تنساب عمليات التسوية والمقاصة كانسياب الدم في العروق من دون وجود جلطات أو تخثرات تمنع حرية انتقال الأموال والشعور بعدم العدالة في الحصول على الخدمات وعدم المساواة مع كافة المصارف الأخرى.

الموازنة الحكومية لعام 2021

تقبل ليبيا على اعتماد ميزانية هي الأضخم في تاريخها الاقتصادي وتقترب من 100 مليار دينار استنادا إلى المقترح الذي قدم من رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة إلى مجلس النواب لدراستها واعتمادها.

عوامل عدة ضاعفت من ميزانية الدولة لهذا العام، أولها تعديل سعر الصرف الذي تضاعفت معه أي مصروفات خارجية للقطاعات، وثانيها متطلبات المرحلة المقبلة من احتياجات الانتخابات وحتى ضرورة صرف مستحقات المواطنين من علاوة الأسرة والأبناء فضلا عن المرتبات المتوقفة.

حيث حمل مقترح الميزانية 33 مليارا للمرتبات، و12 مليارا للنفقات التسييرية و22 مليارا للتنمية و23 مليارا للدعم، و5 مليارات كاحتياطي في الميزانية.

إلا أن نقاطاً عدة وضعت حولها دائرة حمراء من قبل مجلس النواب أولها باب الطوارئ الذي أوصى بإلغائه كلياً لأن بوجوده سيباح لرئيس الحكومة التصرف فيه في أي لحظة، مطالبا باستبداله ببند يحمل اسم بند الطوارئ بقيمة مليار دينار.

كما استنكر المجلس في تقريره حول الميزانية والتي حصلت «القدس العربي» حصريا على نسخة منه، الصلاحيات الكبيرة الممنوحة لرئيس الوزراء المتمثل في شخص عبد الحميد الدبيبة، في التصرف في أبواب الميزانية المختلفة.

أما عن القوانين التي بنيت عليها الميزانية فقد قال المجلس أن الميزانية بنيت على قانون باطل وهو قانون صادر عن المؤتمر الوطني العام لسنة 2016 أي بعد انتهاء ولايته بسنتين، مما يجعل أساس استناد الميزانية خاطئا.

كما أن المجلس لاحظ وأوصى بتعديل بنود الدراسة والعلاج بالخارج، لما خصص لهم من ميزانيات كبيرة جدا فضلا عن بند المتفرقات، وباب الدعم وخاصة فيما يتعلق بالأدوية منوها بأن هذا الباب يفتح أبوابا شاسعة للفساد.

المجلس طالب بإعادة الميزانية إلى الحكومة لمراجعتها وإصلاحها والأخذ بملاحظات السلطة التشريعية حتى تعكس الميزانية أهداف الحكومة الحقيقية، مطالباً بترشيد الانفاق العام وتقليص الباب الثاني إلى تسعة مليارات دينار، والباب الثالث إلى 15 مليار دينار، والباب الرابع إلى 20 مليار دينار، أي بإجمالي 77 مليار دينار ليبي.

أحد أعضاء مجلس النواب، وأحد أعضاء اللجنة المشكلة لمراجعة الميزانية عبد المنعم بالكور أكد في تصريح لـ«القدس العربي» أن الميزانية ستعود لحكومة الوحدة الوطنية مع مهلة 10 أيام لتعديلها ومراجعتها وتقنينها موضحا بأنها لا يجب أن تتجاوز 79 مليار دينار كحد أقصى.

باب الدعم ومشاكله

تنفق الدولة الليبية سنويا على دعم الوقود والأدوية ما يقارب من 8 مليارات دينار، وقد تضاعف هذا الرقم بعد تعديل سعر الصرف، إلى 23 مليار دينار في الميزانية العامة للدولة، ما أرهق كاهل الدولة اقتصاديا وعطلها.

وتعتبر ليبيا من أرخص الدول نسبيا في سعر الوقود، حيث يقدر سعر اللتر 0.15 دينار، ويحتاج المواطنون إلى ثمانية إلى عشرة دنانير لملء خزان السيارة بشكل كامل بالوقود، وهو يعتبر مبلغا ضئيلا جدا.

سياسة دعم الوقود هذه ساهمت في تنمية تجارة التهريب، حيث ينشط تهريب الوقود خارج أسوار العاصمة طرابلس وخاصة في المناطق الجنوبية في البلاد، في ظل الفراغ الأمني الذي تعانيه المنطقة.

حكومة الوحدة الوطنية اتخذت قرارا جريئا أثار جدلا على مستوى واسع آلا وهو تشكيل لجنة لدراسة آلية رفع الدعم على الوقود أو استبداله نقدا، واللجنة مكونة من مندوبين من وزارات الاقتصاد والمالية والشؤون الاقتصادية، وقد باشرت فعليا عقد اجتماعات متتالية لدراسة هذه القضية.

مخاوف تتمحور حول عدم قدرة الدولة على الوفاء بالتزاماتها المتمثلة في البدل النقدي للدعم، حيث شهد المواطنون على تجارب مماثلة عند إقرار منحة الزوجة والأبناء وغيرها من المخصصات التي وضعت لإعانة المواطنين وتوقفت عن التدفق لسنوات.

مشكلة أخرى تواجه حكومة الدبيبة أثناء دراستها لقرار كرفع الدعم، حيث أن ليبيا لا تمتلك هيكلا وبنية تحتية لمواصلات عامة كباقي الدول في العالم، والموجود فيها هو فقط مجموعة من سيارات الأجرة وباصات النقل العمومي، والتي تستخدمها فئة بسيطة جدا، بينما يعتمد أكثر من 90 في المئة من المواطنين على سياراتهم الخاصة.

ملف رفع الدعم عن الوقود شائك ومليء بالمخاطر والمخاوف، حيث تحتاج الدولة إلى التفكير في حلول منطقية تخفف عن المواطنين وطأة تداعيات هذا القرار، ويبقى الرهان على الحكومة في الوفاء بدفع البدل النقدي للمواطنين أو توفير وسائل نقل متعددة، حال اعتمادها لهذا القرار.

توصيات ضرورية

الاقتصاد الليبي مع هشاشته الحالية يحتاج إلى إجراءات صارمة، ترفعه من القاع إلى القمة، أولها البحث عن مصادر بديلة للدخل بدل الاعتماد على النفط كمصدر وحيد لا ينضب ولا يتأثر بالحروب المتتالية والمشاكل اللوجستية.

وثانيها توفير العملة الأجنبية من المصادر الرسمية بلا قيود أو شروط، أو محاصصة، للقضاء على قوة السوق الموازية الذي تغول على قنوات الدولة الاقتصادية الرسمية وفاقها قوة في السيطرة على سعر ودقق الدولار.

أما ثالث الضروريات فهو توحيد المنظومة المصرفية بين الشرق والغرب والجنوب، والقضاء على أزمة المقاصة التي فصلت ليبيا إلى دولتين على المستوى الاقتصادي، وأرهقت المواطن في العمليات المصرفية.

دعم القطاع الخاص وتسيير عمله وإلغاء أي قوانين تقننه هو رابع هذه المحاور، حيث تعتمد معظم الدول حول العالم على القطاع الخاص، بل تخلق شراكات معه للنهوض باقتصاد الدولة ولإنشاء مشاريع على مستوى عال ولعل التجربة التركية أقرب وخير مثال تنتهجه ليبيا في دعم القطاع الخاص.

ارجاع الثقة بين المواطنين والمصارف من خلال توفير السيولة بشكل سلس، وبلا قيود، وتعزيز أنظمة الدفع الإلكتروني للقضاء على التضخم وللكتلة النقدية ولتقوية القوة الشرائية للدينار الليبية عقب سنوات من استقرارها عند القاع.

ويبقى الرهان موضوعا على السلطة التنفيذية الجديدة التي ستصنعها انتخابات كانون الأول/ديسمبر في عام 2021 لتتولى زمام الإصلاح الاقتصادي الشامل في الدولة وتقفل كافة الملفات الشائكة، أما على مستوى حكومة الدبيبة، فالذي تستطيع ان توفره الآن هو القضاء على انقسام المصرفين المركزيين وفتح المقاصة والحفاظ على سعر الدولار في السوق الموازي.

غزة: المهن الرمضانية تنقذ الشباب من براثن الفقر

إسماعيل عبدالهادي

لا يكاد يخلو شارع رئيسي في قطاع غزة من بائع أو أكثر للقطايف والعصائر الطبيعية والمخللات، وتزدهر جميع هذه الأكلات استثنائياً في شهر رمضان، كونها أطباق مفضلة تزين موائد الإفطار، كما أن كلفتها المادية في متناول كافة العائلات. ومع حلول شهر رمضان الكريم، تنتعش هذه المهن في قطاع غزة لتتصاعد آمال العاملين فيها بتحقيق دخل يساعدهم على توفير متطلبات الحياة القاسية.

في صبيحة كل يوم من أيام شهر رمضان، يبدأ بائع القطايف وليد العكلوك بترتيب بسطته في سوق مخيم جباليا شمال قطاع غزة، بتجهيز حلوى القطايف الرمضانية الشهيرة، استعداداً لبيعها للزبائن القادمين إلى السوق.

يقول العكلوك (53) عاماً والذي يعمل بصحبة أبنائه الثلاثة، الذين يجدون في رمضان فرصة رزق تعيل أسرهم، إن مهنة بيع القطايف متوارثة داخل العائلة، منذ قرابة 50 عاماً، و«نحرص على توريثها لأبنائنا لما في هذه المهنة من مصدر دخل وفير خلال الشهر قياسا صناعتها ببافي أيام العام».

ويقول لـ«القدس العربي»: «خلال شهر رمضان الفضيل، تعج الأسواق بالحاجيات المختلفة وتبرز أطعمة تعطي صاحبها فرصة جيدة في البيع، كالقطايف وفوانيس الأطفال والزينة، وبيع الخروب والمخللات ومهنة المسحراتي وغيرها من المهن».

ويضيف البائع، إن شهر رمضان شهر رزق وخير وبركة، فكثير من الشباب العاطلين عن العمل يجدون فرص واسعة لبيع كل ما يتعلق بطقوس الشهر الفضيل من أطعمة وزينة، وسط إقبال واسع على حركة الشراء سواء في الأسواق العامة أو المحال التجارية المنتشرة في شوارع القطاع.

الشاب وسيم عياد اعتاد أن يبيع منذ 5 أعوام المخللات في الأسواق المركزية المنتشرة في القطاع خلال شهر رمضان، حيث يزداد الإقبال على شراء هذه الأطعمة والتي تزين بشكلها الملون وطعمها موائد الصائمين.

ويقول وسيم (26) عاماً أن عمله في هذه المهنة مدر للمال، نظراً للإقبال الكبير بشكل يومي من قبل المواطنين لشرائها، على اعتبار أن المخللات من الأطعمة المحببة على السفرة الغزية وتعطي نكهة رائعة للأطعمة.

ويؤكد وسيم لـ«القدس العربي» أن مهنته وفرت لعدد كبير من الشبان مصدر رزق مؤقت خلال هذا الشهر، حيث يعمل معه 8 من الشباب العاطلين عن العمل موزعين على أسواق القطاع، يخرجون من ساعات ظهر كل يوم ويعودون مع ساعات الغروب، بما جلبوه من رزق وكذلك هو الحال طيلة أيام الشهر الفضيل.

وتعتبر العصائر الطبيعية كالخروب وعرق السوس والكركديه من المشروبات الرئيسية التي لا تغيب عن موائد الصائمين، نظراً لحرص الصائمين لتناول المشروبات الباردة خلال الشهر الفضيل.

يقول الشاب شوقي عامر إن العصائر تعتبر من المشروبات الأساسية للصائمين خلال شهر رمضان، فهي تحتوي على فوائد صحية تعوض النقص الذي يتعرض له الصائمون بعد ساعات طويلة من الصيام وتروي عطشهم.

ويوضح عامر لـ«القدس العربي» من فوائد عصير الخروب، أنه يحتوي على نسبة عالية من الألياف التي تحد من الإصابة بالإمساك، كما يحتوي على العديد من الفيتامينات الهامة للجسم كفيتامين (أ) الذي يحد من الإصابة بأمراض نقص المناعة، وارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم.

وقال المختص في الشأن الاقتصادي سمير حمتو، إن شهر رمضان يمثل فرصة عمل جيدة للبائعين لا يجدونها في الأشهر الأخرى، لأن الموطنين يحبذون بعض الأكلات والمشروبات خلال الشهر، وبالتالي يجد بائعوها فرصة لتحقيق الربح عبر بيع كميات أكثر.

وأضاف لـ«القدس العربي» إن «الانتعاشة التي تحدث في الأسواق خلال شهر رمضان، تعود بالفائدة على أغلبية القطاعات، وتعمل على دوران عجلة الاقتصاد المهترئة بفعل الحصار والوضع المتردي في قطاع غزة».

وبين أن الإقبال الكبير على العمل في تلك المهن، يأتي نتيجة ارتفاع معدلات البطالة والفقر في قطاع غزة بسبب الحصار والإنقسام، وفرص البيع تعني تقليل معدلات البطالة المنتشرة في غزة.

ويعاني قطاع غزة من أزمات عديدة على رأسها ارتفاع معدلات البطالة التي تتجاوز 58 في المئة، ليبلغ عدد العاطلين أكثر من ربع مليون، فيما ارتفعت نسبة الفقر لتصل إلى 75 في المئة، وزادت نسبة المواطنين الذين يعتمدون على المساعدات الغذائية.

مدن وآثار

قلعة دير كيفا الأثرية جنوبي لبنان سليلة التاريخ الحافل بالتحديات

عبد معروف

قلعة دير كيفا سيدة المعالم الأثرية المتربعة بين تلال جبل عامل في جنوب لبنان، سليلة التاريخ الحافل بالتحديات، العاصية على الدهر، المتمردة على العوامل الطبيعية والاحتلال من المماليك وصولا إلى الاعتداءات الإسرائيلية التي دمرت معلمها وعبثت في هندستها وعمرانها منذ العام 1976 حتى العام 2006 حين دكت حصونها بالمدفعية وبصواريخ الطائرات الثقيلة. إلا أن هذه القلعة ظلت تحتضن تاريخا طويلا من التراث المدفون بين التراب والحجارة والركام يحاكي أهمية وعظمة هذا المعلم الذي يرى فيه الكثيرون ضرورة لإبقاء الذاكرة حية ولو عبر حجارة تحاكي قرونا من الزمن.

وقلعة دير كيفا هي إحدى القلاع الصليبية المبنية على بقايا قلعة فينيقية وتقع في شمال غرب بلدة دير كيفا قرب مدينة صور اللبنانية. ويطلق عليها تاريخيا اسم قلعة مارون، القائد الصليبي الفرنسي الذي جدّد بناءها.

وللقلعة سبعة أبراج دائرية ضخمة، وقد إنهارت بعض أجزائها بفعل الزمن.

بنيت قلعة دير كيفا على تلة جبلية، من قبل آرام بن يعقوب، تجاورها السهول الزراعية، وكانت القلعة تجارية أكثر منها سكنية كما تقول وثائق المكتبة الوطنية للبحوث والإنماء في بيروت، التي تشير إلى أن القلعة أعيد ترميمها وبناءها خلال حكم الصليبيين، وتطل على قلاع الشقيف يارون وتبنين، ونشأت بينهم علاقة تجارية وعسكرية.

12 برجا

تتألف قلعة دير كيفا من ثلاث طبقات وتمتد على مساحة عشرين ألف متر مربع، فيها أربعة ينابيع، و12 برجا بعضها دائري آرامي كنعاني وبعضها مربعة صليبية، وبداخلها صالات رياضية وأخرى للاجتماعات وتحوي قصر الملك ناحية الغرب وأقبية تأخذ الشكل المربع، وتزاوج بين حضارة الكنعانيين والآراميين والبيزنطيين، ومكث فيها المسيح عليه السلام. وكانت بلدة دير كيفا تعتبر من القرى العشر التي أهداه أياهم حيرام ملك صور.

الوصول إلى قلعة دير كيفا أو كما يطلق عليها قلعة مارون أشبه بمغامرة ممتعة. طريق وعرة يتوجب تسلقها للجلوس في كنفها، ويتوجب توخي الحذر في رحلة اكتشاف قلعة جميلة، تظهر معالم قناطرها المتبقية روعة البناء الذي تصارعت عليه الحضارات. أسوار مهتزة منزوعة الشكل، مساحة شاسعة تقطعها ليطل ما تبقى من قناطر تزاوجت مع نبات الصبار، وتداخلت مع جدران المنازل. وأكثر ما يجلب الانتباه هي تلك الشجرات المزروعة في صالات الرياضة داخل القلعة، كما يلفت الباحث في الحضارات البيولوجية والجيولوجية والإثنولوجية موسى ياسين الذي أشار إلى أنه لم يعد المكان ذاك الذي كان قبل 2100 سنة. اختفت قاعات الرياضة الواسعة وضاعت القاعات الثقافية وانتفت الأسواق التجارية التي كانت تعج بالزوار الذين يأتون من مختلف القرى لبيع بضاعتهم من العنب والتين والنبيذ، وذهبت أدراج الرياح المدابغ ومصابغ الجلود حتى الأبراج الدائرية العالية قضمها الإهمال ويهددها بالانزلاق.

تحاكي طبقات القلعة الثلاث حضارات تعاقبت عليها، الطابق الأرضي يشير إلى صليبية طابعه، والانقاض التي في أسفله إلى الحقبة الفينيقية. الطابق العلوي حديث العهد جدّد بناءه الشيخ النصار، ويتوزع بين أقبية وآبار وبيوت حجرية، إنهار معظمها، وطمر بعضها. ويحوطها سور منيع بارتفاع ستة أمتار وعرض مترين، وينتصب عند كل زاوية من زواياه السبع، برج مستدير يبلغ قطره ثمانية أمتار، أو أكثر، في داخله قبو يستخدم مهجعاً للحراس، فضلاً عن الأقبية التي استُعملت كسجون لعقود خلت. وهنا يشير ياسين إلى أنه هناك صلة ما بين القلعة ومغارة النفاخية المكتشفة حديثا التي تبعد عن القلعة بضع مئات من الأمتار ويرجح وجود نفق بين الأثنين ويعيد الامر إلى الحمض الكبريتي الذي عثر عليه داخل المغارة.

أقبية وخانات مدمرة

وتبلغ مساحة القلعة 17 ألف متر مربع وتتألف من ثلاثة طوابق، تحتوي على العديد من الأقبية والخانات المدمرة والغرف وبيوت حجرية متعددة وإسطبلات الخيول والسجون والملاعب والباحات ومخازن القمح، ينتشر فيها 365 بئرا لتجميع المياه، وكان فيها 4 ينابيع قد جفت منذ سنوات.

يبلغ ارتفاع سورها من 6 إلى 12 مترا بعرض مترين، لها سبع زوايا على كل منها برج مراقبة نصف دائري بقطر 8 أمتار يستعمل للحراسة والقنص والدفاع. ترتفع عن سطح البحر 400 م. وتطل على العديد من البلدات: من الشرق جبل مارون وبلدة برج قلاوية، من الجنوب بلدة دير كيفا، من الشمال صريفا والنفاخية ومن الغرب الأودية حتى البحر.

يقوم البارز من قلعة دير كيفا على سلف فينيقي سقط حصنه بيد الصليبيين عام 1124م. وقد منحها موقعها على تل مرتفع يتوسط جيرة من الأودية، والسور الضخم الذي يلفها مع الأبراج العالية، منعة أمام كل الغزاة، فاستحالت عليهم، حتى سقطت بيد المماليك بقيادة السلطان قلاوون، الذي حاصرها سبعة أيام واستولى عليها وهدمها عام 1289م حتى لا تتحصن فيها فلول الصليبيين.

وظلت القلعة على حالها حتى سنة 761م عندما جدّد بناءها الشيخ عباس محمد النصار الوائلي، حاكم صور ومنطقتها إبان الحكم العثماني (1750م). إذ ولّى عليها أخاه الشيخ حمزة الذي جعلها ثكنة له ومسكناً لعائلته. ثم أهلها الشيخ عباس الوائلي وتوارثها أبناؤه وأحفاده، منهم الشيخ كايد بندر والشيخ عبد الله والشيخ رضا الركيني وولده الشيخ حيدر.

معالم قلعة دير كيفا وتاريخها تؤكد عظمتها وقيمتها التي تتحدى كل العوامل الطبيعية والعدوانية والإهمال والتقصير حيث لم يبق من غرفها المتناسقة الانحناء إلا ما ندر في القسم الشرقي والشمالي. وتنتصب ثلاثة أبراج متشابهة الارتفاع متناسقة التوزيع تفصل بينها جدران تتوازى معها في الارتفاع والشكل. ورغم الأعشاب والدمار، تلاحظ القاعات الهندسية في وسطها الحصن. ويرتفع بين البرجين الشمالي والجنوبي جدار شاهق يلتقي وسطه في زاوية أكثر ارتفاعا. وبين هذه القاعات أقبية القسم الغربي وهي واسعة منحنية السقوف مرتفعة الجدران متصلة بعضها البعض، غطى الردم أجزاء منها وتطل نوافذها الطرق المحيطة بها غربا وصولا إلى البحر. وفي العديد من الغرف، تطل من كوة سقف علك تهتدي إلى مدخلها ولا تستطيع. بعدها تضيع في أرجاء القلعة لاتساعها وكثرة الممرات والغرف التحتية والفوقية والجدران والعقود، إضافة إلى بئر هنا وآخر وثالث، مما يؤكد الرواية التي تتحدث عن 365 بئرا، بالإضافة إلى فتحات السجون التي تتشابه مع الآبار وتنتشر على مدى المساحة الواسعة للقلعة والإسطبلات وغيرها. وفي أرجائها تنتشر عتبات أبواب ونوافذ بعضها مستقيم، وأخرى من أقواس أو قناطر لا تزال تحمل في خبايا حجارتها رشاقة قديمة.

مبادرة محلية لترميم القلعة

ويؤكد رئيس بلدية دير كيفا، حسن زيتون أن ترميم القلعة وتأهيلها يحتاج إلى مبالغ مرتفعة، نظرا لامتدادها الجغرافي والعمراني الواسع ولسوء حالتها الهندسية وتصدع أبنيتها وكثرة تراكم الردم وحجمه الكبير.

لافتا إلى أن البلدية طالبت وزارة الثقافة اللبنانية أكثر من مرة الاهتمام بالقلعة كمعلم سياحي وتاريخي وتراثي و«إلى اليوم لم نجد أي تجاوب أو اهتمام بحجة أن الظروف المالية والاقتصادية التي يمر بها لبنان لا تسمح بترميم القلعة وأن الأموال غير متوفرة». وشدد على أن البلدية أطلقت مبادرة محلية لترميم وتأهيل القلعة من موازنتها، وتم إعادة بناء السور الجنوبي الذي يبلغ طوله ستين مترا بارتفاع ستة أمتار مستخدمين نفس الأحجار. كذلك تم ترميم برجين مربوطين بالسور بمواصفات معمارية وهندسية تحاكي باقي أقسام القلعة وذلك بتمويل من صندوق البلدية بالرغم من الكلفة العالية. كما وقامت البلدية ببناء ممرات داخلية في القلعة وتلقت تمويلا ودعما من اتحاد بلديات قضاء صور عبر جمعية TNT مشروع التشبيك المناطقي لتعزيز السياحة المستدامة في دول حوض المتوسط، الممول من الاتحاد الأوروبي لتنفيذ مشروع بناء ممرات حجرية وخشبية وحواجز حماية داخل القلعة وعلى أطراف المناطق العالية فيها، من أجل تأمين سلامة الزائرين لها نظرا لوجود آبار كثيرة في باحاتها، إضافة إلى بناء بوابة للمدخل الرئيسي من الخشب القديم تتناسب والشكل التاريخي للقلعة. كما قدم مجلس الجنوب اللبناني مشروع إنارتها في العام 2015.

وأوضح الأستاذ الجامعي الدكتور وليد حجازي من أبناء بلدة دير كيفا لـ«القدس العربي» أنه بعد الترميم الجزئي والبسيط وإنارة الأسوار ومداخل القلعة، وفد إليها العديد من الجمعيات الأهلية والتربوية وبالأخص طلاب من مدارس النبطية وصيدا وبيروت، وعدد من ضباط وجنود «اليونيفل» من الكتيبة الفرنسية والإيطالية والفنلندية ولم يخفوا إعجابهم باتساعها وكبر مساحتها وأسفهم على إهمالها وعلى ما آلت اليه.

وأضاف: «في العام 2007 عندما ضربت الهزات المتكررة البلدات القريبة من دير كيفا، تأثرت جدران القلعة وتشققت وتصدعت فزارها لهذا السبب وللمعاينة وفد من الهيئة العليا للإغاثة برفقة محافظ جنوب لبنان وفعاليات ومؤسسات معنية، وأطلقوا الوعود بالترميم. وفي السنوات الماضية قمنا بحمايتها من الباحثين والمنقبين والمعتدين ولصوص الآثار، ومنع تشييد أي بناء بالقرب منها يرتفع ويغطي وجهتها».

وناشد السلطات والدوائر المعنية في الدولة اللبنانية الإسراع بترميم القلعة إسوة بباقي القلاع والحصون والمعالم الأثرية لحفظها وبقائها وديمومتها وازدهار المنطقة.

وقال: «تعتبر قلعة دير كيفا من أقدم قلاع لبنان وأكبرها مساحة في جنوب البلاد، رفع أعمدتها وأنقاضها الصليبيون وجعلوها نقطة حماية عسكرية لمدينة القدس في فلسطين التي تبعد عنها عشرات الكيلومترات. وخلال الحروب دمرت أقسام كبيرة منها، وأعاد ترميمها القائد الصليبي الفرنسي ميرون وسماها باسمه. وبعد سنين سقطت بيد السلطان المملوكي قلاوون وهدمها عام 1289 ميلادي كي لا تحتمي فيها الفلول الصليبية. بعدها جدد بناءها الشيخ عباس محمد النصار الوائلي ابان الحكم العثماني عام 1761 وجعلها ثكنة عسكرية ومسكنا لعائلته وتوارثها ابناؤه وصولا إلى الشيخ كايد بدر».

قلعة دير كيفا الآرامية الكنعانية، التي عصت على الجيوش الصليبية والمماليك والبيزنطين، تستريح اليوم من طنين الأمس، وعجقة الذكريات، لتحكي قصتها مع التاريخ الذي يحاول أن يغازل المكان الأثري.

رياضة

هل خسر فلورنتينو بيريز الحرب العالمية الثانية لكرة القدم؟

لندن – «القدس العربي»:
عادل منصور

قُرعت طبول الحرب العالمية الثانية لكرة القدم، بعد البيان المشترك لأندية النخبة الـ12 في إسبانيا وإيطاليا وإنكلترا، للكشف عن نواياها بشكل رسمي في الانفصال عن سلطة الاتحاد الأوروبي لكرة القدم، بالاتفاق على تأسيس رابطة السوبر ليغ، تمهيدا لتنظيم بطولة في ما بينهم تحمل نفس الاسم، لتكون طوق النجاة من مقصلة الإفلاس وصداع الديون والخسائر الفادحة في زمن كورونا، وذلك على حساب عبق وتاريخ دوري أبطال أوروبا.

فلورنتينو بيريز

إذن الحرب

حاول رئيس اليوفيا الكسندر تشيفيرين، أخذ ضربة استباقية لوقف الانقلاب الذي يُحاك في الخفاء ضد المؤسسة الأوروبية العريقة، بقائمة عريضة من التهديدات للأندية المنشقة، وصلت لحد التلويح بالتجميد المحلي والقاري والعالمي، بجانب تهكمه على رئيس يوفنتوس أندريا أنييلي، واصفا إياه بالكاذب والمخادع، لتحايله على المسؤولين في اليويفا، رغم منصبه المرموق في المؤسسة، لكنه لم يتوقع أبدا أن يأتي الرد من رئيس ريال مدريد فلورنتينو بيريز، الذي قرر فجأة وبدون سابق إنذار نزع الوجه الدبلوماسي المعروف عنه، في ظهوره النادر مع صديقه الإعلامي جوسيب بيدرول في برنامج «الشيرنغيتو»، الذي اعتبره وسائل الإعلام العالمية بمثابة الإعلان الصريح لبدء حرب النفوذ والوجود بين بيريز واليويفا ورئيسه، استنادا لاقتباسات المهندس المليارديرـ ورسائله الحادة لرئيس اليويفا، والتي كان مفادها، أنه كما نجح الرئيس الأسطوري سانتياغو بيرنابيو في تنفيذ فكرة كاتب صحيفة «ليكيب» غابريال هانوت، بإقامة بطولة تضم نخبة أندية القارة العجوز بعد 10 سنوات من الحرب العالمية الثانية، رغما عن اليويفا والفيفا وبعض المؤسسات التي كانت ترفض الفكرة آنذاك، فسينتهي النزاع الحالي بانتصار فكرة السوبر ليغ، لاعتقاده بأن اللعبة في أمس الحاجة للتطوير، ليعود الشغف والإثارة مرة أخرى، بعد عزوف جزء كبير من الشباب عن مشاهدة المباريات المملة، ورغم أن ردود الأفعال في اليوم التالي، أظهرت أن الثعلب السبعيني خسر الرهان، بعد «ربيع جمهور تشلسي»، الذي أجبر النادي على أخذ خطوة إلى الوراء، بإعلان بيان الانسحاب من تحالف السوبر ليغ، وما تبعه من سلسلة الانسحابات، التي شملت الجميع باستثناء أصحاب العقول المدبرة للفكرة ريال مدريد وبرشلونة ويوفنتوس، لكن من الصعب التسليم بأنه خسر الحرب، أو على الأقل لم يحقق جزءا كبيرا من أهدافه، والدليل على ذلك، تسريب مغازلة اليويفا للكبار، برفع ميزانية الكأس ذات الأذنين إلى نحو 6 مليار يورو في المواسم المقبلة، بخلاف التعديل الإيجابي في نظام البطولة، بما يخدم الأندية والمشاهد، منها زيادة عدد مباريات الفرق، وبالتالي رفع الجوائز والمكافآت، ومنها أيضا رفع مستوى المنافسة، وذلك بطبيعة الحال لقطع الطريق على فكرة السوبر ليغ أو أي بطولة أخرى في المستقبل.

عصر جديد

الشيء المؤكد والذي يصعب الاختلاف عليه، أن قنبلة فلورينتينو بيريز، أنذرت بثورة قادمة لا محالة في شكل ومنظومة كرة القدم في ما تبقى من هذا القرن، وحتى لو افترضنا جدلا أن محاولة انقلاب العمالقة الـ12 لم تنجح في الوقت الراهن، لكنها ستبقى قائمة وقابلة للتنفيذ في أي وقت، سواء من قبل المنشقين الأوائل أو يستغل اليويفا الفرصة، ويقوم بتنفيذها بشكل أو بآخر، على طريقة تسويق أحمد حلمي في فيلم «جعلتني مجرما»، «كل نفسك قبل ما حد ياكلك»، أو كما فعل الأجداد في الخمسينات، بتبني واعتماد فكرة كأس أوروبا للأندية أبطال الدوري بشكل رسمي، قبل 30 يوما من إقامة أول مباراة في تاريخ البطولة بين سبورتنغ لشبونة البرتغالي وبارتزان بلغراد اليوغسلافي آنذاك، وبوجه عام، يمكن القول إن بيريز وحاشيته نجحوا في تمرير رسالتهم الأولى، وبدون مبالغة خرجوا بمكاسب فاقت توقعاتهم، أبسطها جس نبض الشارع الكروي والحكومات، إلى جانب تحريك ورقة «كش ملك» للمؤسسة الأوروبية، لإسراع وتيرة تطوير وإصلاح البطولة القارية الكبرى، وقبل هذا وذاك رفع عوائد وجوائز ذات الأذنين، مقابل وقف التلويح بالسوبر ليغ حتى إشعار آخر. وما يعزز صحة هذه الافتراضية ما قاله «عرّاب» الفكرة في حديثه الأخير مع إذاعة «كادينا سير»، بشأن إمكانية التفكير في مشاريع أخرى في حال سقطت فكرة السوبر ليغ، كإشارة واضحة إلى أنهم في الرابطة الجديدة، لم يتركوا أي شيء للصدفة، بوضع خطط بديلة على ردود الأفعال وحالة الغضب المتوقعة بعد استقبال الصدمة الأولى، أو أنها مجرد محاولة انتهازية للوقت والموقف، بوجود ريال مدريد وتشلسي ومانشستر سيتي في نصف نهائي دوري أبطال أوروبا، مع اقتراب فصل الصيف، للضغط على اليويفا والحكومات، لتقديم ما يكفي من دعم وتسهيلات لعمالقة كرة القدم، كمساهمة لتخفيف حدة الخسائر الناجمة عن جائحة كورونا، كما فعلت الحكومات وغيرها من المؤسسات مع ألعاب ومجالات أخرى، إلا أندية كرة القدم، التي بدأت تلامس خطر العقوبات والإفلاس كما حدث مع ميلان قبل سنوات، في ظل الالتزام بدفع رواتب النجوم ونصف الموظفين، بعد طرد النصف الآخر، وأقساط الديون المتراكمة، في الوقت الذي تقتصر فيه موارد الدخل على عوائد البث التلفزيوني فقط، وذلك للعام الثاني على التوالي بسبب إجراءات كورونا الاحترازية.

لعبة المليارات

إذا أردنا وضع عنوانا لكتاب عن ثورة بيريز على اليويفا، لن نجد أفضل من «المال أو الانقلاب» مع صورة للرجلين في صدر الكتاب وبينهما عملات «بيتكوين»، وإن أمكن وضع وجه رئيس الوزراء بوريس جونسون في وضع المترقب، وذلك بعد ظهور حرص الجميع على المليارات، وكانت البداية برئيس نادي القرن الماضي، الذي قال بوضوح وكل شفافية «المال أهم شيء»، كيف لا وهو يستقوي على الجميع بأرقام ومبالغ مفزعة، تجعله لا يبالي بأي عقوبة محتملة من قبل اليويفا أو حتى الاتحادات المحلية، إذا لم تحدث استجابة فورية، بجلوس أصحاب القرار في الاتحاد الأوروبي والدولي مع المنشقين الثلاثة، الذين يتصدرون المشهد بعد الانسحاب، غير الرسمي للآخرين، لاقتراح آليات وأفكار جديدة من شأنها أن تساعد الأندية الكبيرة على تجاوز خسائر كورونا، وبالتبعية عودة الحياة إلى الميركاتو. ولأنها لعبة مليارات ومحاولة لتوحش الرأسمالية في صناعة محتوى كرة القدم، لاحظنا دفاع رئيس الحكومة البريطانية المستميت عن منتجه المحلي «البريميرليغ»، لدرجة التعهد بفعل أي شيء لعرقلة مخطط السوبر ليغ، ولنفهم السبب، علينا العودة إلى دراسة أجرتها شركة «YE» الإعلامية البريطانية عن تأثير الدوري الإنكليزي الممتاز على اقتصاد البلاد، باعتباره واحد من أهم مصادر الدخل في الناتج المحلي، بضخ 8 مليارات وتوفير 100 ألف فرصة عمل بشكل مباشر وغير مباشر، فضلا عن جذب أكثر من نصف مليون سنويا لمشاهدته، كأهم قوة ناعمة حقيقية للحكومة، وهذا يفسر موقف بوريس جونسون المعارض للفكرة برمتها، خوفا من ظهور منتج آخر يخطف الأنظار والاستثمارات الضخمة في البريميرليغ، وهذا ليس مستبعدا، مع موت المنافسة إكلينيكيا على اللقب وما يُعرف المراكز المؤهلة للبطولات القارية، بضمان ترشح ستة دائمين للبطولة التي تجلب مئات الملايين، بينما الآخرون يلعبون لا لهدف، إلا المحظوظ الذي سيقع عليه الاختيار لمرافقة النخبة الـ15، في بطولتهم المكونة من 20 نادياً، فيما يمكن اعتباره «أمركة كرة القدم»، بتحويل الكرة في أوروبا إلى مشروع (NBA) جديد، وهذا في حد ذاته، يمثل أقوى تهديد لتشيفيرين ومؤسسة اليويفا، إذا لم يحدث تدخل بأثر فوري، لإعادة توزيع حصص المكافآت والمشاهدات التلفزيونية، بمراعاة نسب المشاهدة بين العظماء، الذين يتابعهم المليارات حول العالم، وبين ممثلي الدوريات المغمورة.

هل خسر بيريز حلفاءه؟

نعرف جميعا أن كل الأندية أعلنت عبر مواقعها الرسمية، انسحابها من تشكيل السوبر ليغ، باستثناء الثلاثي الريال والبارسا واليوفي، لكن بحسب رئيس الريال، فحتى الآن لم يتقدم أحد بطلب رسمي للتوقيع على الخروج من الاتفاقية، تأكيدا للتسريبات، التي اعتبرت هذه الانسحابات مجرد «حركة متفق عليها»، لتهدئة الرأي العام، بعد موجة الغضب الأولى، لتمسك هذه الأندية بتحقيق حلمها ولو بعد حين، والذي سيبدأ بجني 350 مليون يورو بمجرد التوقيع على عقد المشاركة في البطولة المستقبلية، وسترتفع المبالغ لأكثر من الضعفين، 800 مليون، مع الانتقال إلى مراحل خروج المغلوب، ولنا أن نتخيل أن ناديا مثل بايرن ميونيخ، لم تتخط أرباحه وجوائز المكافأة بالأبطال حاجز الـ150 مليون يورو، لذا يمكن القول، إن رئيس الريال لم يخسر كل حلفائه بشكل رسمي، على الأقل إلى أن يُفَعل المنسحب بند الخروج، بدفع المبلغ المتفق عليه، كما أقر بيريز في المقابلة الصحافية الأخيرة، وفي كل الأحوال، لن يخرج من المعركة خاسرا حتى لو تبخر حلم تنظيم بطولة المليارات، وهذا سنلاحظه في الامتيازات التي ستتحصل عليها الأندية من قبل اليويفا والاتحادات الحكومات المحلية.

وعلى عكس التهديدات غير الموفقة التي لوح بها تشيفيرين في بداية المعركة، والتي على ما يبدو أنها انقلبت ضده، ومن حسن حظه، أن جمهور تشلسي تدخل في الوقت المناسب، ليحصل على وقته الكافي، للدفاع عن نفسه، بعد سهام فلورنتينو الجارحة، التي وضعته في موقف لا يحسد عليه، منها مثلا وصف اليويفا بالمؤسسة الاحتكارية البعيدة عن الشفافية والوضوح، اعتراضا على نظام توزيع حصص البث والمكافآت، من منطلق صعوبة مساواة ريال مدريد أو برشلونة أو مانشستر يونايتد بأحد فرق شرق أوروبا أو الدوريات التي لا يشاهدها إلا سكانها المحليين، فاتحا المجال لتعزيز الاتهام القديم لتشيفيرين ومن قبله ميشيل بلاتيني، بشراء أصوات الدول الصغيرة في انتخابات الجمعية العمومية مقابل امتيازات في شكل زيادة فرص أندية ومنتخبات تلك الدول في التواجد في دوري مجموعات أبطال أوروبا واليورو، وذلك على حساب الأندية الكبيرة التي ساهمت في وصول دوري الأبطال إلى ما هو عليه الآن، كأفضل وأشهر بطولة قارية على مستوى العالم، هذا ولم نتحدث عن اتهام بيريز الصريح لنظيره في اليويفا، في ما يخص التكتم على رواتب الرئيس والموظفين والطريقة التي تدار بها مليارات المؤسسة، وذلك بلهجة «صاحب المال»، لقناعة بيريز بأنه يتحدث بلسان المجموعة التي يتابعها 4 مليار مشجع حول العالم، ولولا تواجدهم في الأبطال، لما تعاظمت ثروة الاتحاد الأوروبي بهذه الطريقة.

التظاهرات خارج ملعب تشلسي ساهمت في انسحابات الاندية الانكليزية من المشروع

تشيفيرين رئيس الاتحاد الاوروبي لكرة القدم

حلول ودروس

واحدة من العبارات الرنانة التي أدلى بها فلورنتينو بيريز في مقابلاته الأخيرة «أؤكد للجميع لن يتم إقصاء ريال مدريد من دوري الأبطال»، ردا على تهديدات تشيفيرين والشائعات التي تتحدث في هذا الأمر، واستند بموقفه إلى اللوائح والقوانين، لكن هناك أشياء أخرى فضل التحفظ عليها، منها نفوذه وعلاقاته التي تمنع توقيع هكذا عقوبات على النادي الأشهر عالميا، وأيضا لتعارض قرار إقصاء الميرينغي من الأبطال مع مصالح الاتحاد الأوروبي، خوفا من انسحاب الرعاة والشركاء، الذين يضخون الأموال لاستغلال وجود العلامة التجارية لريال مدريد في البطولة. وأخطر من هذا وذاك، موقف رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم جاني انفانتينو الغامض، وإن جاز التعبير يمكن وصفه بالمطاطي، كما يتجلى في البيانات الرسمية التي تحمل أكثر من معنى، الاسم فقط أنها تدعم اليويفا، لكن في نفس الوقت تطالب بجلوس كل الأطراف لإيجاد صيغة للخروج من هذا المأزق، وهذا الموقف فتح الباب على مصراعيه لتوجيه أصابع الاتهام لرئيس الفيفا، استنادا لتصريحاته التي أدلى بها الشهر الماضي أثناء زيارته للكونغو الديمقراطية، التي اقترح خلالها إقامة «السوبر الأفريقي» بمشاركة أندية النخبة الـ20 في القارة السمراء، كفكرة لمشروع طويل الأجل لتطوير الكرة في القارة، وفي نفس الوقت لتحسين مداخيل الأندية، بجني 20 مليون دولار من عوائد البث، بدلا من المبالغ الهزيلة التي تتحصل عليها الأندية الأفريقية في الوقت الراهن.

فهل تعتقد عزيزي القاري اقتباس نفس المسمى «السوبر ليغ» الأوروبي مجرد صدفة؟ أم مخطط لزيادة تحكم المال في اللعبة في السنوات المقبلة؟ على كل حال، كل ما سبق سيشكل ضغطا على رئيس الاتحاد الأوروبي لامتصاص غضب الجبابرة الكبار، برفع نسبتهم في المكافآت وعوائد البث بداية من النسخة الجديدة، حتى لو اضطر لسحب جزء من أصول اليويفا الثابتة في البنوك، أما ما يخص عودة الإثارة والشغف، فمن السهل استنساخ فكرة «السوبر ليغ» بالعودة إلى نظام دور المجموعات في دور الـ16، ذاك النظام الذي استمتع به عشاق اللعبة في نهاية التسعينات وحتى السنوات الأولى في الألفية، لتقليل عدد مباريات الأندية، بعد تزايد الشكاوى من إصابات اللاعبين وإرهاقهم، خصوصا في المواسم الزوجية التي تنتهي باليورو أو كأس العالم، ولو عدنا إلى الوراء، سنتذكر أن هذا النظام، كان يقدم محتوى أكثر متعة وجودة من النظام الحالي، وذلك بمشاهدة أكبر عدد من مواجهات الأندية الكبيرة مع بعضها في دور الـ16، خصوصا المجموعات التي كانت تضم 3 أندية كبيرة، وأحيانا كانت هناك مجموعات 4 فرق من الوزن الثقيل، وهذا تقريبا ما يطالب به بيريز، لإصلاح عيوب البطولة الكبرى، ولو أن هذا لا يعفي مسؤولية الأندية وضرورة تعلمها من الأخطاء التي أدت إلى تفاقم أزمتها المادية، خصوصا الثلاثي الأكثر ضررا يوفنتوس وريال والبارسا، الذي يدفع ثمن شطحاته في العقد الأخير، شاملة المغامرة برواتب تفوق ميزانية والدخل الثابت، إلى جانب إهدار الملايين في صفقات مخيبة للآمال، على عكس مثلا الأندية الإنكليزية التي لم تتأثر كفيرها بجائحة كورونا، وذلك بفضل التوجيه الجيد للمال، فهل سنكون على موعد مع تغييرات جذرية في عالم كرة القدم؟ أم ينفذ تشيفيرين تهديده ويحرم المتمردين الثلاثة الواضحين من المشاركة في الأبطال الموسم المقبل ومعها تنتهي محاولة الانقلاب؟ دعونا ننتظر لنرى من ستكون له اليد العليا في هذه الحرب الباردة.

ماذا سيفعل جوزيه مورينيو بعد طرده من توتنهام؟

لندن – «القدس العربي»:

مر خبر إقالة جوزيه مورينيو من تدريب توتنهام، مرور الكرام سواء في وسائل الإعلام العالمية أو عالم «السوشيال ميديا»، ليس فقط لانشغال الجميع بمحاولة الانقلاب الفاشلة على الاتحاد الأوروبي لكرة القدم، بل أيضا لانتهاء عصره الذهبي وأيامه الخوالي كمدرب، نتيجة تدهور أوضاعه في السنوات القليلة الماضية، من ذاك «السبيشال وان»، الذي مع نجوم الزمن الجميل، الذين كانوا على أتم الاستعداد لتلبية نجاحاته في أي مكان، وتفرد له وسائل الإعلام الصفحات للحديث عنه، إلى مدرب تجاوزه الزمن، لإصراره على نهجه وأفكاره القديمة، التي لم تعد مناسبة لجيل «آيفون».

كلاكيت ثالث مرة

تشبث المدرب البرتغالي بمكانه ضمن فئة النخبة في أوروبا على مدار 10 سنوات، حقق خلالها نجاحات مدوية، أبرزها معجزة الفوز بدوري أبطال أوروبا مع بورتو عام 2004، وأيضا ثلاثيته التاريخية مع الإنتر عام 2010، بخلاف ألقابه المحلية في إنكلترا وإسبانيا مع تشلسي وريال مدريد، لكن سرعان ما تبدلت أوضاعه في نهاية ولايته الثانية مع البلوز، تحديدا في موسمه الثالث 2015–2016، الذي استهله بنتائج كارثية، وصلت لحد الاكتفاء بأربعة انتصارات في أول 16 مباراة، الأمر الذي أجبر النادي اللندني على إقالته، منها لإنقاذ موسم الفريق قبل فوات الأوان، ومنها لإطفاء نار الفتنة المشتعلة داخل غرفة خلع الملابس، بعدما فقط السيطرة على غرفة خلع الملابس، لكثرة مشاكله وصدماته مع اللاعبين، قبل حتى أزمته الشهيرة مع الطبيبة إيفا كارنيرو.

وتكررت نفس المأساة في تجربته مع مانشستر يونايتد، التي حاول خلالها تصحيح صورته الباهتة مع أسود غرب لندن، ورغم البداية الجيدة نوعا ما، بالفوز بالبوربا ليفو وكأس الرابطة في الموسم الأول، إلا أنه لم يترك أي بصمة حقيقية على مدار عامين ونصف العام، ليواجه نفس مصيره مع تشلسي، بالإقالة من منصبه قبيل أيام من عيد ميلاد 2018، وأيضا لسوء النتائج وفشل نظرية «العالم ضدنا»، التي كانت تؤتي ثمارها في الماضي مع نجوم الزمن الجميل، الذين كانوا على أتم الاستعداد لتلبية نجاحاته دفاعا عن مورينيو، كما قال أيقونة دفاع الإنتر وإيطاليا ماركو ماتيراتزي، والعكس تماما مع نجوم وعقليات الجيل الحالي، والدليل خلافاته الحادة مع عدة لاعبين، منهم بول بوغبا ولوك شو وأنتوني ماريسيال وماركوس راشفورد، والتي كانت سببا في انتهاء رحلته مع الشياطين الحمر. مع ذلك، قامر رئيس توتنهام دانيال ليفي، بإسناد المهمة لمدرب تطغى عليه مؤشرات الدخول في سن الياس التدريبي، أملا في تحقيق ما عجز ماريسيو بوتشيتينو عنه، بإعادة سبيرز إلى مناطق التتويج للمرة الأولى منذ 2008، لكن كما توقع العديد من النقاد والمتابعين، لم تسر الأمور كما خطط لها ليفي، ليضطر في النهاية لإقالة المدرب بعد 17 شهرا من تعيينه، فيما تعتبر أقصر وأفشل تجربة لجوزيه في مسيرته خارج وطنه، تأكيدا أنه فقد الكثير من مقاومات العمل في أعلى مستوى تنافسي في كرة القدم، على الأقل في الوقت الراهن.

أسباب الطرد

بالنظر إلى الأسباب التي عجلت بانتهاء رحلة مورينيو في الجزء الأبيض لشمال لندن، سنلاحظ أنها لا تختلف كثيرا عن أسباب خروجه من الحي الغربي الراقي باللاعبين، وهذا تجلى في تصريحاته العدائية ضدهم، على غرار تلميحاته حول وجود مؤامرة بعد الإذلال الكبير أمام دينامو زغرب في اليوروبا ليغ، وآنذاك قال جملته الشهيرة: «لم نقدم حتى أساسيات الحياة»، وتبعها بكلماته القاسية بعد السقوط أمام البونايت بالثلاثة في الجولة الـ31، تلك المباراة التي خرج منها مورينيو برقم للنسيان، بالتجرع من مرارة الهزيمة العاشرة على مستوى البريميرليغ، وهو أمر لم يحدث معه طوال مشواره التدريبي، وفي نفس الوقت، يوضح أن سلسلة النتائج والعروض المخيبة للآمال، التي انتهت بالحصول على نقطتين فقط من ثلاث مباريات خاضها الفريق بعد عودة اللاعبين من عطلة مارس/آذار الدولية، كانت واحدة من الأسباب التي قضت على مشوار أفضل مدرب في العالم سابقا، مع السبيرز، فضلا عن كارثة الهبوط الحاد في إحصائياته وبياناته على صعيد البريميرليغ، منها مثلا تراجع نسبة الفوز لـ46.6% فقط من مباريات مع الأبيض اللندني، مستمرا في نفس تاريخه الذي كان يتفاخر به قبل بداية الانتكاسة في موسم 2015–2016، بهبوط نسبة انتصاراته في الدوري الأكثر شهرة في العالم إلى 48.5% منذ ذاك الحين، مقابل 69.4% قبلها، ونفس الأمر ينطبق على معدل تسجيل الأهداف واستقبالها مع تشلسي ومانشستر يونايتد وتوتنهام، بمتوسط 1.6 هدف في كل مباراة، بينما في السابق كان معدل أهدافه مع فرقه 1.8 هدفا في كل مباراة، حتى الدفاع الذي كان يمثل مصدر قوته بما يعرف أسلوب «ركن الحافلة»، تحول إلى نقطة ضعف، باستباحة شباكه بمعدل 1.1 هدف كل 90 دقيقة، مقابل 0.6 هدف في نفس المدة في الماضي.

ضحية التطور

صحيح حقق مورينيو جزءاً كبيراً من المطلوب منه في موسمه الأول، بانتشال الفريق من براثن الضياع، بعد الوصول إلى قاع الحضيض الكروي في أواخر حقبة البوش، وفعل ذلك بإعادة الديوك إلى المنافسة والحصول على مركز مؤهل للدوري الأوروبي، بعدما كان الفريق ينافس على مراكز الهبوط قبل تسلمه المهمة، لكن ما أخذ عليه، عودته إلى المربع صفر، بتقديم نفس المحتوى الخادع مع فرقه المتأخرة بعقود عن فلسفة يورغن كلوب وبيب غواردیولا وعباقرة الكرة الحديثة، مطوعا أفكاره لتعطيل مفاتيح لعب المنافسين، بدلا من البحث عن أفكار جديدة خارج الصندوق، أو تطوير أسلحته الفتاكة لإظهار جودة مشروعه، وهذا في حد ذاته، كان يمثل صداعا للأغلبية الكاسحة للمشجعين، الذين يتطلعون لرؤية فريقهم على نفس مستوى مانشستر سيتي بيب غواردیولا وتشلسي توماس توخيل وليفربول في أوج لحظات يورغن كلوب، وليس ذاك الفريق الذي يؤدي بشكل جيد في مباراة، وفي الأخرى يحدث العكس.

ولا ننسى مشكلته التي لازمته منذ اختباره الأول في دربي وستهام، وتكمن في إدمان لعنة استقبال الأهداف في الدقائق الأخيرة، التي كلفته ضياع 11 نقطة، كأقوى مؤشر على ضعف القوة الذهنية لغرفة خلع الملابس، وبدلا من مساعدة اللاعبين بأفكاره الفنية ولمساته التكتيكية داخل الملعب، ألقى باللوم عليهم وعلى وكلاء اللاعبين، معتقدا أن أسلوب «قصف الجبهات» في المؤتمرات الصحافية، سيساعده ولو على الإبقاء على الفجوة الزمنية الهائلة بينه وبين نظرائه في الخمسة الكبار، لكن التجارب أثبتت أن وجود هذا الكم الهائل من صفوة مدربي العالم في الدوري الإنكليزي الممتاز من نوعية كلوب وغواردیولا وكارلو أنشيلوتي وتوماس توخيل وبريندان رودجرز وقبلهم أنطونيو كونتي وماوريتسيو ساري وغيرهم، جعله يقع فريسة لحرب تطوير الأفكار والخطط بينهم، وما عجل بسقوطه إصراره على الوقوف «محلك سر»، بتمسكه بأفكاره البرغماتية القديمة وأسلوبه الحاد مع اللاعبين، ودروس أخرى من الماضي لم يستفد منها المدرب الكبير، ليستفيق على كابوس الإقالة الثالثة في غضون 6 سنوات، وذلك قبل أسبوع من الفرصة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر اليوم الأحد، بمواجهة مانشستر سيتي في نهائي كأس الرابطة.

ماذا بعد؟

بعيدا عما قاله مورينيو في كلماته الأولى بعد الإقالة، حول استعداده للعودة إلى حقل التدريب في أسرع وقت ممكن، فالواقع وما وصل إليه في السنوات الماضية، لا يعطي مؤشرات أنه سيعود بالطريقة والصورة التي يريدها لنفسه، كمسؤول عن مشروع لأحد الأندية الكبرى في الدوري الإنكليزي الممتاز أو بدرجة أقل في إيطاليا وإسبانيا، لصعوبة حصوله على ثقة أحد الرؤساء الكبار، بعد تدهور سمعته، بتحوله من المدرب الملقب بـ«صائد الألقاب» إلى «صائد الملايين»، بعد ارتفاع ثروته من الفشل والإقالات فقط في مسيرته إلى حوالي 100 مليون يورو، وهي ثروة تكفي لتأمين رغد العيش ورفاهية الحياة في ما تبقى من عمره، إلا إذا كان في خططه الصمود في عالم التدريب، هنا سيتعين عليه قبول أخذ خطوة إلى الوراء، بالموافقة على مشروع أقل ضغطا في العمل من توتنهام، أو تكرار تجربة الديوك في جنة كرة القدم أو الليغا، مع أحد منافسي الإنتر وريال مدريد، أو يأخذ استراحة المحارب بالتوجه إلى تدريب المنتخبات، ولو أنها ستكون مشقة صعبة له، لتزايد فرص دخوله في صدمات عنيفة مع نجوم المنتخبات، سواء الذين سيعول عليهم أو ضحاياه في المعسكرات، بعد معاناته في التواصل مع عقلية النجوم الشباب. أما المفاجأة، ستكون تحوله إلى الليغا أو البوندسليغا مع منافسين لبايرن ميونيخ أو باريس سان جيرمان، وبطبيعة الحال، إذا تأخرت عودته كما حدث معه بعد رحيله عن مانشستر يونايتد، سيطل علينا عبر الشاشات، كمحلل «سوبر» عبر «بي إن» أو إحدى الشبكات الناقلة لليورو والدوريات الكبرى والأبطال، فهل تعتقد عزيزي القارئ أن مورينيو سيتقمص دور «مستر إكس» ويعود مع أحد الكبار في المستقبل القريب؟ أم انتهت أسطورته في هذا المستوى؟

قطر تتحدى المعوقات وموجات الفيروس وتستضيف أكبر البطولات الرياضية

عامل يعقم اطار المرمى في استاد «المنطقة التعليمية» خلال مونديال الاندية في فبراير الماضي

الدوحة – «القدس العربي»:

خالفت قطر، صاحبة أحد أكثر ملفات استضافة مونديال كرة القدم إثارة للجدل، اتجاه الدول الرياضية التي تملك تاريخاً أطول في هذا المجال، إذ ألغت هذه الدول أو أجّلت عدداً كبيراً من الأحداث البارزة، لكن قطر تحدت الارتفاع في أعداد الإصابات بفيروس كورونا لتنظيم أحداث رياضية، بدت رغم الانتكاسات حقول تجارب ضرورية قبل أولمبياد طوكيو وبطولة كأس العالم التي ستنظمها الدولة الخليجية العام المقبل.

وبدلاً من ذلك، فتحت الدولة الثرية الملاعب التي بلغت تكلفتها عدة مليارات من الدولارات والفنادق الفاخرة التي تحوّلت إلى مراكز للحجر الصحي بهدف استضافة بطولات كرة قدم وغولف وتنس ودراجات نارية وجودو وكرة طائرة شاطئية، بعضها بحضور مشجعين. وقال أستاذ الرياضة الأوروبية الآسيوية في جامعة «إي إم ليون» سايمون تشاديويك إن استضافة البطولات بحضور المشجعين كان من ركائز استراتيجية قطر لتنويع اقتصادها بعيدا عن الغاز والنفط. وأوضح: «قد يُعتبر تنظيم أحداث في أوقات تزايد الإصابات تهوّرا، لكن الحقيقة المزعجة لقطر هي أنّها سبق وأن وضعت رهانها على الأحداث الرياضية الضخمة». ومنذ فوزها باستضافة كأس العالم في 2010، تواجه قطر اتهامات بسوء معاملة العمال وحصولها على البطولة عبر طريق تخللته اتهامات بالفساد وكونها مضيفة غير مناسبة بسبب مناخها الصحراوي. والآن، تحول التركيز إلى الجهود المبذولة لاحتواء فيروس كورونا.

ويؤكّد الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) والدوحة أنّ كأس العام 2022 ستمضي بحضور مشجّعين من جميع أنحاء العالم. وأفاد وزير الخارجية القطري الأسبوع الماضي بأن بلاده تجري محادثات مع مصنّعي اللقاحات لضمان تطعيم جميع الحاضرين لجعل البطولة «خالية من كوفيد–19». ومع ذلك، فإنّ جهود قطر المكلفة لتنظيم الألعاب الرياضية سلطت الضوء على المخاطر ونقاط الضعف عند التنفيذ والقضايا التي سيتعين على منظمي أولمبياد طوكيو مواجهتها هذا الصيف. فقد جاءت نتيجة اختبار نجم فريق بايرن ميونيخ توماس مولر إيجابية قبل نهائي كأس العالم للأندية في شباط/فبراير في الدوحة، بينما أُبلغ لاعب التنس الأمريكي دينيس كودلا بإصابته في منتصف المباراة في التصفيات المؤهلة لبطولة أستراليا المفتوحة. وتم اكتشاف حالة أخرى في بطولة للكرة الطائرة الشاطئية. وبحسب مسؤول قطري، فإنّ السلطات عملت مع منظمي كل حدث «لاختيار الأفضل من بين خيارات (الأمن البيولوجي) تزامنا مع تتبّع معدلات الإصابات المحلية». وأضاف أنّ «نموذج كأس العالم للأندية كان ناجحا للغاية»، مشيرا إلى أنّ الجماهير التي حضرت لم تتسبّب بزيادة الإصابات. ويرى كاتب مدونة «عالم كرة القدم الشرق أوسطية المضطرب» جيمس دورسي أن تجربة أفكار مختلفة لاحتواء الفيروس «ليست استراتيجية سيئة لأنك على الأقل ستدرك ما الذي يعمل». وعرضت دورة «موتو جي بي» التي استؤنفت في قطر هذا الشهر، تقديم اللقاحات لجميع المشاركين.

وقال دورسي إن طلب اللقاح لحضور مونديال 2022 «سيكون منطقيا»، معتبرا ان «التحقق من اللقاحات سيكون ممكنا بالتأكيد لكن تطعيم (المشجعين) في قطر قد لا يكون ممكنا بالضرورة. الأمر يعتمد أيضا على كيفية تطور حركة السفر». أما بالنسبة لدول مثل البرازيل التي ترسل بشكل تقليدي الآلاف من المشجعين إلى نهائيات كأس العالم، فحذّر دورسي من احتمال تعرّضها لشكل من أشكال «العقاب» في وقت تخوض هذه الدول نزاعا يوميا لوقف تزايد الإصابات.

ويقول الرئيس الطبي لجولة «بي جي إيه» الأوروبية لرياضة الغولف أندرو مري الذي زار قطر في آذار/مارس: «يمكننا جميعا التعلّم من تجارب بعضنا بعضا». ورأى أنّه «بالنسبة لكأس العالم 2022، تم إحراز تقدم كبير في ما يتعلق بالتطعيم في قطر وخارجها وهذا قد يزيد من فرص الحضور للزوار الدوليين». وعانت قطر من زيادة في أعداد الإصابات والوفيات في الشهور الأخيرة حيث تم تسجيل 25% من حالات الوفاة التي تجاوزت 380، في الشهر الحالي وحده.

وفي الأيام الثلاثين الأخيرة، جاءت فحوصات 24936 شخصا إيجابية مقارنة بـ7150 فقط في كانون الثاني/يناير، علما أنّه لا وجود لدليل يربط الأحداث الرياضية بالزيادة في أعداد الإصابات في الدولة التي يسكنها 2.75 مليون نسمة. وتلقي الدوحة باللوم على متغيرات الفيروس والتجمعات، مؤكدة أنه تم تقديم أكثر من 1.2 مليون جرعة من اللقاح حتى الآن. ولم يتعرّض منظمو مونديال 2022 حتى الآن لضغوط مكثفة كالتي يواجهها نظراؤهم في طوكيو على خلفية الأولمبياد المقرر أن يبدأ في تموز/يوليو، رغم تحذير سياسي ياباني رفيع المستوى مؤخّرا من أنه لا يزال احتمال إلغاء الألعاب ممكنا. وقال الباحث في مجال الصحة العالمية في جامعة ساوثهامبتون مايكل هيد: «ستكون الألعاب الأولمبية محفوفة بالمخاطر للغاية بالنظر إلى أن الوباء مستمر والحالات في كثير من البلدان آخذة في الارتفاع بشكل حاد». وتابع: «من وجهة نظري، من الأفضل تأجيل الألعاب الأولمبية والتجمعات الجماهيرية الأخرى التي تتطلب السفر وذلك لمدة عام آخر».

خلدون الشيخ

«جشع» بيريز السوبر حلم تحول كابوساً!

لم يمر سوى يومين على حلم رئيس نادي ريال مدريد فلورنتينو بيريز في تأسيس بطولة الدوري السوبر الأوروبي قبل ان يتحول إلى كابوس يواد الفكرة في مهدها بعد انسحاب الاندية الأنكليزية الستة بعد ضغوطات حكومية واعلامية وجماهيرية هائلة، قادت تلقائيا إلى تفتيت المنظومة وانسحاب أندية إيطالية واسبانية أخرى.

بيريز عراب الفكرة ومساعده رئيس نادي يوفنتوس أندريا أنييلي اعتقدا ان الساحة ستكون مفروشة بالورود لفكرة لا تنم الا عن جشع واحتكار، وهو بالضبط ما اتهم به بيريز الاتحاد الاوروبي للعبة، رغم انه أعلن أن الدوري سيكون مغلقاً على 15 ناديا، هم المؤسسون ودائمو المشاركة فيه، ولا يهبطون أبداً، ووعد بحصول كل ناد على 350 مليون يورو في أول موسم على الأقل، بفضل الدعم الهائل من مصارف أمريكية، وتبا لأكثر من 1000 ناد في القارة العجوز التي لا تحق لها المشاركة الا بتحقيق نتائج هائلة، يسمح لخمسة منها فقط في المشاركة كل موسم. لكن ماذا سيحصل لو تألقت هذه الخمسة في الدوري السوبر وأحرز أحدها اللقب؟ هل يهبط مع الاربعة الآخرين ليحل مكانها خمسة آخرون؟

أسئلة كثيرة تركها البيان الباهت والبسيط لاعلان تأسيس الدوري، كأنه قنبلة ألقيت في أنحاء القارة قبل ان يختبئ مسؤولو الأندية الـ12، قبل ان يتبين أن بيريز وأنييلي ولابورتا ورطوا الاندية التسعة الاخرى التي أعلنت الانسحاب تباعا من مسابقة طفولية تدار من عقلية هواة، على غرار سوء الادارة والتدبير التي تميزت بها ادارات الريال وبرشلونة ويوفنتوس في السنوات الاخيرة. فعندما تكون على وشك الاقدام على أمر كبير وخطير مثل الانشقاق عن مسابقة دوري الأبطال وربما الانفصال عن دوريك المحلي، فضلا عن ضغوطات متوقعة من الفيفا واليويفا بحرمان لاعبيك من منتخباتهم، ألم يجدر بأن تؤسس لمثل هذه الخطوة قبلها بأسابيع، بتجييش الاعلاميين وتعبئة الجماهير بايجابيات هذه المسابقة وضرورتها للارتقاء بكرة القدم، وشرح قوانينها ومنافعها على الكرة الأوروبية؟ ألم تدرس في علم ادارة الأعمال ضرورة عمل دراسة جدوى قبل الاقدام على مشروع كبير كان أو صغير؟ كيف الحال عندما تقول ان المؤسسين هم 15 ناديا ولم تعلن سوى عن 12 ناديا، ألا يعد هذا تخبطا؟ ألم يكن مؤشرا بأن الفكرة طفولية عندما قال كل بايرن ميونيخ وبوروسيا دورتموند وباريس سان جيرمان لا قبل الاعلان؟

لكن هذه الفكرة التي ولدت مشوهة ومنبوذة ومكروهة، رغم انها تطرح دائما منذ 1998، لكنها جاءت بصورة منفرة لم تتم الا عن جشع ورياس في محاولة جمع ما يمكن من المال وباي وسيلة كانت، حتى لو على حساب مبدأ الرياضة نفسه: التنافس الشريف بين الجميع والعدالة الرياضية بمكافأة المجتهد، وليس مكافأة حفنة من الأندية فقط إلى الأبد بغض النظر عن مجهوداها ونتائجها.

وأكثر ما يضحك ان بيريز يقول ان هذه الفكرة هي لانقاذ كرة القدم، وهو الذي ضخم قيمة اللاعبين طيلة رئاسته للنادي الملكي عبر صفقات «الغلاكتيكوس» القياسية، والرواتب الفلكية، رغم ان الريال وبرشلونة هما الاعلى دخلاً بين كل الاندية الاوروبية وشارفت مداخيلهما قبل جائحة كورونا، مليار يورو، لكن بسبب سوء ادارتيهما قادتا الناديين إلى ديون مهلكة خصوصا بدفع رواتب خيالية لنجوميهما، على غرار أكثر من نصف مليار يورو لليونيل ميسي في عقده الجاري، فهل ننتظر من بيريز ان ينقذ كرة القدم، وهو الذي تحوم حوله شبهات فساد باكتساب ناديه منحاً من مصارف حكومية قدمها البرلمان الاوروبي من جيوب دافعي الضرائب من أبناء القارة، وبصورة غير قانونية. ألم يحول غالبية نجوم الريال إلى القضاء بسبب التهربات الضريبية بسبب سوء النصيحة من ادارة بيريز الذي يريد ترؤس الدوري السوبر المزعوم.

لو فعلا تحققت رؤية الدوري السوبر مثلما كان يخطط لها بيريز، لرأينا تضخما جديداً في رواتب اللاعبين وقيم بدل الانتقالات، وبدل شراء ايرلنغ هولاند بـ100 مليون من دورتموند، ستتضاربر خمسة او ستة أندية من الدوري السوبر المنتشية بمداخيل كبيرة، على ضم النجم النرويجي لينتهي بشرائه بـ300 مليون، وهكذا ستسير الامور، وبدل ان يكون معدل راتب اللاعب 100 ألف يورو اسبوعيا سيصبح مليون يورو اسبوعيا، وبعد سنوات سيفكر بيريز ولابورتا وأنييلي بحيلة جديدة في جني المزيد من المال لحل أزمة خانقة جديدة، وهكذا دواليك.

كان من الحري على بيريز وأنييلي ولابورتا، وضع كل طاقاتهم معاً لاقناع بقية رؤساء الاندية الـ12، على وضع سقف كحد أعلى لرواتب اللاعبين، وسقف لبدل انتقالات اللاعبين وتحديد نسبة وكلاء اللاعبين، لحل أزماتهم المادية، بدل التفكير الشيطاني في قتل كل الأندية الاوروبية من أجل جشع ثلة من الملوثين، وقبل الدخول في حالة نكران جديدة، على بيريز دائما أن يتذكر ان أزمة الريال المالية لم يصنعها اليوبها ولا انسحاب الاندية الانكليزية ولا الجماهير الغاضبة، بل تفكيره الالواقعي الذي كاد أن يدمر كرة القدم.

@khaldounElcheik

مجتمع

«اليشماغ» العراقي وانتقاله إلى فلسطين ومنه إلى العالمية

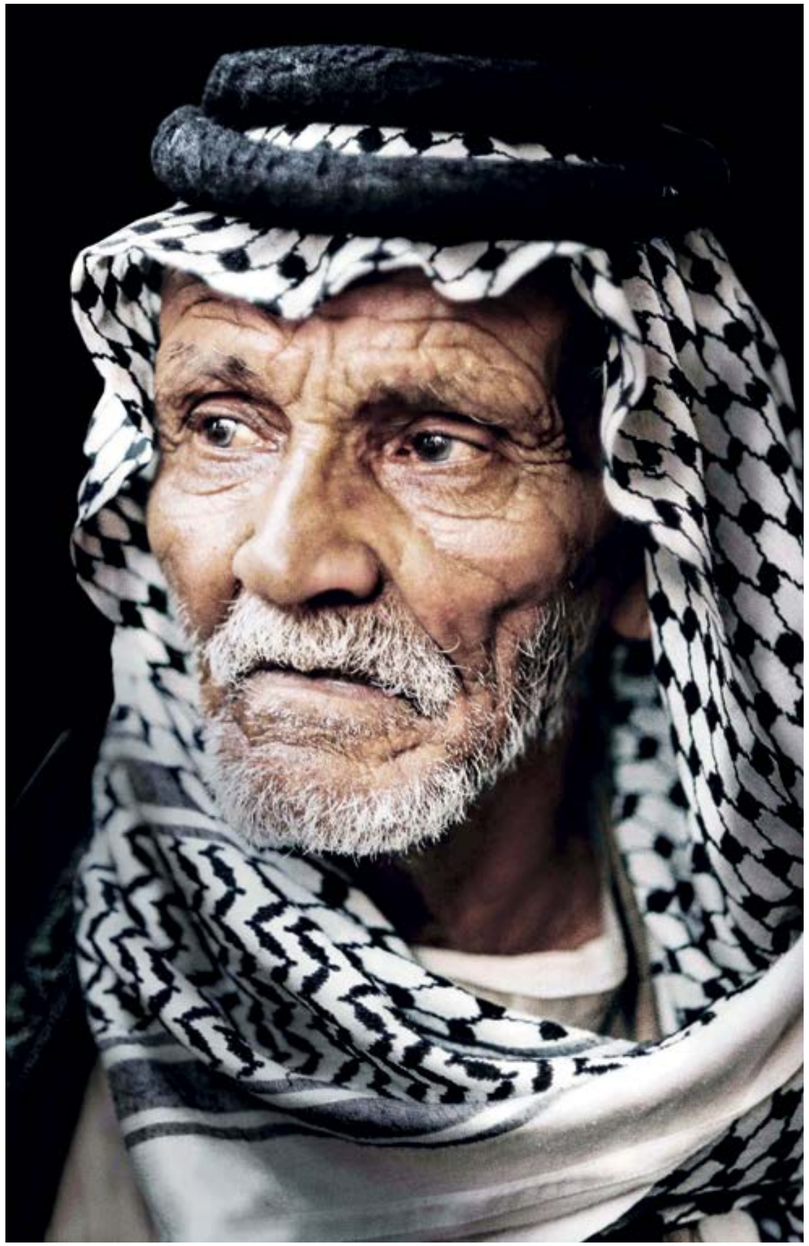

احسان الجيراني

اليشماغ ويسمى باللهجة العراقية الشماغ .دفعني حبي للحضارة السومرية العظيمة للبحث عن حقيقة ما قرأته عنها. رحلت مع كاميرتي إلى جنوب العراق كي أصور أبناء سومر في منطقة الأهوار، بكل تفاصيل حياتهم ومن ضمنها ملابسهم وعاداتهم وتقاليدهم. وبعدها قمت بتصوير الآثار السومرية في متحف اللوفر بباريس بكل التفاصيل وبالأخص تمثال الحاكم السومري كوديا.

أن الشماغ أول من ابتكره السومريون، ونقوشه السود عبارة عن تعويذة، حيث كان الكهنة يضعونها على رؤوسهم فوق القماش الأبيض المغطى بشبكة سوداء مصنوعة من صوف الأغنام، كشبكة صيد السمك لترمز إلى موسم الخير والتكاثر.

وكانت لهذه الشبكة مفاهيم خاصة تتعلق بطرد الأرواح الشريرة، وما يثبت ذلك العديد من منحوتات الحاكم السومري كوديا (2146–2122ق.م) والمحفوظة في متحف اللوفر وقد صورته مقارنا بينه وبين أبناء سومر، الذين يرتدون اليشماغ أي زيهم السومري لحد هذا الزمن. والحاكم كوديا أول من ارتدى اليشماغ قطعه واحدة. وكان اليشماغ كان له شأن عظيم في ذلك الزمان حيث جمع لابسه بين السلطة الدينية والدنيوية وخضع له الجميع وصار لباسا لأمراء وكبار الكهنة في العصر الذهبي السومري (2122–2014 ق.م). ولو ألقينا نظرة فاحصة على بعض قواميس اللغة المسمارية لوجدنا أصل كلمة يشماغ مكونة من قطعتين في اللغة السومرية وهي «أش ماغ» وتعني غطاء رأس عظيم أو «أش ساخ» أي غطاء رأس الكاهن العظيم. ومن المؤكد أن الأتراك قد أخذوه عن الاسم السومري العراقي القديم ونقلوه إلى لغتهم بعد سيطرتهم على العراق ليطلقوا عليه اسم «ياشمق» التي تعني الشيء المربوط. وعلى أي حال فإن اليشماغ الحالي وان تغيرت ألوانه فهو امتداد لليشماغ السومري، إذ صار قطعة واحدة وما زالت شبكة الصياد وخطوط وأصداف الأسماك تزينه لتطرد الأفكار الشريرة عن لابسه.

وبعدها صار أبناء الجنوب يرتدون اليشماغ لوقايتهم من حرارة الشمس ومع مرور السنين أصبح من الفولكلور العراقي يرتدونه وبالأخص أبناء العشائر العراقية حتى انه صار جزءا مهما ومكملا من ملابسهم .

عام 1920 عندما دحر الانكليز الدولة العثمانية واحتلوا العراق كانت هناك مقاومة في جنوب العراق للاحتلال وبعدها نشبت أكبر ثورة في الشرق الأوسط ضد الانكليز سميت بثورة العشرين، وكان الثوار يرتدون اليشماغ في الليل لكي يغطوا وجوههم ورؤسهم بشكل كامل ولا يرى من وجوههم سوى عيونهم، وكانوا يقاتلون الانكليز ليلا حتى تحرر العراق. منذ ذلك الزمن أصبح اليشماغ العراقي رمزا للمقاومة، ولم يقف عند حدود العراق وانما انتقل إلى فلسطين.

وعندما اندلعت الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936ضد الانتداب البريطاني، كانت هناك مجاميع من الشبان يقومون بعمليات استشهادية يسمونهم بالفدائيين. وهؤلاء الفدائيون كانوا يقتدون بالمقاتلين العراقيين الذين كانوا يرتدون اليشماغ أثناء كفاحهم وقتالهم الاحتلال من أجل ان لا يتعرف عليهم الجنود البريطانيون. وفي فلسطين أصدرت القوات البريطانية قرارا بالقاء القبض كل من يرتدي اليشماغ، ما دفع قيادات الثورة الفلسطينية في ذلك الوقت إلى إصدار نداء إلى أبناء المدن للإقبال على ارتدائه لكي يصعب على الانكليز اعتقال الثوار. ومنذ ان دخل الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات إلى الأمم المتحدة وهو يرتدي الكوفية ممثلا عن الدولة الفلسطينية، أصبحت رمزا للمقاومة ضد الاحتلال والظلم. وبعدها انتقلت عالميا بدءا من جنوب أمريكا من خلال المهرجانات والاحتفالات وكان يرتديها كبار المطربين والكثير من الفنانين، حتى انتشرت في عموم أوروبا وتحولت إلى موضة يرتديها من يسايرها .

الشاكرية بالدجاج

المكوّنات

كيلو دجاج مقطع
ورقتان من الغار وعود من القرفة وقليل من حب الهال الصحيح
بصلة واحدة متوسط الحجم
ستة أكواب من اللبن الرائب
أربع ملاعق من النشاء
بيضة واحدة
ملعقتان من الصنوبر المقلي

طريقة التحضير

نضع كمية وافرة من الماء في قدر ونسخنه على نار هادئة، ونقوم بإضافة حب الهال والبصل والدجاج المقطع مع أوراق الغار والملح ونترك الخليط حتى النضج الكامل للدجاج.

نضع اللبن في الخلاط مع النشاء والبيضة ونخفق حتى يتم التجانس، ونضع المزيج على نار متوسطة ونحرك حتى الغليان ونتركه حتى يتكثف اللبن قليلًا.

نضيف اللبن المكثف إلى خليط الدجاج والمرقة نتركه يغلي حتى يتجانس.

نقدم الشاكرية بعد إضافة الصنوبر المقلي، ويقدم ساخنًا على المائدة إضافة إلى طبق من الأرز مع الشعيرية.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

مشروبات تمنح البشرة نضارة وحيوية

يعيش الإنسان صراعاً دائماً مع آثار الزمن على بشرته، ما يدفع إلى تبني صيحات جمالية مختلفة، ولكن هل يساهم ما نشربه في صحة بشرتنا؟ وإن كان الجواب نعم، فما هي أفضل المشروبات لتحقيق ذلك؟

لا يمكن لنا إيقاف الزمن، حقيقة تخيفنا جميعاً كلما شعرنا ببوادر الشيخوخة تقترب منا، ولهذا تجدنا نطارد آخر الصيحات، ونبحث من خلال محركات البحث في الانترنت عن طرق للحصول على بشرة نضرة وحيوية.

من بين هذه الطرق، والتي سمع أغلبنا عنها، هي شرب العصائر والمشروبات الكفيلة بتجديد بشرتنا، مثل خل التفاح أو محلول بودرة الكولاجين. فهل تنجح حقاً؟

خل التفاح: يحظى خل التفاح بشعبية كبيرة بين نجوم هوليوود، كما يذكر موقع «إيلي» الألماني، لأنه يحسن عملية الهضم ويقوي جهاز المناعة وينظف البشرة، ولكن لا توجد أدلة علمية تؤيد هذه الادعاءات حتى اللحظة.

إلا أن موقع «هيلث لاين» ينصح باستخدامه كـ«تونر» من أجل تنظيف البشرة، وشد الجلد وحمايته من الأشعة الضارة، وإن تم تناوله فيجب شرب كميات كبيرة من الماء معه، لأنه قد يضر بغشاء المعدة والأسنان.

مشروب الكركديه: يحمل نبات الكركديه لقب «نبات البوتوكوس» لأنه يحتوي على مضادات للأكسدة، تساعد على زيادة لمعان البشرة، وتلعب دوراً في التخلص من حب الشباب، كما يذكر موقع «إيلي» ولهذا إن كنت لا تحب طعم الخل، فإن شرب الكركديه قد يكون بديلاً أكثر لذة.

مشروبات الكولاجين: يعد الكولاجين، بحسب موقع «ويب» الطبي، البروتين الأكثر وفرةً في جسم الإنسان، ويُعتبر واحداً من اللبنات الأساسية للعظام، والبشرة، والأربطة، والأوتار، ولكن للأسف مع التقدم بالعمر، فإن الجسم يبدأ بفقدانه تدريجياً، فكيف يمكن تعويضه؟

يلجأ البعض إلى شراء بودرة الكولاجين، وخلطها مع الماء وشربها، والذي أثبت نجاعته كما يذكر موقع «هيلث لاين» إذ يعمل هذا على تحسين بنية الكولاجين في الجلد، ويزيد من رطوبة البشرة ومرونتها ويقلل من التجاعيد.

3ليترات من الماء: قد يبدو الأمر بديهياً، ولكن لا يمكن إنكار أن الماء هو أهم مشروب على هذه القائمة، لدوره في الحفاظ على صحة جسم الإنسان وبشرته، إذ أن الحفاظ على نسبة مياه كافية في جسمنا، تساعد على شد الجلد وتقوية الأظافر، ويساهم في التخلص من السموم بشكل أكثر فعالية، ودون آثار جانبية، بحسب موقع «إيلي».

الحمل

المسؤوليات التي تتحملها اليوم في العمل صعبة

الثور

لديك طاقة إيجابية وأمل في الحياة

الجوزاء

الابتكار هو الشيء الذي تنجذب إليه الآن

السرطان

لقاء جيد يجمعك بالشريك

الاسد

يجب أن تراقب حالتك الصحية وتتجنب الإجهاد

العذراء

انت بحاجة إلى إعادة تقييم لأدائك في العمل

الميزان

يجب أن تعلم أن الوقاية خير من العلاج

العقرب

لا تسير أمورك المهنية كما ترغب

القوس

أحلامك العاطفية تسبب لك المشاكل

الجدي

تبدأ اليوم العمل بمشروع قديم

الدلو

أمامك فرصة للحصول على دخل إضافي

الحوت

لا تبالغ في الضغط على نفسك أثناء العمل

جديد الطب

دراسة بريطانية تبحث في مناعة المتعافين من كورونا

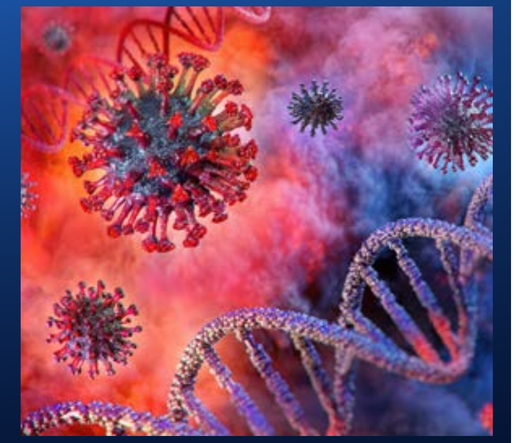

يعتزم علماء في بريطانيا تعريض متطوعين شباب سبق وتعافوا من مرض كوفيد–19 لعدوى كورونا مرة أخرى، وذلك من أجل فهم أكبر لطبيعة المرض وكيفية تصرف الجهاز المناعي أمام الفيروس.

ومن أجل البحث في رد فعل الجهاز المناعي أمام فيروس كورونا، يريد علماء بريطانيون تعريض شباب أصيبوا سابقا بفيروس كورونا للعدوى مرة أخرى بطريقة مستهدفة.

والهدف هو معرفة كمية الفيروس المطلوبة لعدوى جديدة، وكيف يتفاعل الجهاز المناعي مع الفيروس مرة أخرى من أجل تطوير مقاومة طبيعية ضد مسببات المرض.

ووفقًا للحكومة، تهدف التحليلات إلى المساعدة في تحسين وتسريع تطوير اللقاحات والعقاقير المكافحة لكورونا. ومن المقرر أن تبدأ الدراسة الجديدة المسماة دراسة التحدي البشري نهاية شهر نيسان/أبريل الحالي. وسيتعرض المشاركون للفيروس فيما يسمى «بيئة آمنة ومراقبة» ويرافقهم فريق من الخبراء. وأعلن الخبراء عن حاجتهم لمتطوعين ينشرهم رسائل مضمونها «نحن نبحث عن الشباب الأصحاء الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و30 عامًا والذين أصيبوا بالفعل بفيروس كورونا» وفقًا لما نشرته مؤسسة «ويلكوم» غير الربحية وجامعة أكسفورد.

وقالت هيلين ماكسين، خبيرة التطعيم في أكسفورد، «إن مثل هذه الدراسات التي تتناول التحدي البشري هي مساعدة مهمة للعلماء». وتسمح العدوى المتجددة باستخلاص استنتاجات حول كيفية تفاعل الجهاز المناعي مع العدوى الأولى لكورونا وكيف تحدث العدوى مرة أخرى. وسيتلقى كل شخص يخضع للاختبار زهاء 5000 جنيه إسترليني (حوالي 5770 يورو).

ألمانيا: صوم رمضان في ظل قيود كورونا ليس صعبا

على غير المتوقع، يرى عدد من الشباب المسلمين في ألمانيا أن قيود كورونا الصارمة لا تشكل عبئًا كبيرا عليهم بل ربما أن رمضان في ظل الإغلاق بات بمثابة «نعمة في شكل نقمة»، رغم أن الأمر لا يخلو من تحديات.

يشكل المسلمون قرابة 6 في المئة من إجمالي تعداد سكان ألمانيا، وفقا لتقديرات عام 2016 نشرها مركز بيو للأبحاث. وتعد الجالية المسلمة شابة مقارنة بباقي أطياف المجتمع الألماني، إذ أن متوسط أعمار المسلمين في ألمانيا هو 31 عاما، أي أنهم أصغر سنا 13 عاما مقارنة بغير المسلمين.

للعام الثاني على التوالي يحل رمضان في ظل الإغلاق وتدابير الوقاية من كورونا، لكن بالنسبة للمسلمين الشباب فإن تجربة رمضان في ظل هذه الأجواء في ألمانيا قد تغيرت.

راحة من كثرة الاستفسارات

هُما أولاه البالغة من العمر 19 عاما من بين الشباب المسلم في ألمانيا الذين يرون أن ثمة ميزة في أن يحل رمضان ويحتفى به في ظل أزمة كورونا والإغلاق. تقول إن الصيام يكون مريحا وهادئا في المنزل بين أفراد العائلة خاصة في بلد كألمانيا حيث أن المسلمين أقلية دينية وطقوس وممارسات هذا الشهر ليست بالأمر المألوف أو الشائع.

درست هُما اللغة الإنجليزية والفلسفة في مدينة فيسبادن غرب ألمانيا وخلال شهر رمضان في الأعوام السابقة كانت تسأم من الأسئلة المعتادة التي يطرحها زملاؤها عليها عن ممارستها الدينية في رمضان مثل سبب الصيام وغيرها. وفي بعض الأحيان تتضمن الأسئلة أحكاما مسبقة على حد وصفها. وتقول «في الجامعة، كثيرون ليس لديهم معلومات عن الصيام في رمضان. ودائما ما تطرح أسئلة مزعجة من قبيل: لا يمكن حتى شرب الماء؟ أليس ذلك مضر بالصحة؟ هل يرغمك والدك أو أمك على الصيام؟».

لكن الفتاة تشعر ببعض الارتياح الآن فيما تدرس عن طريق الإنترنت وليس في جامعتها بسبب القيود المفروضة جراء جائحة كورونا، ومرتاحة من تلك الأسئلة. وتضيف «هذا أمر يبعث على الارتياح فصوم رمضان في المنزل أمر مريح وليس مستغربا كالصوم في الجامعة».

لكن بالنسبة للطلاب المسلمين الذين يتعين عليهم الذهاب إلى جامعتهم أو مدارسهم فإن تجربة رمضان ليست ممتعة، كما يؤكد أمين (16 عاما) من مدينة ميونيخ الألمانية. فيتعين على الطلاب في أماكن الدراسة ارتداء الكمامات لفترات طويلة ما يُضيف جفافا إلى الفم خلال الصيام. ويقول إن «الأمر ليس بالسهل إذ أن الكمامات تحبس رائحة الفم وأنت صائم».

ملل الدراسة من المنزل

وفر العمل أو الدراسة من المنزل مشقة الذهاب إلى أماكن العمل والدراسة خلال ساعات الصيام. لكن في المقابل، يضطر الموظفون والطلاب للجلوس أمام شاشة الكمبيوتر لساعات طويلة لكي ينجزوا أعمالهم. وخلال الصوم فإن هذا الأمر يكون شديد الصعوبة وهو ما تؤكده هُما. وتوضح هذا بقولها «عندما يتعين عليك التحديق في شاشة الكمبيوتر خلال محادثة عبر تطبيق زووم، بينما تقرأ وتذاكر لثلاث أو أربع ساعات متواصلة فتشعر بالإرهاق الشديد والحاجة إلى شرب بعض الماء أو تناول بعض الطعام كي تحصل على الطاقة اللازمة وتستطيع التركيز».

كذلك فرضت قيود كورونا على المسلمين في ألمانيا شعورا بالعزلة. فهذه القيود وإن كانت تختلف من منطقة إلى أخرى لكن في مناطق عدة فإنه يُسمح لأفراد العائلة الواحدة بالتجمع مع أفراد عائلة أخرى لكن بحد أقصى خمسة أشخاص إجمالا. «أعتقد أن الإغلاق قد جعل الأمر صعبا على العائلات التي كانت دائما تتجمع مع بعضها البعض خاصة الأقارب وربما الجيران» تقول يوسور المظفر، (25 عاما) التي تعمل في صناعة الحلوى بمدينة بون. وتضيف أن قيود كورونا «قلصت التجمعات واللقاءات الرمضانية». وتؤكد «أفضل شيء في رمضان هو مشاركة وجبة الإفطار في تجمع كبير.»

وبسبب هذا الأمر وللمرة الأولى، تتجمع العديد من الأسر بعدد قليل وبشكل مقيد لتناول وجبة الإفطار. لكن هذا أعطى أفراد الأسرة، الفرصة لتوثيق الروابط وتجاوز الصعاب معا، وهي الميزة التي تشير إليها هُما. وتقول «أقضي الكثير من الوقت مع عائتلي ونتحدث كثيرا. بات لدينا الفرصة لنتحدث عن حياتنا والانفتاح على بعضنا البعض. يمكث أفراد عائلتي الأربعة حاليا في المنزل وهذا يدفعنا للتقارب وبات التواصل والتقارب بيننا أقوى».

قيود داخل المسجد

يرتبط شهر رمضان عند المسلمين بالصلاة وبالأخص صلاة التراويح في المساجد لكن حظر التجمعات في ألمانيا جراء جائحة كورونا يسري على صلوات الجماعة وهو ما أفسد بعض الشيء الأجواء الرمضانية كما يقول شيراز (19 عاما). ويضيف «لم يعد الأمر بالسهل القدوم إلى المسجد لأداء الصلاة وهذا أمر مؤلم في رمضان. الصلاة في المساجد واحدة من أفضل الأشياء في رمضان».

ففي ولاية شمال الراين ويستفاليا، يُسمح للمسلمين بالصلاة في المساجد لكن يتعين عليهم أولا تسجيل أسمائهم وتقصير صلاة التراويح واستخدام باركود للدخول إلى المساجد والمحافظة على التباعد مسافة مترين بين المصلين وارتداء الكمامة أثناء الصلاة واستعمال سجادات الصلاة الخاصة بكل مصلٍ.

وتسعى الحكومة الاتحادية إلى تسريع وتيرة التصديق على تشريع من شأنه فرض تدابير طارئة لمكافحة جائحة كورونا في عموم البلاد. وفي حالة موافقة البرلمان، فإن التشريع الجديد يشمل فرض حظر تجول ليلا من الساعة التاسعة مساء وحتى الخامسة صباحا في المدن والمناطق التي تشهدا زيادة كبيرة في معدلات العدوى بفيروس كورونا. ومع ذلك، قالت سلطات معظم الولايات في ألمانيا إنها ترغب في إعطاء استثناءات لممارسة الشعائر الدينية.

ورغم ذلك، لم يحدث وباء كورونا تغييرا كبيرا على الأجواء الروحانية في رمضان وإن كانت الجائحة قد فرضت بعض التحديدات. يقول شيراز «لدي قناعة بأن المسلمين حول العالم سوف يستغلون شهر رمضان أفضل استغلال وندعو الله أن يمنح الجميع القوة والمثابرة.» (DW)

منوعات

الإعلانات الفرصة الأخيرة لنجوم ونجمات الزمن الجميل

شريهان

فلم تدع فرصة من فرص الإبداع والإنجاز إلا واقتنصتها فهي تُعيد تجديد نشاطها تلقائياً وتنتقل بين الدراما التلفزيونية والإعلانات بسلاسة وحرية ولديها من الاختيارات ما يجعلها جديرة بالنجاح، وكذلك حسين فهمي وهند صبري وآسر يسن ومحمد هنيدي وأمير كرارة وإسعاد يونس ومصطفى فهمي، جميعهم تم توظيف خبراتهم ومواهبهم ليكونوا داعمين للأنشطة الاقتصادية والتجارية عبر مراحل الكساد والرواج، وأيضاً بقية نجمات ونجوم جيل الوسط من الذين يتمتعون بسحر الطلة وسر الجاذبية، حتى ممثلي الكوميديا والأكشن من الكبار والصغار والشباب خلقت لهم الإعلانات فرصاً إضافية للظهور والانتشار فجعلت منهم نجوماً يُشار إليهم بالبنان، ومنهم حمدي الميرغني وأحمد داش ومصطفى خاطر ومحمد أسامة وويزو وعلي ربيع، حيث فطنت شركات الدعاية إلى أهمية الاستعانة بنجوم التمثيل بديلاً عن الموديلات المتخصصة في فن الترويج والتسويق، ما أدى إلى وجود بطالة في صفوف ممثلي الإعلانات المحترفين وبقائهم بلا عمل لفترات طويلة بعد عمليات الإحلال والتبديل المفاجئة والمنظمة التي حددت إقامتهم في بيوتهم فأصبحوا بلا مصدر رزق.

يمثل المشهد الإعلاني الآن على الساحة ملمحاً قوياً من ملامح الموسم الرمضاني الذي يختلط فيه الحابل بالنابل فيعجز المشاهد عن التمييز بين الجيد والرديء فتصير الصورة مشوشة غير واضحة فلا يسع المرء إلا الصبر على الظواهر الغريبة عسى أن تنقرض أو تفقد صلاحيتها أو يعرض عنها الجمهور.

ليلى علوي

كمال القاضي

أمام هيمنة النجوم والنجمات الجدد على الموسم الرمضاني، وتقلص المساحة التي كانت متوافرة لدى البعض ممن استنفدوا كل رصيدهم الفني وطاقاتهم الإبداعية، باتت الإعلانات هي الوسيلة الوحيدة للتواجد على الشاشة والفوز بنصيب الأسد من العائد المادي والأضواء بعد أن أعطت السينما ظهرها للكبار وأصبح الحصول على بطولة درامية على الشاشة الصغيرة أمراً يحتاج إلى معجزة، حيث انتهى العمر الافتراضي لجاذبية الممثل أو الممثلة ولم يعد هناك المُنتج المغامر الذي يمتلك شجاعة المجازفة في الرهان على نجوم قدامى ولى زمانهم وتحولوا بحكم الظروف والتداول الطبيعي للأيام والسنين مجرد ضيوف شرف.

بدأت الحملات الدعائية للمُعلنين تركز منذ فترة وقبل استطلاع هلال رمضان بوقت طويل على عودة شريهان للأضواء المُختزل داخل الإعلان ألحت شريهان إلى محنتها الشخصية والتحديات التي واجهتها وتغلبت عليها بفضل قوتها وصلابتها وإصرارها على البقاء والنجاح متجاوزة كل دواعي الخوف والتردد واليأس، ومن هنا كان للإعلان الذي منح نجمة الاستعراض الشهيرة فرصة ذهبية للعودة إلى جمهورها وقع إنساني على المتلقي بعيداً عن الرسالة المستهدفة والغرض التجاري المرجو منه.

وربما أدت مهارة شريهان في سرعة الحركة وأدائها المتميز إلى كثير من الدهشة والإعجاب بروحها المتفائلة وقوتها الداخلية، وهو ما أعطى جُرعة وفيرة من التفاؤل لدى غالبية المتابعين من المشاهدين في مصر وبعض الدول العربية الأخرى، ولعل ذلك كان جوهر الفكرة التي دفعت الفنانة إلى القبول بمبدأ العودة إلى الأضواء قبل الحسابات المادية والربحية.

ولأن سوق الإعلانات أصبح واسعاً وبه من البراح ما يتسع للعشرات من النجوم والنجمات، فقد صار اللجوء إليه محض تعويض عن بطولات مفقودة بالنسبة للكثيرين ممن فاتهم العمل في الدراما الرمضانية كأبطال رئيسيين، أو أنه يمثل إضافة نوعية في تجربة مختلفة بها من السهولة ما يشجع عليها ويزيد من التعلق بها فهي لا تحتاج لوقت طويل في التحضير والتصوير، وفي نفس الوقت مُريحة ومضمونة العائد والنتائج ولا احتمال فيها للإخفاق والخسائر إلا في حدود ضيقة للغاية. ولأن ليلى علوي واحدة من النجمات اللائي تتوافر فيهن شروط الجاذبية والقبول ولها من الرصيد الفني ما يكفي لنجاح أي دعاية لأي مُنتج فقد تكرر ظهورها هذا العام كنجمة إعلان تمتلك من عوامل التأثير ما يضمن نجاحها واستمرارها كمنافسة قوية لبقية زملائها من الذين امتهنوا هذه المهنة ودأبوا على لعب الدور الترويجي للسلع والمُنتجات سعياً وراء المكسب أو رغبة في التواجد على الشاشة لأطول فترة ممكنة لإحساسهم بأن المتبقي من زمن النجومية أصبح قليلاً. وبحكم التجربة والخبرة استطاعت ليلى علوي أن توازن بين ظهورها القليل في المسلسلات وبين حاجتها للتواجد خلال شهر رمضان في إعلان مهم يمكنها من التوقيع بإمضائها الشخصي على الشاشة الصغيرة في دقائق معدودة تُثبت حضورها وتُضيف إلى رصيدها البنكي والجماهيري ما يؤكد ثقتها في نفسها كفنانة ونجمة كبيرة لها تأثير شعبي باق ومتزايد.

التجربة ذاتها خاضتها يسرا في مواسم سابقة ولا تزال هي النجمة المُراهن عليها طوال السنة،

يسرا

وفي مقدمتها شهر رمضان الذي تحرص على تقديم عمل قوي فيه، وهو ما فعلته في رمضان 2020 بمسلسل «الاختيار» الذي حقق نجاحاً كبيراً وحصدت عنه جائزة أفضل ممثلة في دراما رمضان، وهو ما تسعى لتكراره في رمضان 2021 بمسلسل «لعبة نيوتن» الذي تشارك بطولته مع النجم كريم عبدالعزيز.

«200م» يُعرض قريباً في فرنسا وأمريكا ويروي بشاعة الصهاينة ونضال الفلسطيني

أمين نايفة: قدمت فيلماً حقيقياً بقصة بسيطة

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

«200م» فيلم من فلسطين للمخرج أمين نايفة نال حتى الآن 20 جائزة عربية ودولية. قصة يومية مُعاشة حوّلها نايفة إلى شريط سينمائي استحوذ على إعجاب الجمهور ونال «جائزة أفضل فيلم من جمهور مهرجان البندقية» التي أفرحت صانعه لأنها الأولى، وجاءت بعد العرض الأول عربياً ودولياً. وكذلك حظي بإعجاب النقاد. الفيلم يروي واحدة من مئات حكايات التعذيب الممنهج الذي ينفذه الاحتلال الصهيوني على امتداد فلسطين التاريخية، بهدف التيئيس، الذي يمنّي نفسه بأن يدفع أهل الأرض للرحيل. فالـ «200م» التي يتجاوزها أحدنا بدقيقتين فقط، يحولها جدار الفصل العنصري إلى ساعات طويلة من الذل والإنهاك الجسدي والمعنوي. ليس هذا وحسب بل هو شتّت العائلات بين من هم داخله وخارجة كحال الزوجين مصطفى وسلوى. وفي هذا الشريط الذي التقط الكثير من المشاعر الإنسانية الحميمة واللطيفة، كان التوتر أيضاً يصل أحياناً إلى حدوده القصوى.

إنها الحياة التي نجح المخرج أمين نايفة في تسجيل كافة تقاطعاتها مع بشر يختلفون ويتمايزون وقد يتشابهون. منهم المناضل، والمحتل الغاشم، والعاشق، والأب الحنون، والزوجة التي تشتاق زوجها، والأم الكفوءة في إدارة الأزمات والمصاعب المركبة التي يتسبب بها الإحتلال. ومن بينهم أيضاً المسترزق والسمسار الذي يعتمد منطق «الغاية تبرر الوسيلة».

بعد عرض الفيلم عبر منصة «أفلامنا» في إطار ملتقى بيروت السينمائي كان هذا الحوار مع أمين نايفة:

○ **كم من معاناة يومية يعيشها الشعب الفلسطيني تشبه ما رأيناه في فيلم «200 م» استلدها الجدار العنصري؟**

● لكثرتها من المستحيل إحصاؤها. خلق الجدار مشكلات لا تعد طالت كافة الشرائح في فلسطين، من أطفال المدارس، وقاصدي أعمالهم ووظائفهم اليومية. إلى تمزيق وتشتيت العائلات، إلى مسافات بسيطة تضاعفت مئات المرات أحياناً. إلى الأراضي التي صودرت. والمزارعين الذين يعجزون من الوصول إلى أراضيهم. فلدى دولة الإحتلال تصريح مرور يحمل اسم «تصريح الزيتون» يستحصل عليه من لديهم أرض وضعها الجدار خلفه. تلك الأرض لا يزورها أهلها إلاّ في القطاف، ويمنع عليهم زيارتها للحراثة أو العناية. تصريح المرور فقط للبشر، ونقل المحصول عبر الحمير فممنوع إدخال الآليات.

○ **إلى سردية النكبة والمجازر التي ارتكبتها الصهاينة هم يسطّرون اليوم سردية عذابات يومية جديدة تحمل عنوان الجدار، فماذا تقول حيالها؟**

● نعم هي واحدة من سرديات عدّة كل منها يتفوق على الأخرى بالتفنن في قهر وتعذيب ناس هذا الوطن المحتل. سردية المستوطنات وقطعان المستوطنين، تحتاج إلى أفلام وأفلام للتمكن من تبيان قبحهم، إلى الأزمات الكثيرة التي يولدها زرعها داخل الجسم الفلسطيني. ولا شك بأن الجدار هو نكبة قائمة بذاتها.

○ **جدار الصهاينة تلا هدم جدار برلين كم تعمل السينما لتسليط الضوء على ما خلّفه من قهر للشعب الفلسطيني؟**

● حظيَ الجدار باهتمام عدد من المخرجين وفي أفلام وثائقية، وتناولته تقارير إخبارية مراراً. وكان هدفاً لأعمال فنية مختلفة. كما وشكّل أساساً أو جزءاً من بعض الأفلام الروائية. في «200م» رغبت بتقديم فيلم حقيقي، بقصة بسيطة من حياتنا اليومية.

○ **كنت طفلاً حين بُني الجدار. فمتى بدأت تعي سلبياته كإنسان يعيش في وطنه؟**

● منذ تمّ وضع حجره الأول. سنة 2003 كان السياج الأمني، وصارت المناطق ما بين الضفة الغربية وفلسطين التاريخية تشهد تواجداً عسكرياً كثيفاً بدأت اشعر بأمر سيؤثر سلباً على حياتنا. فدار «سيدي» وأخوالي وأبناءهم أصدقاء طفولتي يسكنون الضفة الأخرى من الوطن ويبعدون عنّا 25 دقيقة بالسيارة. مع وجود السياج كنت أقصد برفقة أخي مكاناً وندخل إلى الجهة الأخرى حيث ينتظرنا خالي. ومع ارتفاع الجدار رفض أهلي أن نغامر لزيارة دار «سيدي». لقد مُنعت من زيارة أهلي منذ سنة 2005 والجدار بتر حياتي مع اصدقاء طفولتي.

○ **الاحتلال والجدار شظّيا العائلة الفلسطينية فيزيولوجياً وفكرياً والدليل النقاش بين الأب والأم وأين سيكون المخيم الصيفي لإبنهما في الضفة أم حيفا؟ هل هذا الحوار مطروح بشكل أوسع؟**

● هذا التشظّي حاصل ولم تتم مناقشته حتى الآن بشكل واسع بين من يعيشون في الضفة الغربية، ومن يعيشون في الـ48. جميعنا فلسطينيون، إنما تقبل الناس لبعض الأفكار أو السلوكيات أو التوجهات يختلف باختلاف طبيعة حياتهم واحتكاكاتهم. قد تجدين أبناء بعض العائلات العربية يلعبون في الدوري الإسرائيلي لكرة القدم. من يعيش في الضفة يستحيل أن يستوعب هذا السلوك أو يقبله. ومع الأحداث الأخيرة التي شهدتها غزّة والحصار المحكم عليها، لا بد أن نكون كفلسطينيين مؤيدين للـ«BDS» ومن واجبنا تعزيز المقاطعة كإحدى وسائل المقاومة.

○ **هل قدم الفيلم نماذج مختارة من الواقع؟**

● يكل تأكيد هو الواقع بعينه. فهناك الرافض للاحتلال كلياً، والمستفيد منه كالتجار.

○ **بأي هدف جاء دور الفتاة الألمانية؟ هل للمساهمة في تسويق الفيلم في الغرب؟**

● ليس بالضرورة أن يكون هذا السبب. خلال الكتابة كان الدور بداية لأمريكية. فكرت بشخصية أجنبية كي تطرح بعض الأسئلة. فلن يسأل فلسطيني فلسطينياً آخر «هل هذه مستوطنة؟» فالفلسطيني يعرف تماماً ما هي تلك البؤرة. بعد فكرة الممثلة الأمريكية تطورت الفكرة لتكون ألمانية ومترافقة مع جدار برلين.

○ **كيف اقتنعت الممثلة أنّا اونتربرغر بتقديم الدور؟**

● بصراحة هي أحبت الدور وليس لنا القول بأنها رغبته أجره المرتفع، فهذا لم يكن متوفراً أبداً. زيارتها إلى فلسطين هي الأولى لها على صعيد المنطقة ككل. كانت ردة فعلها متضامنة عندما شرحت لها عن الفيلم وعن حيثيات دورها. وعندما زرنا مواقع التصوير وشاهدت الحواجز في الضفة الغربية لم تُصدق ما رأته عيناها.

○ **في أي المناطق من فلسطين جرى تصوير الفيلم؟**

● نسبة 80 في المئة من الفيلم تمّ تصويره في طولكرم وضواحيها، وما تبقى في رام الله.

○ **هل كنت بحاجة إلى تصاريح من الاحتلال للتصوير؟**

● صراحة لم نطلب تصاريح. الحواجز، وأبراج المراقبة والجدار شكلت جزءاً أساسياً من الفيلم. في بداية البحث بالفيلم اعتقدت أننا جمعنا مالاً كافياً للإنتاج يتيح بناء هذا الجزء الأساس، وتبين لاحقاً بأني حيال حلم مستحيل. لهذا صورنا المواقع نفسها، إنما بالسرقة. ولو سلكنا درب التصاريح لن نحصل عليها، لأننا حيال منطقة عسكرية بالكامل. ليس هذا وحسب بل الشوارع التي صورنا فيها تقع ضمن تصنيف منطقة «ج» والإحتلال يسيطر عليها، وصورنا من دون علمهم.

○ **ضمّنت الفيلم لمسات عاطفية وإنسانية سواء بين سلوى ومصطفى، أو بينه وبين أولاده. هل ترى أن الفيلم الذي يمثل فلسطين بات حقيقياً أكثر من دون أن يهمل خصوصية الوطن المحتل؟**

● هذا ما اجتهدت لتقديمه. صراحة لم أكن من البداية مدركاً لأهمية التركيز على الجانب الإنساني والعاطفي. الكتابة الأولى للسيناريو حملت الكثير من السياسة والشعارات التي سمعتها الناس كثيراً. إنما مراجعة النص من قبل كثيرين وتقديمهم نقداً بناءً كان أمراً مؤثراً بي، فتخليت عن كافة الشعارات. ومن ثمّ ركزت على مصطفى الأب، وكيف له الوصول إلى ابنه الموجود في المستشفى في الضفة الأخرى من الوطن المحتل.

○ **هل تمويل الفيلم الفلسطيني سهل؟**

● يضحك ملياً ويقول: ليس سهلاً مطلقاً. بقينا في لف دوران عن التمويل لسبع سنوات مي عودة وأنا، وبعدها اكتملت الموازنة المطلوبة. بدأنا العمل سويا منذ سنة 2014 ومررنا بإحباطات متتالية. ليس في فلسطين صندوق لدعم الأفلام بحيث يحقق للفيلم دفشة أولى تُحمّس الآخرين للمتابعة. بمفرده يتوجه المخرج والمنتج من هنا إلى هناك وهناك. وهذه هي الدرب التي سرنا عليها حتى بدأنا العمل وصولاً إلى انجازه.

○ **رافقت الفيلم إلى عدد من المهرجانات فهل سمعت أسئلة فاجأتك كفلسطيني؟**

● للأسف رافقت الفيلم فقط إلى مهرجان البندقية ولم أحتك بجمهور واسع رغم نيل الفيلم جائزة الجمهور. لكني رافقت الفيلم إلى مهرجان القاهرة السينمائي. وهناك كانت المفاجأة الكبرى حيث جاءني من يقول «لأول مرّة نفهم معنى الجدار»؟ «200م» شكل تجربة مختلفة حتى للمشاهد العربي فكيف الحال مع مشاهد غربي.

○ **ما هو دور السينما الفلسطينية في تشكيل تراكم ليتمكن من إيصال السردية الفلسطينية عن النكبة والاحتلال والجدار؟**

● بالتأكيد لها دور مهم. ومن واجبنا أن ننشر حكايتنا، وأن لا نتركها مروية من طرف الاحتلال. فهم يصنعون أفلاماً تنشر وجهة نظرهم ومن خلال أفراد يتحدثون لغتنا. وثمة فيلم يشبه في حكايته فيلم «200م» يعود لسنتين ماضيتين ويتحدث بوجهة نظر دولة الاحتلال. أن نروي حكاياتنا بمختلف السبل المتاحة أمر ضروري للغاية بحيث يشكل تراكماً في الوعي الإنساني.

○ **ما هي الجوائز التي نالها الفيلم وأين سيعرض لاحقا؟**

● الحمدلله كثيرة وأنا فرح جداً. عدد الجوائز حتى تاريخ حوارنا بلغ العشرين. وقد بدأ توزيعه بهدف العروض التجارية في الولايات المتحدة حالما يسمح بذلك تراجع الإصابات بجائحة كورونا. كما يُعرض في عدد من المهرجانات في الولايات المتحدة. وفي شهر حزيران/يونيو المقبل سيكون في الصالات الفرنسية.

○ **وهل باشرت مشروعاً سينمائياً جديداً؟**

● نعم. مشروعي المقبل أنهى مرحلة المعالجة. وهذه المرة سنكون مع جدار إنساني، وليس من صنيعة الاحتلال.

اسقاطات على سعد الدين إبراهيم وأيمن نور وداليا زيادة تعلن: هند صبري تلعب دوري

«هجمة مرتدة» مأخوذ عن ملفات المخابرات المصرية يثير جدلا عن شخصيات مشهورة

القاهرة ـ «القدس العربي»: تامر هنداوي

مسلسل «هجمة مرتدة» الذي يتناول الفترة منذ عام 2007 حتى قيام ثورة الخامس والعشرين من يناير 2011 أثار جدلا واسعا بشأن الشخصيات التي يتناولها العمل الدرامي سواء من عملاء جهاز المخابرات المصري أو ممن يتهمهم العمل بالخيانة.

و«هجمة مرتدة» عمل درامي مأخوذ عن أحد ملفات جهاز المخابرات العامة المصرية، من بطولة أحمد عز وهند صبري وهشام سليم.

والمحت الحقوقية المصرية داليا زيادة إلى أنها المقصودة بالدور الذي لعبته الفنانة هند صبري وحمل اسم دينا أبو زيد الحقوقية التي زرعتها المخابرات المصرية في إحدى المنظمات الحقوقية الدولية.

وغردت داليا على تويتر: «الدولة عندها حكاية قررت تحكيها، ولهم كل الشكر على جراتهم، ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك».

وتابعت: «أما عن الجدل فالحقيقة القصة وتفاصيلها معروفة، والاسقاطات في المسلسل واضحة تلك التي لا يستريح لها ضميري حتى في أصعب ظروفي الخاصة.

وأضاف: لم يكن راتبي في أي يوم من الأيام بالدولار، ودفعت ثمنا نتيجة احترامي لنفسي ومبادئي وأفعل كل ما أستطيع لخدمة وطني، ولم التق في أي وقت من الأوقات بضابط أمن للعمل في إحدى القنوات الإخبارية العربية في إشارة لقناة «الجزيرة» ومحاولة استقطابه من قبل أجهزة الأمن للعمل معها.

وخرج الصحافي محمد الجارحي صاحب مبادرة تأسيس مستشفى 25 يناير وكتب على صفحته على فيسبوك تحت عنوان توضيح بخصوص شخصية وائل الجارحي في مسلسل «هجمة مرتدة».

وأضاف: أبلغني بعض الأصدقاء عن ربط بعض الأشخاص بيني وبين شخصية رئيس تحرير أحد البرامج في مسلسل هجمة مرتدة، لذا لزم التوضيح التالي:

لم أعمل في أي وقت من الأوقات في قناة الجزيرة، ولم أتول رئاسة تحرير برنامج تقدمه مذيعة سوى برنامج القاهرة 360 من تقديم الإعلامية دينا عبدالكريم عضو مجلس النواب الحالي، ولم أعمل طيلة حياتي سوى في قنوات مصرية وصحف مصرية.

وتابع: آرائي السياسية كلها منشورة ولم أحذفها ومواقفي معلنة وما أقوله في السر أقوله في العلن، ورفضت كل العروض التي تلقيتها للعمل في وسائل إعلام في الخارج أو تلك التي لا يستريح لها ضميري حتى في أصعب ظروفي الخاصة.

وأضاف: لم يكن راتبي في أي يوم من الأيام بالدولار، ودفعت ثمنا نتيجة احترامي لنفسي ومبادئي وأفعل كل ما أستطيع لخدمة وطني، ولم التق في أي وقت من الأوقات بضابط أمن للحصول على معلومات بشأن مكان أعمل به، والأجهزة تعلم جيداً ماذا كان سيكون ردي لو حصل ذلك!

واختتم: لا أعرف تطورات الشخصية فيما بعد ولم أكن أشاهد المسلسل لكن الترويج لإنه مسلسل من قصة حقيقية واختيار اسم بعينه سقطة من القائمين على العمل، وكتبت ذلك للتوضيح لإن للأسف انتشر الكذب والتضليل وتشويه الشرفاء وتصفية الحسابات ومن لديه أي معلومة واحدة خلاف ما قلت أتحداه ينشرها.

لم تكن شخصية الحقوقية دينا أبو زيد أو الصحافي وائل الجارحي هما وحدهما اللتين أثارتا الجدل في الحلقات العشر الأولى التي عرضت حتى الجمعة، بل ربط المتابعون للعمل بين سعد الدين إبراهيم استاذ علم الاجتماع السياسي مؤسس مركز ابن خلدون وشخصية سعد خليل مدير مركز الجبرتي في المسلسل.

وقدم المسلسل شخصية سعد خليل كأحد عملاء الأجهزة الأمنية الخارجية، الذي تخصص وزوجته في تجنيد الجواسيس.

ومن الشخصيات التي أثارت جدلا بين المتابعين شخصية رئيس حزب المستقبل ضياء اليماني الذيل أظهره المسلسل قريبل من جماعة الإخوان المسلمين ويشرف حزبه على سفر شاب مصري للتدريب على وسائل التغيير في إحدى دول شرق أوروبا، واعتبر المتابعون أن المسلسل يقصد رئيس حزب الغد أيمن نور.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 00212 5377 23152
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثانية والثلاثون العدد 10245 الأحد 25 نيسان (أبريل) 2021 – 13 رمضان 1442 هـ
Volume 32 - Issue 10245 Sunday 25 April 2021

هل يقول نهر السين لِورَّاقيه الباريسيين: بَايْ بَايْ؟

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

منذ بضعة أسابيع، يسعى ورَّاقو المكتبات المفتوحة على الهواء الطلق في باريس والتي تمتد على مسافة تقدر بثلاثة كيلومترات على ضفاف نهر السين، إلى التمسك ببصيص من الأمل الذي يمكن أن يطمئنهم بعض الشيء على أن ساعة اختفائهم بدون رجعة من المشهد الباريسي لم تَدُقّ بعد. ويُعزى بصيص الأمل هذا إلى إقدام أحد هؤلاء الوراقين الذين هم جزء من هوية باريس على إطلاق موقع على الإنترنت يسمح لهم ببيع كتبهم أو بعضها على الأقل عبر الإنترنت. ولكن لماذا يعول ورَّاقو ضفاف نهر السين بالتحديد على ساكني عاصمة الأنوار حتى يساعدوهم في النجاة من موت شبه محقق لهذا المعلم من معالم العاصمة الفرنسية وهويتها؟

ثرثرة فوق نهر السين

خلال القرن السادس عشر، كانت الكتب في باريس تباع عموما عبر باعة متجولين يحمل الواحد في جرابه عددا منها ويتمشى في شوارع المدينة لدعوة المارة أو الذين يطلون على الشوارع من شرفات شققهم لشرائها. وكان عدد من هؤلاء الباعة يتفننون في جذب الحرفاء إليهم من خلال سرد بيت جميل من قصيد وارد في ديوان شعري وضع في هذا الكتاب أو ذك أو عبر التغني بها لاسيما لدى الذين كانت أصواتهم لا تُنَفر الزبائن. وكان عدد آخر من هؤلاء الباعة يذهبون وهم يروجون لأعمال روائية أو قصص بهدف بيعها إلى حد تقمص دور شخصين يدور بينهما حوار من حوارات هذه الأعمال الروائية. وانتهى بهم المطاف شيئا فشيئا إلى وضع هذه الكتب فوق الأرصفة المطلة على نهر السين الذي يشق باريس وإلى عرضها على الذين يتنزهون على ضفاف النهر لاسيما في فصلي الربيع والصيف وجزء من الخريف.

كانت قوات الأمن تصر على طردهم من هذه الأماكن. ولكنهم يعودون إليها بعد انصراف أعوان الأمن. واهتدت السلطات المحلية في المدينة في نهاية المطاف إلى أن سكان باريس يدافعون عن فكرة أن يَعرض هؤلاء الباعة كتبهم على أرصفة ضفاف نهر السين وأنهم حريصون على شراء كتب منهم حتى وإن كانوا في بعض الأحيان غير راغبين بالضرورة في قراءتها. كان السكان يدافعون عن هؤلاء الباعة لأنهم كانوا ينخرطون معهم في نقاشات طويلة تبدأ عن الطبع والكتب وتتوسع لتشمل مجالات وعوالم لا علاقة لها بالطباعة والكتابة. وظلت هذه العلاقة حميمة بين الباريسيين وهؤلاء الباعة حتى بعد أن سمحت السلطات المحلية لكل واحد من الباعة باقتطاع مكان صغير له على الأرصفة المطلة على نهر السين وخاصة في الحي اللاتيني وإيداع الكتب على عين المكان عبر أوعية تحفظها من السرقة ومن الأمطار وتقفل بإحكام في المساء عندما يعود الورَّاقون إلى منازلهم.

ثلاثة قرون من المجد

في نهاية القرن الثامن عشر، شهد نشاط وَرَّاقي أرصفة نهر السين في العاصمة الفرنسية ازدهارا كبيرا لأنهم وجدوا لدى الباريسيين قراء جيدين لكتبهم التي كان الوراقون يشترونها بأسعار بخسة لدى أشخاص يسطون عليها داخل مكتبات الطبقة الأرستقراطية أو الكنسية اللتين أطاحت بهما ثورة عام 1789. بل كان عدد من هؤلاء الوراقين يساهمون في نهب هذه المكتبات وعرض مقتنياتها على الرصيف حتى يطلع الناس بعد الثورة على مضامين كتب الطبقة الأرستقراطية ومؤسسة الكنيسة اللتين كانتا تحتكران الجزء الأكبر من ثروة البلاد. ويروي المتخصصون في تلك الحقبة من تاريخ فرنسا أن عددا من وراقي الأرصفة المطلة على نهر السين أثروا ثراء كبيرا خلال الفترة الممتدة من عام 1789 إلى عام 1795. واستمرت أوضاعهم جيدة طوال القرنين التاسع عشر والعشرين بدليل أن عددهم ارتفع من 156 إلى 240 خلال الفترة الممتدة من عام 1892 إلى عام 1991.

لوحة عن وراقي الأرصفة المطلة على نهر السين وضعها الرسام الإنجليزي ويليام باروت عام 1846

التدحرج المخيف

في تلك السنة أي في سنة 1991 أُدرجت أرصفة باريس المطلة على نهر السين في قائمة التراث العالمي فابتهج وراقو هذه الأرصفة لأن ذلك من شأنه فتح أفق واعد أمام نشاطهم باتجاه السياح الذين تعد النزهة على ضفاف نهر وبالتحديد في الحي اللاتيني جزءا أساسيا من الأماكن السياحية الباريسية التي يتوجب على كل سائح زيارتها.

وصحيح أن وراقي الأرصفة وجدوا في البطاقات البريدية والكتب الفنية القديمة التي تتحدث بشكل أو بآخر عن باريس موردَ رزق مُكمِّلاً لما يَدره عليهم بيع الكتب القديمة، ولكنهم تفطنوا من جهة إلى أن ما يعرضونه في مكتباتهم المفتوحة من بطاقات بريدية وكتب فنية قديمة عن باريس متوفر أيضا في كثير من الأماكن الأخرى داخل المكتبات التقليدية وخارجها.

من جهة أخرى لاحظ الوراقون أن معالم أخرى هي التي تحظى في المقام الأول باهتمام السائح المتجول في الحي اللاتيني على أرصفة نهر السين منها مثلا كاتدرائية نوتردام التي ظلت وجهة السائح الأولى في الحي حتى بعد احتراق جزء منها قبل عامين وقبل اندلاع أزمة كورونا.

ومن جهة ثالثة، تغيرت عادات المطالعة عند كثير من سكان باريس أو من الذين يتوقفون عند مكتبات هؤلاء الوراقين المفتوحة. فقبل بضعة عقود خلت، كان هواة المطالعة يُقبلون كثيرا على شراء طبعات قديمة من روايات الكتاب الفرنسيين المرموقين، ومنهم مثلا فيكتور هوغو وهنري بلزاك وغي دو موباسان. ولكن الكتب التي يضعها السياسيون أصبحت تحظى بأهمية شريحة كبيرة من هواة المطالعة على حساب هؤلاء الكُتاب. ويقتني القراء هذه الكتب الجديدة بعد صدورها في المكتبات الحديثة وبخاصة في محلات «لافناك» وهي مؤسسة متخصصة في بيع المنتجات الثقافية. وما يثلج صدور وراقي أرصفة باريس أن الناس لايزالون يقفون في طوابير طويلة في هذه المحلات وهم محملون بالكتب قبل تسديد ثمنها والعودة إلى منازلهم. ولكن ما زاد الطين بلة في ما يخص تدهور أوضاع هؤلاء الوراقين أن ثورة الاتصال الرقمية الحديثة غيرت رأسا على عقب طريقة التعامل مع الكتب القديمة. فقد حُمِّلت عناوين كثيرة منها على الإنترنت على نحو يجعلها في متناول الجميع بشكل مجاني.

وقد أطلق أحد وراقي أرصفة نهر السين مؤخرا موقعا يسمح لهم ببيع مخزونهم عن بعد ولكن التجربة لم تثمر حتى الآن. ودب اليأس شيئا فشيئا إلى كثير من هؤلاء الوراقين بالرغم من أن بلدية باريس وعدت بمساعدتهم على إيجاد حل لهذه المصيبة التي أحاقت بهم. ولكنهم لم يتلمسوا بعدُ شكلا جادا من أشكال المساعدة. وعزاء بعضهم أن اختفاءَ هذه المكتبات المفتوحة المنتظرَ من أرصفة ضفاف نهر السين، لن يكون الحدث الأول من نوعه بالنسبة إلى معالم الحي اللاتيني الثقافية والفكرية. فعلى بعد عشرات الأمتار من هذه المكتبات، تحول مقهى «كلوني» الشهير إلى مطعم متخصص في أكلة البيتزا. وقد لعب هذا المقهى دورا كبيرا إلى جانب المقاهي القريبة منه في تنشيط الحركة الثقافية والفكرية في العاصمة الفرنسية.

بل إن طلبة الدكتوراه والمثقفين العرب الذين يقيمون في باريس وضواحيها دأبوا في سبعينات القرن الماضي حتى تسعيناته على الالتقاء فيه للترويح عن النفس وانتقاد الأنظمة العربية. وكان الطلاب يأتونه للمذاكرة أساسا لأن صاحب المقهى كان فخورا بأن يساعدهم على المذاكرة دون أن يلح عليهم في تجديد الطلبيات في ظل حاجة باريس الماسة إلى مكتبات يذاكر فيها الطلبة.

وعلى بعد عشرات الأمتار من هذا المقهى، تقع ساحة السوربون الشهيرة التي كانت مكتبة قائمة منذ زمن طويل عند أحد ركنيها المطلين على شارع سان جيرمان. وكانت هذه المكتبة الكبيرة تابعة لدار نشر عريقة متخصصة في إصدار الكتب الجامعية. وكان كبار أساتذة جامعة السوربون يقضون فيها بانتظام أوقاتا ممتعة للتعرف على آخر الإصدارات الجامعية. ولكن المكتبة تحولت في عام 2006 إلى محل لبيع الثياب.

حاويات لحفظ الكتب

مكتبات مفتوحة على ضفاف نهر السين تمتد على قرابة 3 كلم